في

تاريخ الدولة العربية

دكتورة
نبيلة حسن محمد
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣



دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

تاريخ الدولة العربية

في

تاريخ الدولة العربية

دكتورة
نبيلة حسن
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

الباب الاول

(عصر الرسول والخلفاء الراشدين) .

الفصل الأول

التعريف بالمصادر

التعريف بالمصادر

المقصود بتاريخ الدولة العربية هو تاريخ الفترة الاولى من دولة الاسلام التى تبدأ بظهور النبى صلى الله عليه وسلم والدعوة المحمدية وذلك فى مطلع القرن السابع الميلادى والتى تنتهى بانهيار الدولة الاموية حوالى منتصف القرن الثامن الميلادى حوالى سنة ٧٥٠ ميلادية . ولقد اتفق المؤرخون على تسمية هذه الفترة بالدولة العربية لان العرب كانوا مادة الاسلام فى هذا العصر بمعنى أن السلطة فى الدولة الاسلامية كانت للعرب مؤسسى هذه الدولة ،وذلك تمييزا لعصر صدر الاسلام هذا عن العصر العباسى الذى تلاه والذى يبدأ بسيادة عنصر جديد على الدولة هو العنصر الفارسى ،والذى انتهى بسيادة عنصر ثالث هو العنصر التركى.مما ادى الى تسمية العصر العباسى الاول بالعصر الفارسى والعصر العباسى الثانى بالعصر التركى(١)

و ينقسم تاريخ الدولة العربية الى ثلاث مراحل : أولهما العصر النبوى ثم عصر الخلفاء الراشدين ثم العصر الاموى الذى يبدأ بمعاوية وينتهى بمروان الثانى (مروان ابن محمد) وذلك يعنى أن تاريخ هذه الفترة يعتبر بمثابة القاعدة التى انبنت عليها حضارة العرب والاسلام .

---

(١) انظر ،أ.د. سعد زغلول ،تاريخ الدولة العربية ،ص ١٠

ونتكلم الان عن المصادر التى يرجع اليها لدراسة هـــذا العصر نبدأ بالاشارة الى أن المصادر التى يرجع اليهالدراســة تاريخ العرب والاسلام تنقسم الى قسمين كبيرين : الاول منهمـــا هو المصادر التى تتصف بالاصالة او التى لايتطرق اليها الشـــك وان تطرق فالى حد محدود و هذه المصادر الاصلية تنقسم الـــى أنواع فالاول منها هو الاوراق الرسمية او الاوراق الحكوميـــة و هى التى تعرف باسم الوثائق او الارشيف و هذه قليلة نـــادرة و ماوصل الينا منها لايكفى لكتابه التاريخ الاسلامى ،بشكــــل يمكن أن نرضى عنه و هذه هى نقطة الضعف بالنسبة لمؤرخ التاريخ الاسلامى بوجه عام وذلك أنه يضطر الى الرجوع الى مصادر مـــن الدرجة الثانية مثل : روايات المؤرخين من معاصرين ومحدثيـــن و يمكن ان نفسر ندرة الوثائق التى وصلتنا من العصورالاسلاميـة ونرجعها الى عدة أسباب نشير منها الى قلة الورق و غلاء ثمنـه فالمعروف أن الورق الذى استخدم في العصور الاولى هو المصنـوع من نبات البردى و كان يعرف باسم القرطاس او القراطيس وذلـــك قبـــلأن تعرف صناعة الورق الرخيص المعتاد الذى عرف باســـم الكاغد و الذى دخل بلاد الاسلام منذ منتصف القرن الثانى الهجرى (القرن الثامن الميـــلادى) .

و من هذه الاسباب أيضا عدم انتشارالكتابة بالشكل الـــذى آلت فى العصور الحديثة حتى ان الكثير من الاوامر الحكوميـــة

و كذلك المعاملات بين الافراد كانت تتم شفاهة دون حاجة الى التسجيل والى جانب هذا يمكن الاشارة الى الاضطرابات السياسية التى ألمت بالدولة الاسلامية والعداء المرير الذى كانت تكنه الاسر الحاكمة الجديدة للاسر السابقة عليها مما كان يدعوها الى العمل على محو آثارها والقضاء على مخلفاتها.

هذا كما يمكن الاشارة الى الظروف الاجتماعية فى تلك العصور القديمة والتى لم تكن تعطى على سلامة حفظ الاوراق الرسمية التى كانت تذهب ضحية للاهمال و عدم الرعاية ، الى جانب الكوارث مثل الحريق و خاصة بسبب استخدام الشموع والمواقد الزيتية من أجل الاضاءة او القراءة ليلا.

النقــود :

بعد ذلك نشير الى النقود و هى تعتبر أيضا من الوثائق الاصلية وذلك بسبب النقوش التى تحملها والتى تتمثل فى اسماء الامراء والقابهم و كذلك فى العبارات المنقوشة عليها سواء اكانت سياسية او دينية ، الى جانب تاريخ سك العملة ، واسم البلد الذي ضربت فيه . فهذه المعلومات لها أهمية تاريخية هذا الى جانب اهمية النقود من الناحية الاقتصادية والتى تتمثل فى أنواع المعادن الثمينة المستخدمة فى ضربها و مدى نقاء السبيكة الذهبية او الفضية و من هنا تصبح قوائم النقود الموجودة فى المتاحف الخاصة فى العالم من المراجع القيمة التى لايستغنى المؤرخ المحدث عن الاستفادة منها .

النقـــــوش :

يأتى بعد ذلك النقوش الموجودة على الاثار و على اللوحات التذكارية القديمة او شواهد القبور وغيرها . و هذه تحتـــوى مثلها مثل النقود على مادة آصلية بل هى آغلى من النقـــود بسبب طبيعة حجمها و تنوع مادتهـــا .

الآثـــــار :

و تأتى بعد ذلك الآثار و هى مثل النقود من حيث الأهميـــة الكبيرة بسبب اصالتها وذلك أنها شواهد مادية عن العصـــور التى أقيمت فيها و هى تنقسم الى معمارية وزخرفيـــة .

و تتمثل الاهمية التاريخية للاثار من حيث انها تعطـــى فكرة صحيحة عن طبيعة العصر الحضارية من الناحية المادية مما يعجز الوصف عن التعبير عنه مهما بلغ من الدقة والامانـــة ورغم التنقيب المستمر على الوثائق والنقود و الاثار،ورغـــم اهتمام الدارسين بذلك،فان ماوجد من العصور الاسلامية منهـــا بشكل عام و من عصر صدر الاسلام بصفة خاصة لاتكفى لكتابة تاريخ موثق لهذه الفترة و بناء على هذا فلا يبقى أمامنا الاكتـــب المؤرخين القدماء من معاصرين ومتأخرين .

القرآن الكريـــم :

يعتبر القرآن وهو كتاب الله تعالى الذى أنزله لفظـــا

ومعنى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أول الكتب التى يرجع اليها فهو دستور الاسلام والمسلمين . ويرجع الفضل فى الحفاظ على القرآن دون تغيير أو تبديل الى أنه لم يكتفى بحفظه فى صدور المسلمين الاوائل : بل انه دون منذ البداية فلقد اتخذ النبى كتابا لتدوين الوحى منهم معاوية بن أبى سفيان و عبد الله بن سعد بن أبى سرح . و هكذا بدأ جمع القرآن منذ نزوله و يظهر أن الجمع الأول للقرآن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى حياة ابى بكر الصديق . اذ يروى أن عمر بن الخطاب خشى بعد مقتل قسم كبير من القراء فى الحرب مع مسيلمة الكذاب أن يقتل قراء آخرون فى معارك أخرى فيضيع شيء من القرآن ،ولذلك اقترح على أبى بكر الصديق جمع القرآن و اقنعه بوجهة نظره ,وتروى أغلب الروايات أن أبا بكر عهدبذلك الى زيد بن ثابت كاتب الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم وقد أتم زيد هذا الجمع من سور مكتوبة على العسب(١) و على والاحجار و على قطع من الجلد و على صحف (أى أوراق متفرقة) و من صدور الرجال ولما أتم جمع القرآن أعطى نسخته لابى بكر و قد خلفها ابو بكر لعمر بن الخطاب الذىتركها بدوره عند ابنته حفصة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما جمع القرآن النهائى فقد تم فى عهد عثمان بن عفان عندما بدأت تظهر بعض القراءات المختلفة نتيجة لعدم النقط

---

(١) العسب : جمع العسيب و هو جريد النخل .

و الشكل فى الكتابة بصفة خاصة . والقرآن يحتوى على ١١٤ سورة و هذه تنقسم الى آيات والآيات بدورها تنقسم الى مكية ومدنية ولكل منها صفات خاصة فمن حيث الموضوع نلاحظ أنها تعالج الدعوة الى الدخول فى الاسلام ،وتعد المؤمنين وتوعد المشركين . اما الآيات المدنية فانها تعالج كل اسباب حياة الجماعة الاسلامية من دينية و دنيوية . هذا ولما كانت الآيات القرآنية قد نزلت تباعا على مدار أكثر من عشرين سنة أى الى و فاة الرسول فانها تعالج الاحداث التى عرفها العصر النبوى مما يترتب عليه انه لايمكن دراسة حياة الرسول بدون دراسة القرآن .

الأحاديث النبوية :

بعد ذلك تأتى مجموعة الاحاديث النبوية مثل : صحيح البخارى (توفى سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م) و صحيح مسلم ،(توفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠م) وسنن الترمذى (توفى سنة ٢٧٩ هـ/ ٨٦٢م) وسنن ابى داود ،والنسائى وغيرهم . وكلمة حديث تعنى فى الاصل الخبر او الرواية الشفوية فى موضوع دينى او دنيوى وبعد الاسلام صارت الكلمة تعنى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم . أما كلمة سنة فتعنى طريقة التصرف فى النواحى الاجتماعية والدينية والقانونية وقد عرفت تلك الكلمة عند العرب فى الجاهلية و معناها العادات المتبعة عندهم فلما جاء الاسلام

صارت تعنى عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أى ماعمله او اقرة أو رآه ولم ينكره . فالحديث يشير للقول والسنة تشير للعمل و قد تكون السنة مشمولة بحديث كما يتضح لنا من قول الامام أحمد بن حنبل"فى هذا الحديث خمس سنن " .

ولقد دونت الاحاديث فى فترة متأخرة نسبيا وذلك منذ منتصف القرن الثالث الهجرى أى التاسع الميلادى و ذلك عندما ظهرت أحاديث مصطنعة منسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لتحقيق أغراض شخصية وهنا ظهرت الحاجة الى تدوين أحاديث النبى و ذلك حسب الاصول العلمية التى تسمح بالتفرقة بين الاحاديث الصحيحة والاحاديث الموضوعة ولهذا السبب ظهر استخدام مايسمى بالاسناد والاسناد هو سلسلة الرواة والغرض منه هو معرفة اصل الرواية بمعنى أن يكون راويها الاول ثقة أى يوثق فى قوله وفى كلامه ولهذا نطلب الاسناد شرطا عرف عند المشتغلين بعلم الحديث باسم التعديل او العدالة فالمفروض ان يكون السند عدلا ؛ والعدل هنا هو الرجل الذى لاتشوب تصرفاته شائبة أى المعروف بالاخلاق الحسنة الطيبة فلا يسرق ولايشهد الزور ولايشرب الخمر ولايؤخذ عليه زيغ فى دينه وعقيدته وبعد ذلك هناك المتن أى نص الحديث وهذا له أسلوبه فى التوثيق فالحديث الذى يروى بأكثر من رواية يقابل فيما بينها وعن هذا الطريق تصحح الاخطاء ان كانت هناك أخطاء .

ولما كان الحديث يتناول كل أعمال الرسول فانه يحتوى على موضوعات كثيرة جدا كما أنه يناقش بتفصيل الكثير من الموضوعات التى عالجها القرآن . ولهذا السبب اهتم العلماء بدراسة الحديث تلك الدراسة التى أصبحت تعرف فيما بعد بعلم الفروع .

كتب السير :-

وبعد الاحاديث نذكر مجموعة كتب السير وأول كتب السير هى التى تتناول سيرة الرسول أى حياة الرسول .

و أشهر السير هى سيرة ابن هشام وهى فى الاصل لابن اسحاق المتوفى فى منتصف القرن الثامن الهجرى فى سنة ١٥٠ او سنة ١٥١ هـ (٧٦٧ / ٧٦٨م) ولكن ابن هشام اخذ سيرة بن اسحاق وعرضها للنقد كما فعل اهل الحديث فاخرج منها مايشك فى أصالته من الاشعار وغيرها و هذا يعنى أنه عمل على تحقيقها حتى انتهى الامر بأن نسب اليه السيرة وترك اسم صاحبها الاول أى ابن اسحق .

ويوضع فى طبقة كتاب ابن هشام كتاب " الطبقات الكبير" لابن سعد المعروف بكاتب الواقدى والمتوفى سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م . هذا ولو أن كتاب ابن سعد يختلف عن كتاب بن هشام وذلك أنه حاول أن يعالج الموضوع على اساس الشخصيات الى جانب حياة الرسول.

كتب المغازى والفتوح :

و من كتب السير أيضا مجموعة الكتب التى عالجت غزوات الرسول وهى التى تعرف بكتب المغازى و من أشهر من كتب فى مغازى الرسول ابن اسحق والواقدى(وهو محمد بن عمر بن واقد ابو عبد الله وقد سكن بغداد و تقلد القضاء بها للمأمون كما ولى القضاء ايضا من قبل الرشيد وقد روى عن مالك حديثا كثير وفقها ومسائلكان واسع العلم كثير المعرفة يقول عنه محمد بن سعد كاتبه فى تاريخه الكبير " و كان عالما بالمغازى والسير و الفتوح " وتوفى الواقدى ببغداد وهو على قضاء عسكر المهدى فى سنة ٢٠٧ هـ) . و للواقدى كتاب اسمه مغازى الرسول و كانت مغازى الرسول هذه هى النواة التى ألفت على أساسها الكتب الخاصة بالفتوحات الاسلامية على أيام الراشدين ثم الامويين فهذه الفتوحات الاخيرة صارت تكمله لمغازى الرسول .

وبعد الواقدى يأتى البلاذرى وهو احمد بن يحيى بن جابر و كان احمد نديما للخليفتين المتوكل والمستعين ومؤدبا لعبد الله المعتز و هذا يعنى أنه كان فى موقف يسمح له بالكتابة فى التاريخ . وتوفى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م وللبلاذرى العديد من المؤلفات يهمنا منها بالنسبة لموضوعنا كتابه المرسوم باسم " فتوح البلدان " وهو من كتب الفتوح العامة و قد قرظه المسعودى فى مقدمة كتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر " بقوله " ولانعلم فى فتوح البلدان أحسن منه "

و الكتاب تناول الفتوحات الاسلامية بشكل عام و البلاذرى مؤرخ مدقق يتحرى الحقيقية . وهو يتناول أخبار البلدان وفتوحها بالصلح او العنوة ،كما انه يحوى معلومات قيمة تبين تطور النظم والادارة والتشريع والاقتصاد خلال القرون الاولى للدولة العربية الاسلامية .

و من مصادره الواقدى نقلا عن كاتبه محمد بن سعد في معظم الاحيان وابن الكلبى ،وهو يعتمد أيضا على روايات عبد الله بن صالح (توفى سنة ٢٢٣ هـ) الذى ينقل بدوره عن أبن لهيعة ،ويزيد بن أبى حبيب و عن نافع مولى آل الزبيروغيرهم من ثقات المؤرخين والاخباريين والرواة .

و من كتب المغازى و الفتوح الاقليمية (الخاصة) التي وصلتنا كتاب " فتوح مصر وأخبارها " أو فتوح مصر والمغرب و الاندلس " لابن عبد الحكم المصرى ،و عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولد حوالى سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م ،وتوفى سنة ٢٥٧ هـ ٨٧٠ – ٨٧١ م ،وقد احتفظ لنا فى مؤلفه بروايات يرجع سندها الاول الى شهود عيان للاحداث .

اما عن مركزه الاجتماعى فابن عبد الحكم ينتسب الى أسرة عريقة كانت تحتل مركزا ممتازا فى مجتمع الفسطاط مكنها من أن يكون لها دورها فى الاحداث السياسية التى وقعت بدولة الخلافة يومئذ و تعرضت الاسرة لمحنة خلق القرآن سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م

٨٤٢م ،و قد اتهموا فى تبديد اموال والى مصر الجروى ،هذا ولو أنه يفهم من روايات الكندى فى كتابه " القضاة " ان بنى عبد الحكم قد استرجعوا مكانتهم الممتازة برضاء الخلافة العباسية عنهم من جديد .

أما من تكوين عبد الرحمن العلمى والثقافى فانه كان يؤهله لان يصل الى أرفع مراتب المعرفة فى ذلك الوقت (القرن الثالث الهجرى - التاسع الميلادى) فهو قد شب ونما فى كنف أسرة من الائمة والاعلام : فوالده عبد الله بن عبد الحكم ابن اعين بن الليث (مات سنة ٢١٤) انتهت اليه رئاسة المالكية بمصر بعد وفاة أشهب و كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله واتفقت الاقوال فيه أنه ثقة صدوقا محققا . و كان أستاذ مؤرخنا الاول و عبد الرحمن يروى عنه اكثر من مرة .

أما اخاه محمد الذى كان أسن منه بحوالى خمس سنوات والذى وافته المنية بعده بعشر سنوات و الذى ذاع صيته فى المغرب - حيث كان له تلاميذه الذين رووا لعلم عنه فلا يروى مؤرخنا عنه شيئا .

و من أشهر تلامذه ابن عبد الحكم الذين كتبوا عنه ابو جعفر الطبرى (المؤرخ الشهير) .

هذا وتقول رواية ابن ابى حاتم الرازى (صاحب كتاب الجرح والتعديل) نقلا عن ابيه الذى روى عنه أنه " صدوق " بمعنى

والى جانب ذلك هناك ذكر مشايخ أهل مصر وقد نقل ابن عبد الحكم عنهم كثيرا من القصص ذات الطابع الشعبي والتي كانت متواترة بين أهل مصر .

و عن ابن عبد الحكم نقل الكثير من المتأخرين أمثال: المقريزى وابن تغرى بردى وغيرهم .

كتب التاريخ العام :-

وأول الكتب التى نشير اليها هو كتاب خليفة بن خياط المتوفى فى سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م وخليفة من قدامى المؤرخين الثقات ،وصاحب اقدم رواية تاريخية وصلت الينا ،وهو يسبق تاريخ الطبرى بأكثر من نصف قرن .

و هو خليفة بن خياط العصفرى البصرى ،والمعروف بشباب تلقى العلم على علماء بلده البصرة ،والبصرة كانت فى القرن الثالث الهجرى مركزا هاما من مراكز اشعاع الثقافة العربية الاسلامية ،خاصة فى علوم اللغة والحديث والسيرة والتاريخ.

فى هذا البلد ، العثمانى الهوى شب خليفة و نشأ و تعلم و هو ينتمى الى أسرة لها مكانتها العلمية ،فجده واسمه خليفة أيضا كان من ثقات رجال الحديث عند البخارى وابن ابى حاتم الرازى صاحب كتاب " الجرح والتعديل " وقد أخذ خليفة العلم عن عدد من الشيوخ فى مقدمتهم يزيد بن زريع ،ويزيد هذا من

انه ثقة ممن يعتمد على رواياتهم . فهو وان كان لايهمل الروايات التى لاتستطيع الصمود امام النقد وان كان يسجل عددا من الروايات ذات الطابع الاسطورى فان هذا لايقلل من أهمية روايته. فلقد صار هذا الامر تقليديا بالنسبة للكتاب حتى اولئك الذين اعتنوا بالنقد واهتموا بتصحيح الاخبارفلم تخل كتبهم من الاساطير والقصص الشعبيـة .

وابن عبد الحكم مؤرخ محدث بمعنى أنه يهتم بالاسناد الى جانب اهتمامه بالمتن . واهم من نقل منهم : ابن لهيعة (توفى سنة ١٧٤ هـ ٧٩٠م) ،وفقيه مصر الليث بن سعد (توفى سنة ١٧٥ هـ ٧٩١ م) . ويزيد بن أبى حبيب النوبى الاصل (توفى ١٢٨ هـ/٧٤٦م) وهو من ثقات رواه فتوح مصر والمغرب و أستاذ ابن لهيعة والليث بن سعد ،ويحى بن عبد الله بن بكير (مات فى سنة ٢٣١ هـ/ ٨٤٥م) وهو ممن تتلمذ على مالك بن أنس ودرس أيضا على الليث ابن سعد ،وعبد الله بن لهيعة ،وعبد الله بن وهب بن مسلم وغيرهم وصنف التصانيف من بينها كتاب كان يحوى عددا من الوثائق وقد أعطاه لابن عبد الحكم . وعثمان بن صالح (توفى سنة ٢١٩ هـ / ٨٣٤ - ٨٣٥ م) وهومن أهم رواة ابن عبد الحكم فى الجزء الخاص بالمغرب و كان ثقة فيما يرويه . وعبد الله بن مسلمة (توفى سنة ٢٢٤ هـ) وهو يروى عن الليث بن سعد وعبد الله ابن لهيعة كما يظهر من كتاب فتوح مصر والمغرب والاندلس .

ثقات أهل البصرة مع ميول عثمانية كما وصفه ابن سعد فـــي طبقاته . كما سمع أيضا من سفيان بن عيينة وابن مهدى ،وهشام الكلبى ،وعلى بن محمد المدائنى وآخرين ،ومات فى سنة ٢٤٠ هـ، ٨٥٤م ،عن عمر يناهز الثمانين عاما .

مؤلفاتـــــه :

صنف خليفة حسبما ذكر ابن النديم فى الفهرست ،أربعة كتب كتاب التاريخ ،وكتاب طبقات القراء " و كتاب " تاريخ "الزمنى والمرضى والعميان " و كتاب أجزاء القرآن واعشاره واسباعـــه وآياتـــــه ".

ويكاد يجمع علماء الحديث على أن خليفة كان من الثقـات وقد وثقه البخارى فى تاريخه الكبير عندما ترجم له و كذلـــك فعل المذهبى فى تذكرة الحفاظ " و " ميزان الاعتدال فى نقـــد الرجال " و " سير اعلام النبلاء "

منهجه فى الكتابـــه :

و كتاب " تاريخ خليفة بن خياط " يؤرخ لفترة من تاريـــخ الاسلام تمتد حتى سنة ٢٣٢ هـ ، الكتاب مرتب على طريقة الحوليـات او السنويات ،وخليفة مؤرخ محدث فهو يعتنى بسلسلة الاسنـــــاد أى الرواة الذين رووا الخبر يذهب بذلك الى الذين شهـــــدوا الاحـــداث .

وقد بدأ تاريخه بالكلام عن بداية التاريخ : ثم ثنى ذلك بالحديث عن مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ثم أخذ يورد أخبار كل سنة على حدة ابتداء من السنة الاولى للهجرة ذاكرا أهم ماحدث فيها من أحداث ،حتى اذا انتهى من ذلك ذكر من أدركتهم الوفاة فى تلك السنة ،و من أقام الموسم . و بعد أن ينتهى من الكلام عن عهد خليفة من الخلفاء يتبع ذلك يذكر من ولو كل اقليم من اقاليم الدولة على عهده ثم من تقلدو خطة القضاء فى الامصارو خاصة فى المدينة ومكة والبصرة و الكوفة ،و قد يورد أحيانا من تقلدوه فى الشام ،و بعد ذلك يذكر من تولوا حجابة الخليفة والشرط ،والكتابة ،وبيوت المال ،و الخاتم ،والبريد ،ثم يورد أسماء الرسل (أى السفراء) و هى معلومات ثمينة قيمة لدراسة تاريخ النظام الادارى والقضائى فى تلك الفترة .

ويحتوى الكتاب على احصاءات لاتوجد فى غيره لان منهج خليفة انه بعد الحديث عن كل وقعة هامة مثل : بدر ،واحد ،والحرة و غيرها ،يورد اسماء من استشهدوا فى تلك المواقع .

وقد روى خليفة عن ائمة الرواه الثقات كالوليد بن هشام ،ويزيد بن زريع والمدائنى .

وفيما يتعلق باخبار الفتوح خاصة نجدُ خليفة يوردها عن مصدرين احدهما : عن رواة من أهل كل مصر من هذه الامصارالمفتوحة اى الرواية المحلية - والاخرى عن طريق أهل المدينة - الرواية الرسمية .

فمثلا عندما يتحدث عن فتح مصر يورد خبر هذا الفتح عن يزيد بن أبى حبيب و عبد الله بن لهيعة ،و من سمع عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد ثم يروى خبر الفتح عن عروة بن الزبير و غيره من رواة اهل المدينة .

و من الجدير بالملاحظة أن خليفة قد اهتم اهتماما خاصا بالاحداث الخارجية فى دولة الاسلام و فى تاريخه نجد تاريخ لوفيات كثير من أئمة الحديث ورجال الفكر والادارة والحكم .

و بعد خليفة يأتى الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير ، ولد فى أواخر سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م فى مدينة آمل و هى من بلاد طبرستان و من هنا نسبته الطبرى و توفى فى ٢٦ شوال سنة ٣١٠هـ ١٦ فبراير ٩٢٣ م) وللطبرى عدد من المؤلفات يهمنا منها كتاب تاريخ الرسل والملوك " أو تاريخ الامم والملوك " ولما كان الطبرى من كبار الفقهاء المشتغلين بالقرآن والسنة حتى أن اشهر مؤلفاته هو " تفسير الطبرى " فاننا نلاحظ أنه ينهج نهج المحدثين فى كتابته للتاريخ فهو يورد الروايات التاريخية مسبوقة باسنادها الذى يرجع فى بعض الاحيان الى شهود عيان هذا الى جانب انه يعطى للحدث الواحد اكثر من رواية وهو نزيه يظهر بمظهر المحايد الذى لايرجح رواية على غيرها . هذا ولقد سار الطبرى بدوره فى تاريخه على طريقة الحوليات أى السنوات .

و بعد كتاب الطبرى نذكر كتاب ابن الاثير المعـــــروف باسم " الكامل فى التاريخ " وابن الاثير متوفى فى سنة ٦٣٠هـ ويلاحظ أن ابن الاثير ينقل كتاب الطبرى فيلخصه فيما يتعلـــق بالقرون الثلاثة الاولى ثم أنه يضيف اليه ويكمله حتى سنة ٦٢٨هـ ورغم أنه يلخص الطبرى الا أنه يعتبر مرجعا أساسيا حتى بالنسبة للفترة القديمة من صدر الاسلام و ذلك بفضل مايظهره ابن الاثير من المقدرة على النقد والتمحيص واكمال الموضوعات التى وجدها ناقصة عند الطبرى ولذلك يعتبر كتاب ابن الاثير مهما ليــــس بالنسبة للتاريخ الاسلامى العام بل بالنسبة لتاريخ الاقطـــار الاسلامية المختلفة سواء كانت فى أقصى المشرق او فى أقصـى المغـــرب .

بعد ذلك ننتقل الى الكلام عن كتاب " العبرو ديوان المبتدأ والخبر فى اخبار ملوك العرب والعجم والبربر و من عاصرهـــم من ذوى السلطان الاكبر " لابن خلدون وابن خلدون ولد فى تونس فى سنة ٧٣٢ هـ و درس على عدد من العلماء التونسيين والمغاربة و عمل فى خدمة ملوك الحفصيين فى تونس و كذلك بنى عبد الـواد فى تلمسان وبنى مرين فى فاس وبنى الاحمر النصريين فى غرناطة ثم رحل الى المشرق ووصل الى الاسكندرية ومنها الى مصر ســنة ٧٨٤ / ١٣٨٣ م (فى سلطنة الظاهر) و جلس للتدريس فى الجامع الازهر وولى قضاء المالكية بمصر سنة ٧٨٦ هـ ثم عزل عن القضاء وتوجه لقضاء فريضة الحج سنة ٧٩٠ هـ و بعد أن قضى فرضة رجـــع

الى القاهرة و قضى بقية أيامه عاكفا على قراءة العلم وتدريسه ومات فى القاهرة فى ٢٥ رمضان سنة ٨٠٨ / ١٧ مارس ١٤٠٦ م ٠

ويعتبر كتاب ابن خلدون من أهم المصادر وذلك للسببين المعروفين اللذين يختص بهما ابن خلدون واولهما ملكة المؤرخ العبقرى الموهوب التى جعلته يفهم التاريخ بمعناه الحقيقى الشامل الذى يتلخص فى أن الحدث التاريخى اكبر من ان يكون حدثا سياسيا فقط بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية و كذلك النفسية أيضا و هذا مادعا بن خلدون الى الكلام عن كل هذه الفنون فى المقدمة حتى جعل مفهوم التاريخ اشبه مايكون بمفهوم الحضارة ى جعله تاريخا للامم والشعوب بدلا من سير الملوك والامراء او طبقات الاعيان و هذا ماسماه البعض فلسفة التاريخ - وهو فى الحقيقة ليس الا التاريخ كما ينبغى ان يكون ٠

كذلك لابن خلدون نظريات فى التاريخ من هذه النظريات نظرية أن الدولة مثل الفرد تمر بعدة مراحل ، اولها مرحلة النشوء والطفولة ثم مرحلة الشباب والفتوة والقوة و أخيرا تأتى مرحلة الشيخوخة التى يعقبها انهيار الدولة ٠ و هو ينص على نظرية اخرى فى قيام الدولة هى نظرية العصبية فهو يرى أن الدولة ترتكز على عصبية والعصبية عند ابن خلدون هى تلك الروح التى تدفع الجماعة من الافراد او اعضاء القبيلة نحو

الالتفاف حول زعيمهم لإخضاع الجماعات أو القبائل الاخرى لتكوين الدولة . و تظل الدولة قوية متماسكة طالما ظلت عصبيتها قوية متماسكة فاذاما ضعفت العصبية وانحلت انحلت الدولة لكى تقوم عصبية جديدة بانشاء دولة جديدة . ويظهر نبوغ ابن خلدون فى هذه النظريات التى قننها لقيام الدول الى جانب انه نص على مسألة المنهج التاريخى الذى يتبنى على النقد فهو يطالب المؤرخ بأن يعرض الروايات المختلفة للنقد ويقابل بينها وذلك على اساس من العقل و المنطق و بناء على هذا النقد فهو يرجح الرواية الصحيحة على الرواية الموضوعة ولهذا السبب نجد انه يعطى نماذج لما يمكن أن يلحق التاريخ من الوضع والاصطناع و يعطى أمثلة للروايات الاسطورية التى تحيط بتاريخ بنى اسرائيل كما انه يحاول ان ينقض الروايات المختلفة التى نسجت حول الامويين مثل معاوية او عبد الملك بن مروان و كذلك الروايات المشهورة التى نسجت حول هارون الرشيد واخته العباسة و نلاحظ ان ابن خلدون لم يستطيع أن يطبق قواعد النقد هذه عندما بدا يكتب تاريخه فخرج تاريخه أشبه مايكون بالتواريخ التقليدية السابقة . هذا ولو أنه اظهر موهبة فى النقد و ترجيح الروايات فى بعض الاحيان .

بعد ذلك ننتقل الى الكلام عن المسعودى المتوفى فى سنة ٣٤٦ هـ فى مدينة فسطاط مصر و يعرف كتابه باسم (مروج الذهب

و معادن الجوهر) و يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة ليس لقدمه فحسب ولكثرة إطلاع المسعودى و سعة معلوماته التى أتت الى جانب الدراسة والقراءة نتيجة لتجوله فى مختلف البلدان اذ طوف المسعودى خلال اربعين سنة بفارس والهند والصين وسواحل شرق أفريقيا والشام و ذلك قبل ان يقدم الى مصر حيث توفى بها . ويفضل اسفاره ودقة ملاحظاته جمع اخبارا عن البلدان والشعوب والمذاهب والعادات والتقاليد لانجدها فى غيره من كتب المؤرخين . ولقد تنبه المسعودى الى أهمية عامل البيئة فى مسيرة الاحداث السياسية وهو لهذا السبب يهتم بالجغرافيا الطبيعية والبشرية فى مقدمة الكتاب و هو بذلك يعتبر النموذج الذى حذا حذوه ابن خلدون (١) و مع أن المسعودي يتبع فى كتابه طريقة الحوليات الا انه يمزج بينها وبين

---

(١) انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، طبع بيروت ، ص ٥٣ — حيث يقول " ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر أو جيل . فاما ذكر الاحوال العامة بالافاق والاجيال والامصار فهو أس المؤرخ تبنى عليه اكثر مقاصده و تبين به أخباره و قد كان الناس يفردونه بالتأليف ، كما فعله المسعودى فى كتاب مروج الذهب ، شرح فيه أحوال الامم والافاق لعهده فى عصر الثلاثين والثلثمائة غربا وشرقا ، و ذكر نحلهم و عوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول و فرق شعوب العرب والعجم فصار أماما للمؤرخين يرجعون اليه واصلا يعولون فى تحقيق الكثير من أخبارهم عليه . ثم جاء البكرى من بعده و فعل مثل ذلك فى المسالك والممالك =

الترتيب الموضوعى فهو يفرد بابا لكل دولة و يخصص فصلا لكل أمير او حادثة فلا يفقد الموضوع وحدته . ويهتم بحياة الناس و خاصة افراد الطبقة العليا فى المجتمع ; من الخلفاء وكبار رجال الدولة ومشاهير العلماء والشعراء كما لايهمل القصص الشعبى ولا الروايات الطريفة و هو لكل ذلك يعطى نوعا من الحياة والطرافة التاريخية وان كان المسعودى يخرج بمنهجه هذا على اصول البحث و تجرى الحقيقة ولهذا السبب فرغم مايحوية الكتاب من معلومات تاريخية قيمة الا أنه ينبغى ان تؤخذ هذه المعلومات بشىء من الحذر وان تعرض لقواعد النقد .

ولكثرة المعلومات الجغرافية التى يحويها الكتاب نجد أن بعض الباحثين يضعونه بين كتب المكتبة الجغرافية العربية هذا لو أن للمسعودى كتابا خاصا فى الجغرافيا عنوانه كتاب " التنبيه والاشراف " هذا كما يمكن الاشارة الى انه بسبب كثرة المعلومات الادبية واهتمام المسعودى بالشعر يمكن ان يوضع الكتاب بين المؤلفات الادبية والحقيقة أن الكتاب يعتبر موسوعة

= خاصة دون غيرها من الاحوال ،لان الامم والاجيال لعهده لم يقع فيها كثير انتقال ولاعظيم تغيرافا لهذا العهد و هو آخر المائه الثامنة قد انقلبت احوال المغرب الذى من شاهدوه . فاحتاج لهذا العهد من يدون احوال الخليقة والافاق واجيالها والعوائد والنحل التى تبدلت لاهلها و يتخذ مسلك المسعودى لعصره ليكون أصلا يقتدى به من يأتى من المؤرخين .

كبرى تعالج الكثير من العلوم والفنون الى جانب التاريخ و الجغرافيا .

هذا ويمكن ان نضيف الى قائمة كتب التاريخ العام هذه مؤلفات المؤرخين المصريين من أمثال المقريزى المتوفى فى سنة ٨٤٥ هـ والذى كان تلميذا لابن خلدون وابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة المتوفى ٨٧٣ هـ والسيوطى المتوفى فى أوائل القرن العاشر الهجرى صاحب كتاب (تاريخ الخلفاء) هذا الى جانب اصحاب الموسوعات التاريخية والجغرافية الادبية مثل القلقشندى صاحب كتاب " صبح الاعشى فى صناعة الانشاء " والنويرى صاحب كتاب " نهاية الارب فى فنون الادب" و كذلك كتاب العمرى المعروف باسم " مسالك الابصار فى ممالك الامصار " .

ثم نتناول بعد ذلك مصدر من أهم المصادر والتى تناولت الدعوة العباسية وهو كتاب " اخبار الدولة العباسية و فيه أخبار العباس وولده و هو لمؤلف من القرن الثالث الهجرى.

و هذا العنوان (أخبار الدولة العباسية) يرجحه الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى محقق المخطوط ـ و كلمة " دولة " هنا كما يقول الدورى ، " لاتعنى بالضرورة الكيان السياسى المفهوم . بل ان مؤلف " أخبار العباس وولده " استعملها بمعنى " دعوة " اذ يقول : " ان ابراهيم الامام بن محمد اوصى ابا العباس عبد الله بن محمد بالقيام بالدولة . وامره بالجد والحركة .

وان لايكون له بالحميمة لبث ولاعرجة حتى يتوجه الى الكوفة ــ بناء على الدراسة المقارنة التي عقدها بين مخطوطه هذا ،والقطعة المصورة من مخطوط بعنوان : " نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول من القرن الحادى عشر " التى نشرها الاستاذ " قربا زنيوبيج مع ترجمة و تعليقات بالروسية ثم نشر المخطوط كله مصورا بعنوان " تاريخ الخلفاء . للمؤلف المجهول من القرن الحادى عشر " و هذا الكتاب مهم لصلته الوثيقة بمخطوط ــ الدكتور الدورى ــ وللضوء الذى يلقيه على بعض مشكلاتــه .

وفقد الاوراق الاولى من المخطوط كما يقول المحقق حرمنا من اسم المؤلف ولكن دراسة أسلوب الكتاب ومصادره تدل على أنه كتب فى أواسط القرن الثالث الهجرى . فهو فى الاساس كتاب أخبار يعنى بايراد الاسانيد ويلتفت الى اختلاف الروايات . ومع أنه يراعى تسلسل النسب فى اطاره الا أنه لم يحافظ بدقة على خط كتب الانساب ،اذ أنه لايعنى الا بالابن الاكبر . كما أن الاهتمام الخاص بالاسناد يبين الاثر الواضح لمدرسة اهل الحديث فى الاسلوب .

وتتنوع مصادر معلومات الكتاب حسب طبيعة الموضوع ،و تدل على جهد واسع فى جمع الروايات . فقد أخذ المؤلف جل معلوماته عن الدعوة من روايات شفوية وأخذ من مؤرخين سابقين ،وانفرد

بايراد وثائق ومعلومات هامة .

أخذ مؤلف الاخبار من مؤلفين معروفين سبقوه من آخباريين مثل أبى مخنف (توفى ١٥٧ هـ / ٧٧٤) وعوانه بين الحكم (توفى ١٤٧ هـ / ٨١٩) ،والهيثم بن عدى (توفى ٢٠٦ - ٢٠٧ هـ / ٨٢١ - ٨٢٢ م) . والمدائنى (توفى ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م) ،ومن مؤرخين كالوا قدى (توفى ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م) و نسابين مثل هشام بن محمد بن الساشب الكلبى (توفى ٢٠٤ - ٢٠٦ هـ / ٩١٩ - ٨٢١ م) ،و مصعب الزبيرى (توفى ٢٣٥ هـ / ٨٥٠م) و غيرهم مثل محمد بن سلام (توفى ٢٣١ هـ / ٨٤٠ م) واتصل بمعاصرية و أخذ عنهم مثل محمد بن شبه (توفى ٢٦٢ هـ / ٨٧٥م) والعباس بن محمد الدورى(توفى ٢٧١ هـ / ٨٨١ م) والمبرد (توفى ٢٨٥ هـ / ٩٨٩م) احمد بن يحى بن جابر البلاذرى (توفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٣ م) و قد أخذ روايات المعاصرين بأسانيدها و خير مثل لذلك ماروواه من البلاذرى فهو يعطى روايات باسناد متصل ،ولذا تختلف سلسلة الاسناد أحيانا عما جاء فى كتاب انساب الاشراف للبلاذرى أو يعطى اسنادا حين لايوجد اسناد فى رواية انساب الاشراف او يورد نصا يختلف لحد ما عن النص الوارد فى انساب الاشراف مما يدل على أنه روى عنه مباشرة .

وانفرد المؤلف بمعلومات عن بداية الدعوة (حتى سنة ١٠٠هـ)

وعن بعض احداثها واسرارها كما اورد قوائم مفصلة باسماء النقباء والدعاة فى خراسان ومراتبهم وتنظيماتهم و يبدو أنه آخذها من الحلقات الداخلية لرجال الدعوة ،اذ استقى الكثير منها من رؤساء الدعوة و من الدعاة البارزين فيها . والظاهر أن اخباره عن نشاط ابى مسلم فى خراسان و عن نشاط المسودة العسكرى بقيادة قحطبة وانتصاراتهم ،تعتمد على هذه المصادر وعلى أناس متصلين بالحلقة العباسية مثل ابى اسحق بن الفضل الهاشمى كما اخذ بعض معلوماته عن أفراد من الاسرة العباسية مثل عيسى بن عبد الله وعيسى بن موسى و عيسى بن على وابراهيم بن المهدى والرشيد .

واعطى المؤلف صورة داخلية لطبيعة الدعوة واحاديثها و كشف عن جذور الغلو فيها ،مما لايناسب العباسيين بعد مجيئهم للحكم و هذا يجعل بعض محتويات الكتاب أقرب الى الوثيقة السرية منها الى كتاب للجمهور .

و كل هذا يشير الى صلة خاصة للمؤلف بالعباسيين وباتباعهم و مصادر الكتاب كما يقول الاستاذ الدكتور الدورى تجعلنا نحدد زمن تأليفه بأواسط القرن الثالث الهجرى . ويميل الى نسبة الكتاب الى محمد بن صالح بن مهران (ابن النطاح) توفى سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٨ م . و مع أن الاشارات الى ابن النطاح تجعله أول من صنف كتابا فى اخبار الدولة .

ويقول الدكتور الدورى ويدفعنا الى هذا الافتراض عدة أمور : فابن النطاح مولى جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ،وهذا الولاء يجعله على صلة وثيقة بأخبار العباسيين و كان أبن النطاح ،اخباريا ،ناسيا راوية للسنن و هى عين المؤهلات التى يكشف عنها أسلوب " أخبار العباسى وولده ". و كان من بين من روى عنهم ابن النطاح الواقدى والمدائنى .

هذا الى أن عنوان كتابه هو : " اخبار الدولة العباسية " :-

أما محتويات الكتاب فهى على النسق التالى :-

- يبدأ بالكلام عن موت العباس بن عبد المطلب .
- ثم اخبار عبد الله بن العباس .
- أخبار على بن عبد الله بن العباس .
- أخبار محمد بن على بن عبد الله بن العباس .
- أخبار ابراهيم بن محمد بن على الامام .
- خبر ابى مسلم وابتداء امره .
- مسير قحطبة بن شبيب بالجنود الى العراق .
- ظهور ابى سلمة بالكوفة .

وينهى اخباره بوصول وصية ابراهيم الامام الى اخيه ابى العباس

وقد قام بتحقيق الكتاب الدكتور عبد العزيز الدورى والدكتور عبد الجبار المطلبى و طبع فى بيروت ،سنة ١٩٧١ .

كتب الجغرافية العربيـــة :

و بعد هذا ننتقل الى لون جديد من الكتب هو مجموعة كتـــب الجغرافية العربية و كتب الجغرافية مهمة بالنسبة لدراســة الموضوع و ذلك للصلة الوثيقة بين التاريخ والجغرافيـــة فالجغرافية العربية كانت وثيقة الصلة بالتارخ وبمرور الوقت انفصلت عنه انفصالا غير تام على كل حال فاحتفظت كتب الجغرافيـة بالكثير من المعلومات التاريخية كما ظل الجغرافيون العـــرب يكتبون فى التاريخ والجغرافيا جميعا والمثل لذلك اليعقوبـى وابو الفـــدا .

والجغرافية العربية تنقسم الى نوعين : اولهمـــا الجغرافية الرياضية و تضم فرعين هما : علم الاطوال والعـــروض و علم تقويم البلـــدان .

وثانيهما ـ الجغرافية الادبية او الوصفية وتشتمـــل على فرعين هما : علم المسالك و الممالك وعلم عجائب البلدان .

و أهمية كتب الجغرافية فى أنها تكمل كتب التاريـــخ التى اهتمت بالاحداث السياسية بشكل خاص ـ من حيث اهتمامهـــا الى جانب وصف الاحوال الطبيعية والبيئية بامدادنا بمعلومـــات ذات طبيعة متنوعة منها الاقتصادية والاجتماعية ومايختص بعادات الشعوب وتقاليدها مما لايستغنى عنه المؤرخ المحدث ولقد عـــرف الاوربيون ما للمكتبة الجغرافية من أهمية فاعتنوا بنشرها فـــى

أوروبا منذ اكثر من مائة عام تحت اسم " المكتبة الجغرافية العربية " وقد كان للمستشرق الهولندى " دجوية " مجهوده الذى لايغفل فى نشر هذه المجموعة . وتحتوى هذه المكتبة على كتب ابن خرداذبة واليعقوبى وابن الفقية والاصطخرى والمسعودى والمقدسى .

ثم يأتى بعد ذلك كتب الطبقات وهى نوعين طبقات عامة مثل كتاب ابن خلكان المتوفى فى سنة ٦٨١ هـ والمعروف باسم " وفيات الاعيان و أنباء ابناء الزمان " وهو من كتب الطبقات العامة وهناك أيضا كتاب " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبى . غيرها و كتب طبقات عامة اقليميا خاصة موضوعيا مثل : طبقات المالكية والشافعية وطبقات الصوفية و طبقات المحدثين وطبقات الاطباء والحكماء واللغويين والنحويين والقضاة والفقهاء وكتب خاصة اقليميا .

وميزة هذه الكتب تتلخص فى انها تهتم بالتاريخ الاجتماعى والحضارى اكثر من اهتمامها بالتاريخ السياسى .

ثم يأتى بعد ذلك مجموعة الكتب التى تعالج تاريخ الاديان و هذا اللون من الكتب تتناول بصفة خاصة المذاهب الاسلامية و فى مقدمة هذه الكتب كتاب ابن حزم الاندلسى القرطبى (ابو محمد على بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ) المعروف بكتاب الفصل فى الملل والاهواء و النحل " و كتاب الملل والنحل للشهر

ستانى (ابو الفتح عبد الكريم الشهر ستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ) و كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى .

هذه الكتب تتكلم عن الاسلام و عن فرقة المختلفة من : الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية والمعتزلة والسنة وطوائف كل فرقة منها . ولما كانت دولة الاسلام تحتوى على جماعات غير اسلامية تعيش داخل الدولة مثل اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وغيرهم و جبت معرفة اصول دينهم لتحدد الدولة موقفها منهم ولهذا ،تكلم هؤلاء الكتاب عن نحلهم ومذاهبهم .

ننتقل بعد ذلك الى الكلام عن مجموعة الكتب التى تتناول تاريخ النظم والادارة وأصول الحكم واشهرهاكتاب الاحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردى (توفى ببغداد فى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م) وقد عرف بالتدين والورع والتقوى و تقلد خطة القضاء و اصبح اقضى قضاه بغداد فى سنة ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م . ولقد كتب الماوردى فى تفسير القرآن والفقة والنحو الى جانب ماكتبه فى أصول الحكم . و كان من المجتهدين .

فمن بين ابواب الكتاب العشرين فى : الامامة والوزارة والقضاء والجهاد و تنظيم الاموال وولاية الاقاليم — الخ،يعتبر الباب الخاص فى عقد الامامة (او الخلافة)وهو اولها اهم الموضوعات التى عالجها الماوردى . وهو يستند فى معالجته

للتقنين للخلافة (التى يراها عقد مراضاه واختيار) الى القرآن والسنة والإجماع الى جانب السوابق التاريخية المعتبرة

و أخيرا نتكلم عن كتب الادب التى تتضمن الكثير من المعلومات التاريخية الى جانب معالجتها للحياة الثقافية و من أهم تلك الكتب كتب الجاحظ و هو من أشهر أدباء العربية و الذى حوت كتبه الادبية معلومات تمثل كل الوان الثقافة العربية . و من أشهر مؤلفاته كتاب البيان و التبيين و كتاب البخلاء هذا الى جانب رسائله العديدة .

و من أهم كتب الادب كتاب الاغانى لابن الفرج الاصفهانى الذى يحوى معلومات تاريخية لاتقدر بثمن عن كثير من الشخصيات التى يترجم لها . وهو يتناول الطبقة التى احترفت الشعر و الغناء والموسيقى .

و من كتب الادب الهامة ايضا كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه . وكتاب معجم الادباء لياقوت الحموى . وهناك دواوين الشعر و هى تمثل اقدم النصوص التى تمدنا بالمعلومات عن الحياة فى جزيرة العرب فى العصر الجاهلى وفى صدر الاسلام والشعر يعبر عن حياة الناس وعن اهتماماتهم .

و من أهم الاشعار المعلقات وقصائد الشعراء المخضرمين ودواوين شعراء العصر الاموى مثل : الاخطل وجرير والفرزدق .

الفصـــل الثانى

جغرافيـة بـلاد العـرب

جغرافية بلاد العـــــرب

تقع شبة الجزيرة العربية فى القسم الغربى من قـــــارة آسيا ،وبحكم انها شبه جزيرة تحيط بها البحار من جهات ثلاثـــة الخليج العربى (الفارسى فى الكتابات الكلاسيكية) فـــــى الشرق والمحيط الهندى والذى يسمى أحيانا ببحر العرب فـــــى الجنوب ثم البحر الاحمر الذى سمى أحيانا بالخليج العربـــــى أو بالبحر الايرترى عند الكتاب الاغريق واللاتين ،أما من ناحية الشمال فتنتهى ببادية الشام و رغم ذلك فقد اصطلح الكتـــــاب العرب القدماء على تسميتها بالجزيرة العربية و هم يفســـرون هده التسمية بأنه من الممكن القول بأن حدودها الشماليـــــة تتمثل فيما وراء بادية الشام شرقا و غربا فى نهرى الفـــرات والدجلة والبحر الابيض المتوسط ولهذا المعنى تكاد تحيط بهـــا المياه من جميع جهاتهـــــا .

وقد اختلف فى أمر انتمائها الجغرافى . فرغم أنها تقع فى قارة آسيا حاليا الا أن هناك تفسيرا بأن الحزام الصحـــراوى الافريقى كان يتصل بالجزيرة العربية قبل أن يحدث الشق فـــــى قشرة الكرة الارضية التى نتج عنه البحر الاحمر و معنى هـــــذا أن جيولوجيا أرض الجزيرة العربية ،جزء متمم للصحراء الكبـــرى الافريقية و بهذا المعنى تكون ألصق بأفريقيا منها بآسياء

ولكن نظرا لان مثل هذا الجدل يتحدث عن عصور جيولوجيـــــة موغلة فى القدم وربما تعود الى ماقبل وجود الانسان على هـــذه

الارض فلعل الامر الواقع والقائم فى العصور التاريخية ،هو الأنسب للأخذ به و أن الجزيرة العربية تدخل فى آسيا وأكثر اتصالا بها بشريا و ثقافيا .

أما عن تضاريس بلاد العرب ،فلعل أبرز معالمها سلسلة الجبال التى تمتد على طول ساحل البحر الاحمر و التى تعرف باسم " السراة " (لاستوائها وارتفاعها كسراة الفرس أى ظهره) و تمتد هذه السلسلة من الجبال من أعالى اليمن فى الجنوب حتى مشارف فلسطين فى الشمال . و يقع بين سلسلة جبال السراة و ساحل البحر الاحمر سهل ساحلى ضيق غير صالح للاستيطان والسكن فى معظم اجزائه كما أنه قليل الموانى الطبيعية أما من ناحية الشرق فتبدأ من جبال السراة هضبة تنحدر انحدادا بطيئا فى اتجاه الشرق الى منطقة الخليج العربى (الفارسى) وأرض وادى الرافدين . أما فى الشمال ،فتنتهى أرض الجزيرة ببادية الشام التى تفصل بين أرض الرافدين فى الشرق وسوريا و فلسطين فى الغرب و تتكرر الظاهرة التضاريسية ذاتها فنجد فى الشرق سلاسل جبال لبنان التى تبلغ اقصى ارتفاعها فى الوسط و فى الشمال و يفصل بينها سهل البقاع ثم البادية التى تنحدر الى نهر الفرات . و بصفة عامة ،نجد أن تضاريس الجزيرة العربية يغلب عليها الطابع الجبلى و الصخرى فى الغرب و تتحول الى صحراء رملية فى الشرق .

ورغم أن البحار تحيط بالجزيرة العربية من معظم أرجائها الا انها بصفة عامة ،قليلة أو نادرة الامطار ،فبعض سواحل البحر تتعرض أحيانا لامطار اعصارية فجائية التى لا تستمر سوى أيام قليلة و تتسرب معظم مياهها فى الرمال بغير طائل ولكن اكثر الاقاليم مطرا و خصبا هو الركن الجنوبى الغربى لشبة الجزيرة العربية و الذى يعرف ببلاد اليمن ،فهذه المنطقة بحكم موقعها الجنوبى و ارتفاع جبالها فهى تتعرض للرياح الموسمية المطيرة فى الصيف و نظرا لغزارة امطار هذه الرياح فهى كثيرا ماتتسبب فى جريان مايمكن أن يسمى بأنهار موقتة من جبال اليمن و تنحدر جنوبا فى اتجاه الساحل الجنوبى وللدلالة على أهمية هذه الامطار و غزارتها يكفى أن نذكر أن الرياح الموسمية هذه ،هى التى تهب على جبال الحبشة وينتج عن امطارها فيضان نهر النيل فى أشهر الصيف .

أما بالنسبة لليمن ،فقد نتج عن جريان تلك الانهار الموقته أن جلبت معها من أعالى الجبال مواد غرينية ومعدنية خصبة فأفادت السهول والوديان فجعلتها شديدة الخصوبة و صالحة للزراعة و خاصة بعد أن قامت فى اليمن حضارة قديمة راقية استطاعت أن تتحكم فى وديان الانهار وأن تقيم السدود وأن تحفر القنوات لتجميع المياه و تخزينها ثم توزيعها بنظام دقيق من أجل اغراض الزراعة والرى ولعل هذا هو السبب الذى جعل الكتاب القدماء من اليونانيين واللاتين يطلقون على بلاد اليمن

اسم " العربية السعيدة " أما سائر أرجاء الجزيرة العربية فأمطارها بصفة عامة قليلة و نادرة ولكنها كافية فى بعض الاقاليم لانبات العشب الذى يصلح للرعى الذى كان من أهم إعمال بلاد العرب القديمة • ولكن بلاد العرب لم تقتصر مصادر المياه فيها على هذا القدر من المطر وانما وجد بها مصدرا آخر شديد الاهمية و نقصد به المياه الجوفية التى تتجمع وتظهر فى شكل آبار أو عين و هى أكثر تركيزا على الهضبة غير بعيد من سلسلة الجبال و خاصة فى منطقة الحجاز ،حيث وجدت تجمعات للابار تشكل واحات منتشرة ساعدت على الاستقرار و نشأة المدن بها و من أشهرها مكة و يثرب • و لهذه المياة الجوفية أهمية كبيرة جدا فى الجزيرة العربية ليس فقط لانها ساعدت على الاستقرار السكانى • و لكن استطاع العرب القدماء أن ينظموا طرق المواصلات بين أرجاء صحرائهم الواسعة بالانتقال بين تلك الابار والعيون • ونظرا لانتشار هذه الواحات و الآبار فى اتجاه عام بين الشمال والجنوب فقد ساعدت على نشاط تجارة القوافل المشهورة و مما زاد فى أهميتها ان سواحل الجزيرة العربية على طولها فقيرة فى الموانى الطبيعية • و هكذا لم تساعد الطبيعة العربى القديم على أن يألف البحر وأن يستخدمه وسيلة للانتقال و خاصة على طول سواحل البحر الاحمر الخطيرة والمليئة بالمفاجآت ،و تنتشر تحت مياهها وعلى امتداد سواحلها الشعب المرجانية التى تهدد الملاحة و تخدع الملاحين • و هكذا

كان الانتقال عن طريق البر أكثر ألفة بين العرب القدماء.

أما عن أقسام الجزيرة العربية مبتدئين بالقسم الغربي فنجد الحجاز و سمى كذلك على عادة العرب لانه يحجز بين الشمال والجنوب يليه الى الشرق نجد لانه يمثل منطقة مرتفعة من قولهم " انجد الرجل أى صعد فى الارض " وسمى السهل الساحلي الواقع بين جبال السراة وبين البحر الاحمر " بتهامة " وبمعنى أنه منخفض . أما المنطقة الجنوبية فقد غلب عليها اسم اليمن وقد اختلف فى سبب اطلاق هذا الاسم عليها فهناك من يفسرها أنها مشتقة من اليمن بمعنى السعد والرخاء و ان هذا هو السبب أن اطلق عليها الاغريق واللاتين اسم العربية السعيدة . ولكن لعل السبب الحقيقى لهذه التسمية هى ما اعتاد القدماء عليه من تقسيم البلاد الى يمين وشمال إذا ما اتجه الانسان بوجهة صوب الشرق فيكون اليمين هو الجنوب والشمال (أى اليسار) وهو الشمال الجغرافى و هذا هو اكثر التفسيرات احتمالا لوقوع بلاد اليمن فى الجنوب كما أن الشمال يمثل الشام المشتقة من الشآم . و مما يؤكد هذا التفسير الذى أورده الهمدانى والذى يعتبر اكثر المؤرخين العرب خبرة باليمن ،موطنه الاصلي أننا عثرنا فى بعض النقوش اليمنية القديمة استخدام اصطلاح " ايمنن " و " أشامن " بمعنى شمال و جنوب . ويلى اليمن شرقا اقليم حضر موت و قد اختلف فى تفسير تسميته أيضا ،فأخذ بعض كتاب اليونان مثل صاحب كتاب " الملاحة حول البحر الاحمر "

بظاهر التسمية و فسرها بأنها " وادى الموت " ولكن من الواضح أنها مشتقة من اسم أحد الآلهة وهو الاله " موت " المعـــروف فى الديانات السامية والمصريـــة .

والى الشرق من حضر موت تقع بلاد " مهرة " التى تعـــرف أيضا باسم مدينتها " الشحر " وبعدها " عمان " فى الركـــن الجنوبى الشرقى للجزيرة عند مدخل الخليج و هى بلاد غنيـــة نسبيا بالنخيل وبالزراعة و عاصمتها " صحار" البحرية ويليـــه شمالا " للبحرين " و عاصمته هجر " ويسمى القسم الجنوبى منها " بالاحساء " بمعنى الارض الرملية التى تحوى الماء فى باطنها على بعد قليل ولذلك عرفت بكثرة نخيلها ،و يتاخمها غربا منطقة " اليمامة " و يقع الى جنوب " اليمامة " اقليم الربع الخالى المشهور بجفافه وانعدام الماء فيه و يكاد يكون خاليا مـــن الميـــاه .

هذه هى الأقاليم التى تتكون منها شبة الجزيرة العربية (١)

---

(١) انظر ، الهمدانى ،صفة جزيرة العرب ، ابن رسته ، الاعـــلاق النفيسة ، اليعقوبى ،كتاب البلدان ، أ.د. سعد زغلول ،تاريخ العرب قبل الاسلام ، أ.د. مصطفى العبادى ،محاضرات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ،ص ٧ – ١٢ .

الفصل الثالث

فى بيان ما يقع عليه اسم العرب
وذكر أنواعهم

فى بيان مايقع عليه اسم العرب وذكر انواعهم ومابينخرط فى سلك ذلك

أما من يقع عليه اسم العرب فقد قال الجوهرى فى صحاحه : العرب جيل من الناس ، و هم أهل الامصار و الاعراب سكان البادية . والنسبة الى الاعراب اعرابى . والذى عليه العرف العام اطلاق لفظة العرب على الجميع .

وقد ذكر صاحب " العبر " أن لفظة العرب مشتقة من الاعراب و هو أخذ من قولهم : أعرب الرجل عن حاجته ، اذ ابان سموا بذلك لان الغالب عليهم البيان والبلاغة ثم ان كل من كان عدا العرب فهو عجمى . سواء الفرس او الترك او الروم أو غيرهم . وليس كما تتوهمه العامة من اختصاص العجم بالفرس بل أهل المغرب الى الآن يطلقون لفظ العجم على الروم والفرنج و من فى معناهم . أما الاعجم فانه الذى لايفصح فى الكلام وان كان عربيا . و منه سمى زياد الاعجم الشاعر ،وان كان عربيا

و أما أنواع العرب : فقد اتفقوا على تنويعهم الى نوعين :-

عاربة ، و مستعربة :

فالعاربة : هم العرب الاولى الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها ،فقيل لهم عاربة ، اما بمعنى الراسخة فى العروبية ،كما يقال : ليل لائل . و عليه ينطبق كلام الجوهرى . و اما بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدئة لها ،لما كانوا اول من تكلم بها .

قال الجوهري : وقد قيل فيهم العرب العرباء .

والمستعربة : هم الداخلون في العربية بعد العجم أخذا من استفعل بمعنى الصيرورة . نحو استنوق الجمل اذا صار في معنى الناقة لما فيه من الخنوثة ،واستحجر الطين اذا صار في معنى الحجر ليبسه . قال الجوهري : وربما قيل لهم المستعربة ،لانهم ليسوا بخلص .

ثم اختلف في العاربة والمستعربة ،فذهب ابن اسحاق والطبري الى أن العاربة هم : عاد ،وثمود ،طسم ،و جديس و أميم ،و عبيل ،والعمالقة ،و عبد ضخم ،و جرهم ،و حضر موت و خضوراء ،و بنو ثابر ،و من في معناهم .

والمستعربة : بنو قحطان بن عابر وبنو اسماعيل عليه السلام ،لان لغة عابر واسماعيل عليه السلام كانت عجمية ، اما سريانية واما عبرانية ،فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة ممن كانوا في زمانهم ،وتعلم بنو اسماعيل العربية من جرهم و من بني قحطان حين نزلوا عليه وعلى امة بمكة .

وذهب آخرون ،منهم صاحب حماة - الى أن بني قحطان هم العاربة ،و أن المستعربة هم بنو اسماعيل فقط . والذى رجحه صاحب العبر ، الرأى الاول محتجا بأنه لم يكن في بني قحطان

من زمن نوح عليه السلام الى عابر من تكلم بالعربية ،وانما تعلوها نقلا عمن كان قبلهم من عاد وثمود و معاصريهم ممن تقدم ذكرهم .

ثم قد قسم المؤرخون ايضا العرب الى بائدة وغيرها فالبائدة هم الذين بادوا ودرست آثارهم ،كعاد وثمود و طسم و جديس و جرهم الاولى . ويلحق بهم مدين فانهم ممن ورد القرآن بهلاكهم .

و غير البائدة و هم الباقون فى القرون المتأخرة بعد ذلك كجرهم الثانية وسبأ و بنى عدنان ،ثم منهم من باد بعد ذلك كجرهم ،و من تأخر منهم الى زماننا كبقايا ياسبأ و بنى عدنان .

فى معرفة طبقات الانساب ومايلحق بذلك عند أهل اللغة

طبقات الانساب ست طبقات :

الطبقة الاولى : الشعب بفتح الشين ،وهو الانسب الابعد كعدنان مثلا . قال الجوهرى : وهو ابو القبائل الذى ينسبون اليه ؛ ويجمع على شعوب . قال الماوردى فى " الاحكام السلطانية" ويسمى شعبا لان القبائل تتشعب منه .

وذكر الزمخشرى فى كتابه نحوه .

الطبقة الثانية : القبيلة و هى ما انقسم فيها الشعب كربيعة و مضر : قال الماوردى : وسميت قبيلة لتقابل الانساب فيها . و تجمع القبيلة على القبائل . وربما سميت القبائل جماجم أيضا ،كما يقتضيه كلام الجوهرى حيث قال : و جماجم العرب هى القبائل التى تجمع البطون .

الطبقة الثالثة : العمارة ،بكسر العين ،و هى ما انقسم فيه اقسام القبيلة ،كقريش او كنانة ،و تجمع على عمارات و عمائر .

الطبقة الرابعة : البطن ،و هو ما انقسم فيه انقسام العمارة ،كبنى عبد مناف و بنى مخزوم ،و يجمع على بطون و أبطن .

الطبقة الخامسة : الفخذ ،و هو ما انقسم فيه اقسام البطن كبنى هاشم وبنى امية و يجمع على افخاذ .

الطبقة السادسة : الفصيلة ،بالصاد المهملة ،و هى ما انقسم فيه اقسام الفخذ كبنى العباس .

قلت : هكذا رتبها الماوردى فى الاحكام السلطانية وعلى نحو ذلك جرى الزمخشرى فى تفسيره فى الكلام على قوله تعالى (وجعلناكم شعوبا و قبائل) ، الا أنه مثل للشعب بخزيمة وللقبيلة بكنانة ،وللعمارة بقريش ،وللبطن بقصى ،وللفخذ

بهاشم و للفصيلة بالعباس ،وبالجملة فالفخذ يجمع الفصائل والبطن يجمع الافخاذ و القبيلة تجمع العمائر و الشعب يجمع القبائل .

قال النووى فى تحرير التنبيه : وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة .

قال أبو عبيدة ،عن ابن الكلبى ،عن ابيه : يقدم الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم الفخذ ،فأقام الفصيلة مقام العمارة فى ذكرها بعد القبيلة ،والعمارة مقام الفصيلة فى ذكرها قبل الفخذ و لم ينكر مايخالفه . ولايخفى أن الترتيب الاول أولى . و كأنهم رتبوا ذلك على بنية الانسان ،فجعلوا الشعب بمثابة أعلى الرأس و هى القطع الشعوب بعضها الى بعض تتصل بها الشؤون ،وهى القنوات التى فى القحف لجريان الدمع .

وقد ذكر الجوهرى أن قبائل العرب انما سميت بقبائل الرأس .

وجعلوا العمارة تلو ذلك ،اقامة للشعب و القبيلة مقام الاساس من البناء و بعد الاساس تكون العمارة ،و هى بمثابة العنق والصدر . وجعلوا الفخذ تلوالبطن ،لان الفخذ من الانسان بعد البطن . و جعلوا الفصيلة تلو الفخذ ،لانها النسب الادنى الذى يفصل عنه الرجل بمثابة الساق والقدم ، اذ المراد

بالفصيلة العشيرة الادنون ،بدليل قوله تعالى(وفصيلته التى تؤويه) أى تضمه اليها ،ولا يضم الرجل اليه الا اقرب عشيرته .

وأعلم أن اكثر ما يدور على الالسنة من الطبقات الست المتقدمه : القبيله ثم البطن ، وقل أن تذكر العمارة والفخذ والفصيلة . وربما عبر عن واحد من الطبقات الست بالحى ، اما على العموم مثل أن يقال : حى من العرب ، واما على الخصوص ،مثل أن يقال :حى من بنى فلان (١).

(١) انظر ، القلقشندى ،نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب تحقيق ابراهيم الابيارى ،طبع دار الكتاب اللبنانى بيروت ص ١١ -١٤

الفصل الرابع

أحوال بلاد الحجاز قبل الاسلام

أحوال بلاد الحجاز قبل الاسـلام

تطل بلاد الحجاز مثلها مثل اليمن على البحر الاحمـر ولكنها ليست معرضة للمؤثرات الخارجية كما هو الحال بالنسبة لليمن واسم الحجاز ظهر قبل الاسلام ولكنه كان أقل استعمـالا من نجد وتهامة و غـور .

وطبيعة البلاد قاسية من حيث الجو الاستوائى فالحـرارة مرهقة والارض قاحلة جدبة باستثناء بعض الواحات المرتفعـة على تخوم نجد او اليمن و أهم أمثلة لذلك هى مدينة الطائف القريبة من مكة . و مع أن أهل الحجاز لم يأخذوا بفكـرة الملكية الوراثية الا أنهم كانوا قد اتخذوا لهم عـادات و تقاليد تختلف عن تقاليد و عادات أهل الصحراء فى الشمال احترفوا الزراعة و خاصة فى منطقة يثرب التى ستعرف بالمدينة و التى تقع فى منطقة بركانية امكن زراعتها بفضل تنظيـم وسائل الرى والمياه والتى تأتى الى المدينة من بعض الاودية و من أشهرها وادى قناة ووادى العقيـق .

يثـرب :

و تقع يثرب او المدينة على طريق القوافل التى تتجـه من الجنوب نحو الاراضى الرومانية نحو خليج العقبة و كانـت هذه القوافل تنتهى اما الى غزة أو الى جبل حوران ولقد سكـن يثرب جماعة من اليهود و عن طريق هؤلاء اليهود

و كذلك عن طريق القوافل كان أهـــل المدينة على اتصال بما يدور حولهم بالعالم الخارجى •

مكـــة :-
============

أما عن مدينة مكة التى كانت تعتبر عاصمة للحجـــاز قبل الاسلام فانها تقع بوادى قحل تحيط به الجبال المجديـــة و هى فى الصيف شديدة الحرارة و فى الشتاء تنزل بهــــا السيول التى تغمر الاجزاء المنخفضة منها والتى تعـــرف بالمسفلـــة •

ورغم ماكانت تسببه هذه السيول من الاخطار الا أنهـــا كانت أساس الحياة فى مكة اذ تمد الابار بالمياه التـــى تجعلها اكثر صلاحية للشرب والظاهر أن الذى أعطى لمكـــة شهرتها القديمة هو بئر زمزم الذى تقول الروايات أنه نبـع بطريقة اعجازية عندما ضرب اسماعيل الصغير الارض برجليـــه وترتب على وجود الماء أن أصبحت مكة محطة للحياة على طريـق القوافل المتجهة من الجنوب أى من اليمن نحو الشمال الـــى بصرى و كانت القوافل تحمل العطور بصفة خاصة و هى مـــن منتجات بلاد اليمن فى القديم • و كان هناك طريق آخر يصـــل مكة بالخليج الفارسى متجها نحو الشمال الشرقى ولكن هـــذا الطريق لم يكن مطروقا قبيل الاسلام بسبب الحروب الدائـــرة

بين فارس الروم و هكذا نجد أن مكة على عكس غيرها من مدن الحجاز مثل المدينة او الطائف تعيش على التجارة عن طريق تصدير المنتجات المستجلبة من العطور والبخور و الجلود و الزيوت والمعادن الثمينة والاشياء المصنوعة و تسير بها الى الشمال لكى تعود بمنتجاتها من الزيوت والقمح والمصنوعات البيزنطية . وبفضل مهارة أهل مكة تمكنوا من تحويل جزء كبير من تجارة الهند نحو مدينتهم و عبر الحجاز بدلا من طريق الخليج الفارسى نحوبلاد الشام و هو الطريق الذى كان ميدانا للقتال بين الفرس والروم.

و هكذا كانت القوافل تسير من مكة نحو بلاد الشام برغم أن هذه المهمة كانت شاقة و صعبة الا أنها كانت مجزية من حيث كثرة الارباح و هكذا عمل معظم سكان مكة فى التجارة و كان زعماء المدينة من كبار التجار وأصحاب قطعان الابل يكونون مايمكن أن يشبه بطبقة ارستقراطية تولت شئون البلد وادارتها - وبناء على هذا حق لبعض الكتاب أن يصفوا مكة بأنها كانت جمهورية تجارية مثلها فى ذلك مثل الجمهوريات التجارية الايطالية التى ازدهرت ابان العصور الوسطى و قد كان لمكة مجلس من كبار التجار ورؤساء القبائل يشرف على مصالحها و يتصل بالدول الاجنبية من أجل تنظيم تجارتها و حرية مرور قوافلها و بناء على ذلك لم يعد من الغريب أن تصبح مكة مركز جزيرة العرب . والحقيقة أن التجارة لم

تكن وحدها هى التى عملت على اعلاء شأن مكة فقد كان يوجد بها المعبد الشهير و هو الكعبة و تقول الروايات انها بنيت من أقدم العهود الانسانية فآدم هو الذى عمرها عندما التقى بحواء فى المكان الذى عرف بعرفات كما يقال أن ابراهيم بناها بعد الطوفان على كل حال كان يوجد بمكة الكعبة والتى تمكن المكيون من أعلاء شأنها فى كل أرجاء الجزيرة العربية و بفضل الكعبة أصبح لهم التفوق على سائر العرب . فلقد صارت الكعبة محجا للعرب من كل أنحاء الجزيرة و ذلك رغم تعدد آلهة العرب فى الجاهلية كما سبقت الاشارة فلقد نجح القرشيون و هم سدنة الكعبة من اجتذاب كل العرب الى مدينتهم رغم اختلاف معتقداتهم والظاهر أن الكعبة بعد أن كانت معبدا للاله العربى الشهير هبل أصبحت مجمعا لعدد من آلهة العرب المشهورة مثلها فى ذلك مثل البنثيون فى أثينا .

ففى كل عام تنظم بعض رحلات الحج الى الكعبة و ذلك خلال فترة اتفق على اقرار الهدنة أثناءها فى فترة الاشهر الحرم التى يتوقف فيها القتال بين القبائل المتخاصمة و فى الوقت الذى كان يحج الناس نحو الكعبة للقيام بفرائضهم الدينية كان التجار يعرضون متاجرهم فى الاماكن المجاورة وبذلك صاحب العيد الدينى سوق تجارى عظيم كان أكبر الاسواق التى عرفتها بلاد العرب و قتئذ . و هكذا كانت تلتقى

المصالح الدينية والمصالح الاقتصادية فى صعيد واحد وكـان الحج فرصة لكى يتعارف ابناء القبائل المختلفة وليناقشوا مشاكلهم المشتركة وليعملوا على تسوية مايقوم بينهم من نزاعات كما كان السوق فرصة لسماع آخر مايبتكره الشعراء وهكذا اصبح السوق سوقا أدبيـا .

ويمكن أن نستنبط مما سبق أنه بينما كانت بلاد اليمن و مناطق الحدود الشمالية للجزيرة العربية تستقبل التيارات الاجنبية كانت بلاد الحجاز و مكة بصفة خاصة تظهر كأهم مركز في شبه الجزيرة من النواحى الاقتصادية والدينية وان هذا المركز كان أصلح مايكون لجمع شتات القبائل العربية وتوحيدهم تحت سلطان جديد . ولكن هذا لايعنى أن هذه المهمة التى سيطلع بها النبى صلى الله عليه وسلم كانت سهلة نستبين ذلك من الصعوبات الشديدة والمحن الكبيرة التى سيتعرض لها الرسول فى سبيل نشر أصول التوحيد و تحقيق الوحدة بين العرب .

و هكذا ننتقل الى النبى و ظهور الاسلام .

و أول مانشير اليه هو أنه لايمكن دراسة ظهور الاسلام بغير دراسة حياة النبى فالدين الاسلامى هو أيضا الشريعة المحمدية .

الفصل الخامس

سيرة الرسول

سيرة الرسول

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و شيقة الصلة بظهور الاسلام . و ذلك أن بداية الاسلام لاتفهم على و جهها الصحيح الا بفهم حياة الرسول .

مولد النبى صلى الله عليه وسلم :

و هو محمد بن عبد الله ،واسم محمد من الحمد لما كان فى النبى من المحاسن والمناقب . أما عن مولده فهو غير معروف على وجه الدقة ،وذلك رغم أنه كان موضوعا لكثير من الكتاب . فالمشهور أن الرسول ولد فى يوم الاثنين لثاني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول . حوالى سنة ٥٧٠ م .

ورغم أن النبى ينتسب الى بنى هاشم وبنو هاشم ينتسبون الى قبيلة قريش الغنية الا أن الرسول ولد فى ظروف صعبة اذ توفى ابوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة أثناء عودته من الشام و ذلك قبل مولده بقليل ،وتوفيت والدته السيدة آمنه و هو طفل صغير لم يجاوز السادسة من عمره . وبعد ثلاث أو اربع سنوات توفى جده عبد المطلب فأخذه عمه أبو طالب الذى كان كثير العيال قليل المال . و على ذلك كان على الصبى الصغير أن يعانى من الجوع والعطش منذ نعومة أظفاره فمارس ذلك حتى اصبح لايشكو جوعا ولاعطشا لافى صغره ولافى كبره و على ذلك اضطر النبى بمجرد ان اشتد عوده الى الكفاح

من أجل الرزق فقام بالاعمال الشاقة فرعى الغنم ،واشترك في قيادة القوافل التي تحمل المتاجر الى بلاد الشام ،كما اشترك في تطهير بئر زمزم واعادة بنائها فكان يحمل الحجارة على رقبته و هو غلام ،كما أنه اشترك في حروب قريش ولم يبلغ من العمر الا أربع عشر سنة " فكان ينبل أعمامه " أى يرد عليهم نبل عدوهم . و على ذلك عرف الصبى طفولة صعبة رغم أنه ينتسب الى قبيلة قريش الغنية .

و قبيلة قريش هذه تنقسم الى عشرة فروع أو بطون هى: "بنو عبد مناف وبنو قصى و بنو كلاب وبنو مرة وبنو كعب بن لؤى وبنو غالب و بنو فهر". ولانعرف على وجه الدقة أصل القبيلة قريش . ولكن نعرف أنه كان في مدينة مكة في القديم قبيلة تعرف باسم جرهم ثم أتت قبيلة أخرى اسمها خزاعة نجحت في اخراج جرهم من مكة واستقرت مكانها . و في هذا الوقت بدأ القرشيون يظهرون على أطراف مكة و هم أقرب ما يكونون الى البداوة فقد كانوا يشتغلون بقيادة القوافل وكراء الجمال ،و تمكن أحد زعماء قبيلة قريش و هو قصى من لم شتات القرشيين و نجح في الدخول بهم الى مكة و هناك نظم قصى طرق العبادة . وشرع مايمكن أن نسمية بدستور لحكم المدينة و بنى فعلا دارا لاجتماع زعماء القبيلة لمناقشة شئونها بجوار الكعبة تلك الدار هى المعروفة باسم دار الندوة و نظم قصى طرق العبادة و سن مايمكن أن يشبه بدستور لمكة و هكذا اصبحت سدانة الكعبة عملا وراثيا في القرشيين

و أنجب قصى ثلاثة ابناءهم : عبد الدار و عبد العزى و عبد مناف و أنجب عبد مناف أربعة ابناء اكبرهم عبد شمس الذى أنجب أمية جد الخلفاء الامويين اما ابنه الثانى فهو هاشم جد النبى الثانى . ويقول الكتاب أن بنى قصى هم الذين عرفوا باسم قريش البطاح ،بينما سمى من بقى من القرشيين خارج مكة بقريش الظواهر .

و الحقيقة أنه رغم مايقوله بعض الكتاب من أن بنى هاشم كانت لهم السيادة على مكة فالحقيقة أن التفوق في مكة كان للفرع الاموى صاحب قطعان الابل والتجارة .

واستمر النبى فى العمل فى قيادة القوافل الى أن هيأت له الظروف الدخول فى خدمة سيدة موسرة هى السيدة خديجة التى كانت تشتغل بالتجارة . وبعد أن سار النبى بتجارة السيدة خديجة فى عدة رحلات الى الشام ،تشير بعض الروايات الى أنه التقى أثناءها ببعض رهبان النصارى ، انتهى الامر بزواج النبى من السيدة خديجة رغم أنها كانت تكبرة فى العمر و طالما عاشت السيدة خديمة لم يتزوج عيرها من النساء فهى أم جميع اولاده باستثناء ابراهيم .

و أهمية زواج النبى من السيدة خديجة تتلخص فى أن هذا الزواج أراحه من عناء الجهد والتعب فى سبيل السعى وراء الرزق . وبذلك تهيأ للنبى الفراغ اللازم لتأمل وبناء

على ذلك بدا الرسول يعيش عيشة الزهد والوحدة التى يمكن أن تشبه بحياة المتصوفة و أخذ يتأمل فى المسائل التى شغلته مثل مصير الانسان ويوم الحساب وبحكم التأمل اوحى اليه أن هناك قاضى أعلى له السيطرة التامة على كل قوى الطبيعة الا وهو الله الواحد الاحد خالق الكون والذى سيحاسب الناس على أعمالهم . وبعد فترة التأمل هذه ظهر له الوحى بشكل جلى و ذلك عندما نزلت عليه الايه التى تقول " اقرا باسم ربك الذى خلق ،خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ،علم الانسان مالم يعلم " . وهنا نجد أن السيدة خديجة هى أول من آمنت بالرسول فساندته وامدته بقوة من روحها و خاصة فى ساعات الضيق . ومع مرور الوقت ،و خلال دعوة النبى الى رسالته اصطدمت التعاليم الاسلامية وخاصة ماكان يدعو منها الى المبادىء الاشتراكية والاخذ بيد الفقراء والضعفاء ، اصطدم باغنياء مكة من كبار التجار و كذلك برجال الدين الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة ويعيشون على النذور والهبات .ولقد بشر النبى هؤلاء التجار الذين كانوا لايهتمون الا بالكسب المادى بالعذاب الاليم اذا لم يخضعوا للاسلام ولرغبة الله الواحد القهار و كانت الآيات فى أول الامر عبارة عن انذار عام تشير الى عذاب النار للكافرين و تبشر بحياة الخلد للمؤمنين ولكن هذه الدعوة اصطدمت بشك البعض ،وبسخرية الاخرين ،ولم يؤمن بالدعوة الا عدد قليل من أصدقاء النبى و بعض الفقراء والعبيد

الذين وجدوا فى الدين الجديد مايعزيهم عن متاعب الحياة أما أكثرية الناس فانهم شكوا فى صدق النبى واتهمه البعض بأنه شاعر او أنه خيالى و قال البعض أنه مجنون . ولم يتورع بعض أهله و خاصة من كان يعيش منهم على سدانة الكعبة من توجيه مثل هذه الاتهامات اليه . ولكن هذه المعارضة و تلك السخرية لم تؤد الا الى تقوية اعتقاد النبى فى رسالته واشتداده فى دعوته و كان له فى قصص الانبياء السابقين ومالحقهم من الاذى من أهليهم ماقوى عزيمته فالآية تقول : " ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزءون " .

واستمر المكيون فى شكهم و أخذوا يطلبون المعجزات و ترتب على ذلك أن الهوة أخذت تتسع بينهم وبين الدعوة الجديدة . واضطر النبى الى محاربة شركهم و تحطيم اصنامهم كما بدا يرد على سخريتهم بسخرية من آلهتهم . ولكنه ابتداء من سنة ٦١٩ م أخذ يفقد سنة عشيرته ففى خلال بضعة أسابيع فقد زوجته خديجة التى كانت تمده بقوة من روحها و عمه أبا طالب الذى كان يشد أزره رغم عدم دخوله فى الدعوة و أصبح النبى وحيدا بدون ظهير . و أصبحت حياته فى مكة غير مستطاعة ولم يكن امامه ازاء ذلك الا الهجرة .

هجرة الرسول الى يثـــرب :-
======================

و تعتبر هجرة الرسول من الاحداث الهامة فى تاريـــــخ الاسلام و ذلك لانهاتفصل بين عهدين : عهد الدعوة و الدفاع ضد الاعداء . وعـهد تكوين الدولة والانتقال من الدفاع الى العمل على اخضاع الخصوم . ولقد تنبه الخليفة عمر بن الخطـــــاب الى أهمية هذا الحادث فاتخذه بداية للتاريخ عند المسلمين ولقد سبقت هجرة النبى والمسلمين الى يثرب عدة هجرات منهـا هجرة المسلمين الى الحبشة التى عرف ملكها بالتسامح وسعـة الافق . كذلك حاول النبى المسير الى مدينة الطائف ،ولكنـه قوبل هناك مقابلة سيئة اذ حرض عليه الثقفيون صبيانهـــم وسفهاءهم . وكان اللقاء تعيسا الى حد أن النبى خشـــى أن يكون الله قد تخلى عنه فقال : "اللهم اليك أشكو ضعف قوتـــى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين انـــت رب المستضعفين و أنت ربى ، الى من تكلنـــى الى بعيد يتجهمنـــــى أم الى عدو ملكته أمرى ان لم يك بك على غضب فلا أبالى ".

أما عن الهجرة الكبرى أى الهجرة الى يثرب فلقــــــد أتت فكرتها الى النبى عندما التقى ببعض العرب الذين كانـوا قد أتوا الى الحج من يثرب . ولقد كان اليهود عديدين فـــى المدينة مما جعل أهلها على استعداد لتقبل فكرة الاله الواحد ولهذا السبب يمكن ان تفسر استجابة هذه الجماعة الى النبـــى ودعوتهم له الى المسير الى بلدتهـــم .

بيعـــة العقبـــــة :
=================

ولقد تم بينهم وبين النبي حلف كما كانت تقضى التقاليد العربية و يشير الكتاب الى حلفين أو بيعتين تعرفان ببيعتا العقبة (والعقبة منزل فىالطريق من المدينة الى مكـــة).

و الحلف الاول يسمي العقبة الاولى او بيعة النساء وهذه البيعة لاتنص على الحرب اذ أنهم بايعوا النبى على أن لايشركوا بالله شيئا ولايسرقوا ولايزنوا ولايقتلوا أولادهم . ولقد رأرسل النبى مع هذه الجماعة رسولا يعلمهم أصول الدين .

أما الحلف الثانى فيسمى بالعقبة الثانية او بالعقبة الكبرى . و فى هذا الحلف قال النبى : " ابايعكم علـــى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم " كما قال لهـــم " انا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم و أسالم من سالمكم" بمعنى أنه بمقتضى هذا الحلف أصبح النبى واحدا من افـــراد المجتمع اليثربى له مالهم من حقوق و عليه ماعليهم مـــــن واجهات و كذلك الامر بالنسبة لاصحابـــه .

و فى صيف سنة ٦٢٢ م ،سار النبى من مكة الى يثـــرب فى رحلته التاريخية المشهورة التى تحيط بها الكثير مـــن الروايات التى انتهت بالنبى الى الوصول الى ضواحى يثـــرب فى موضع قباء ،حيث بنى النبى هناك أول مسجد و كان قـــد

سبق النبى الى يثرب الكثير من أصحابه . وهاجر على بن أبى طالب بعد النبــى .

و كانت هذه الهجرة بمثابة القطيعة بين مكة التـــى أصبحت تمثل مدينة الكفار و بين يثرب التى سميت بمدينـــة الرسول ثم اختصرت الى المدينـــة .

ولم يلبث الرسول بعد أن استقر فى يثرب مع أصحابـــه المكيين أن بدا فى تكوين أول مجتمع اسلامى كان النواة التى ستبنى عليها الدولـة الاسلامية فى كل أرجاء العالم ولقـــد خرج هذا المجتمع على المثل الاجتماعية القديمة التى عرفهـــا العرب و التى كانت تجعل من القبيلة و حدة سياسية مستقلـــة تعمل على الاحتفاظ بنقائها وعدم الاختلاط بغيرها من القبائـــل و ذلك أنه لم يعد بالمدينة الا جماعة المهاجرين و هم أصحاب النبى فى الهجرة . وجماعة الانصار و هم أصحابه الذين ناصروه من أهل المدينة و خلال هاتين الجماعتين لم يعد للعصبية القبلية أى وزن فلقد وحد النبى بين المهاجرين والانصار فاصبحوا أخوة فى الاسلام . ولقد كون النبى هذا المجتمع المدنى المتحـــد وسط شعب متفرق متنافر تمام التنافر اذا كان ينقسم الـــى يهود ووثنين من سكان الحضر و من العرب المهاجرين من اليمـن (الاوس والخزرج) . والحقيقة ان يثرب كانت فى أشد الحاجـــة الى الاسلام اذ كانت فريسة الصراع بين عصبيتى الاوس والخـــزرج

الذين قتلوا بعضهم بعضا فى يوم " بعاث " قبيل مبعث الرسول ورغم أن تحقيق الامن السلام فى هذا المجتمع كان مشكلة صعبة الا أن الاسلام تمكن من تحقيق اهدافه فى الوحدة عن طريق نشر روح الإخاء والمحبة فى سبيل الله ٠

وبدأ النبى فى المدينة يرسم العقائد حسب متطلبات الجماعة الجديدة ولقد نص القرآن على أن الدين الجديد ما هو الا تجديد لشريعة ابراهيم جد العرب وبانى الكعبة ٠ ولهذا السبب سمى الاسلام بالدين الحنيفى فالاية تقول : " ماكان ابراهيم يهوديا و لانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما و ما كان من المشركين " و من أجل اقامة شعائر الدين بنى النبى المسجد بالمدينة و كان مسجده بسيطا بدون زخرف فقد كان عبارة عن فناء او صحن ملاطق للدار التى يقوم فيها النبى ولقد كسيت المنطقة الواقعة فى مقدمة المسجد أى المنطقة التى يقف فيها الامام بظلة من فروع و سعف النخل و ذلك لحماية المصلين من و هج الشمس ورغم بساطة هذا المسجد فانه سيصبح كما سنرى النموذج للمساجد الاسلامية فى المستقبل بمعنى أنه سيحوى أهم مافى المساجد من اقسام و هى : بيت الصلاة المسقوف وامامه الصحن ٠ ولكى يدعو الناس للصلاة اكتفى بالاذان دون أن تكون هناك مئذنة او صومعه ٠ و هكذا تركز الاسلام فى المدينة و بدأت الامة الاسلامية تنمو يوما بعد يوم ٠ واستمر الوحى ينزل على النبى فى شكل آيات قرآنية

تكاملت و أصبحت قانونا مدنيا و جنائيا . الى جانب الآيات الخاصة بالعبادة وشعائر الدين . ومع نمو المجتمع الاسلامي في المدينة كانت الهوة تتسع بين المسلمين وبين خصومهم المشركين والمكيين . وكان من الطبيعي أن ينتهي ذلك بالصراع والحرب .

غزوات الرسول :

و هكذا بدا الجهاد فرغم أن مركز النبي الديني والسياسي كان قويا الا أن دعوته لم تقبل من جميع الناس و كان النبي يظن ان اليهود وهم أهل الكتاب سيساعدون على نشر الدين الجديد دين التوحيد، ولكن الذي حدث كان على العكس من ذلك اذ بدا اليهود ينتقدون النبي و خاصة ما أتى به القرآن من قصص الانبياء كما انهم عملوا على زعزعة الوحدة التي بدأ النبي يحققها في المجتمع الجديد عن طريق اثارتهم للحزازات القديمة بين العصبيات العربية ومحاولتهم اخراج من لم يكونوا شديدي التحمس للدعوة وكان هؤلاء يمثلون جماعة صغيرة من بين الانصار ساءهم مجيء المهاجرين الى بلدتهم . ولقد مال أفراد هذه الجماعة الى اليهود و عرفهم القرآن بالمنافقين . واستمر الجدل بين اليهود و بين النبي طوال مقامه بالمدينة وسينتهي الامر الى استعمال العنف ضد مناهضية اذا اكتفى النبي بانذار الكفار بعذاب

الاخرة و ترك الفصل بينه وبينهم الى الله فى يوم الحساب ولكن أهل مكة رغم أنهم كانوا ينعمون بتجارتهم و يستأثرون بالكعبة فانهم لم يتركوا المسلمين فى أمان فكانوا يسعون دائما الى اعادة المكيين الذين هاجروا مع النبى الى مكة و كان للنبى فى قصص الشعوب العاصية التى نزلت بها لعنة الله مثلا فالله يمكنه أن ينزل غضبه ونقمته على الكافرين بأيدى المؤمنين و هكذا نزلت الاية تقول : " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يخزهم و ينصركم الله " فكانت بداية لتشريع الجهاد .

وبدأ الانتقام من المكيين عندما أبيح شن الغارات عليهم و خاصة على قوافل المكيين ألتى كانت تمر بالقرب من المدينة و التى كانت محروسة حراسة قوية و الحقيقة أن مهاجمة قوافل مكة التجارية كان أشبة مايكون بضرب نوع من الحصار الاقتصادى على اولئك الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم .

و تنقسم الحملات التى أخذ النبى يوجهها من المدينة ضد خصومه الى قسمين : الاول منهما يعرف عند الكتاب باسم الغزوات ،والثانى باسم البعوث .

و من أشهر البعوث التى سيرها النبى ذلك البعث الذى خرج قبيل غزوة بدر الكبرى بقيادة عبد الله بن جحش و ذلك فى شهر رجب وهو من الاشهر الحرم مما ترتب عليه السماح بمقاتله الكفار ولو فى الاشهر الحرام " الآية تقول : " يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه ...... " .

وقعــة بــدر :

و كانت هذه الحملة بمثابة المقدمة لغزوة بدر الكبرى التى وقعت فى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وذلك بالقرب من ماء بدر (على بعد أربع مراحل من المدينة) هاجم المسلمون احدى القوافل المكية الاتية من الشام والتى كانت تحمل الكثير من البضائع والنقود ،والتى اشترك فيها معظم القرشيين . ورغم أن القافلة استطاعت النجاة بفضل قائدها ابى سفيان الذى تجنب طريق المدينة واتخذ طريق الساحل فان المكيين عندما علموا بالخطر ارسلوا عدة مئات منهم لحماية متاعهم وثروتهم . وكان من الممكن ان يعود المكيون من حيث اتوا لولا انهم ارادوا القيام بمظاهرة عسكرية الهدف منها تخويف المسلمين حتى لايتعرضوا لقوافلهم .

وانتهت المواجهة بالقتال . ورغم قلة عدد المسلمين بالنسبة للمكيين فقد كان النصر حليفهم و خرج المسلمون من هذه الموقعة بكثير من المغانم كما بقى فى أرض المعركة الكثير من زعماء القرشيين او المكيين . ويعتبر انتصار المسلمين فى بدر حدثا خطيرا فى تاريخ الجماعة الاسلامية الناشئة و ذلك انه قرر مصيرها كقوة لاتكتفى بالدفاع عن نفسها بل يمكنها ان تهاجم خصوما و أن تنتصر عليهم . ولقد قوت هذه المعركة مركز النبى كما دعمت الدعوة الاسلامية وذلك أن انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة ماكان يتم

الا بفضل الله . و هكذا كانت هزيمة المكيين نذيرا بنــزول غضب الله على كل الكافرين من أهل الجزيرة سواء كانـــوا ملاحدة او يهود او غيرهم ولقد نزلت الايات بعد ذلك تحــث على قتال المشركين وبدأت مهاجمتهم فى كل أنحاء الجزيــرة .

غـزوة أحـــد :.

ولكن القتال لم يكن لينتهى دائما فى صالح المسلميــن و ذلك أنه فى السنة التالية لبدر رأى فى السنة الثالثة للهجرة تنبه :أهل مكة من الصدمة التى اصابتهم من العرب واستعانوا بالمرتزقة من الاحابيش و جمعوا جيشا بلغت عدته حوالى ثلاثة آلاف رجل . بينما خرج النبى لهم فى ربع هذا العدد ، و تــم اللقاء بالقرب من جبل أحد وانتهت الواقعة بانهزام المسلمين هزيمة منكرة حتى أن النبى نفسه جرح فى الواقعة و يفســر الكتاب أسباب الهزيمة بسبب أخطاء تكتيكية حدثت أثنــــاء المعركة يمكن أنتفسر على أنها خروج على النظام والطاعـــة من أجل تحقيق مآرب شخصية ولقد قتل فى هذه المعركة عـــم النبى حمزة و مثل به ورغم الهزيمة لم ييأس النبى وسرعـــان ماارتفع من روح أصحابه اذ فسرت الهزيمة على أنها محنة امتحن الله بها المسلمين ليعرف مدى صلابتهم وتمسكهم بالدعـــوة .

غـــزوة الخنـــــدق :

و أخذ النبى من جديد يوجه السرايا الى مختلف الجهات و القبائل و كان ذلك من الاسباب التى دعت المكيين الـــى محاولة غزو المسلمين فى عقر دارهم فى المدينة و فعلا توجه المكيون و حلفاؤهم الذين كان قد أثارهم يهود بنى النضيــر نحو المدينة و كانت هزيمة احد قد علمت المسلمين الايتسرعوا فى ملاقاة اعدائهم و فعلا وقف المسلمون موقفا دفاعيا وذلــك أنهم حفروا خندقا يحيط بالاماكن الضعيفهفى شمال المدينــــة ولما كان العرب لم يعرفوا مثل هذا النوع من القتال الدفاعى تقول بعض الروايات أن سلمان الفارسى هو الذى اشار علـــى النبى بعمل الخندق الذى كان يعرفه الفرس ولقد قام الخندق بما كان يرجى منه اذ كون عقبة امام الاعداء نجحت فى صدهـــم بل و تحطم عليها هجومهم و هكذا اضطر المهاجمون بعد مـرور حوالى شهر على حصارهم للمدينة من الانصراف عنها نتيجـــــة لاحوال جوية سيئة . وعرفت هذه الغزوة التى وقعت فىالسنـــة الخامسة باسم غزوة الخندق . كما عرفت أيضا باسم غـــــزوة الاحـــــزاب .

و كانت نتائج غزوة الخندق و فشل المكيين و حلفائهم فى مهاجمة المدينة أهم من الانتصار الذى حققه المسلمـــون

فى بدر . وذلك أن هذه الوقعة وضعت خاتمة للصراع بين المدينة و بين مكة ،كما سمحت للنبى بأن يصبح صاحب السلطان الاكبد فى المدينة فبعد هذه الوقعة تم طرد اليهود نهائيا من المدينة و ذلك بعد ما اظهروه من العصيان ضد الدعوة وموقفهم العدائى اثناء الصراع ضد المكيين فعقب بدر طرد يهود بنى قينقاع الذين كانوا يشتغلون بالتجارة والصياغة فذهبوا الى خيبر حيث استقروا ، وعقب وقعة أحد تم اجلاء يهود بنى النضير . هؤلاء كانوا قد اشتركوا بعد طردهم فى الدعاية ضد النبى وساهموا فى تجميع الاحزاب ولحق بنو النضير باخوانهم فى خيبر . أما مصير بنى قريظة فكان أشد من مصير اخوانهم و ذلك لخيانتهم و تحالفهم مع الاحزاب اثناء حصار المدينة فلم يكن من الغريب أن تكون عقوبتهم هى عقوبة الخونة .

أما بعد انتصار الخندق فقد تابع المسلمون اليهود حتى خيبر واخضعوهم لسلطان المدينة وقاسوهم نخيلهم وزروعهم .

الحديبية :

و كان النبى يرغب من غير شك فى أن يعود الى مسقط رأسه هو ومن معه من المسلمين و خاصة من المهاجرين . وبدأ النبى يفكر فى العودة بطريقة سلمية وذلك عندما أعلن رغبة المسلمين فى الذهاب الى مكة لاقامة شعائر الحج . ويرى البعض ان هذه الخطوة تعبر عن ذكاء سياسى فاذا قبل المكيون

دخول المسلمين الى مكة كان ذلك نصرا كبيرا للدعوة امـــا اذا رفض أهل مكة دخول المسلمين و منعوهم من أداء مناسـك الحج فان ذلك يعنى الوقوف أمام فريضة الحج التى يقدسهـا العرب على اساس انها من شعائر ابراهيم الخليل بانى الكعبة و جد العرب . ولقد قرر النبى الذهاب الى مكة فى السنـة التالية للخندق أى السنة السادسة و ذلك خلال الاشهر الحرام و توقف النبى و معه المسلمون فى موضع يسمى الحديبيـة و كان المسلمون فى حوالى ألف رجل مما دعا المكييـن الى الرعب و الفزع حتى أنهم فكروا فى الوقوف أمام النبى لو لا أن الرسول اظهر نوايا المسلمين السلمية و بعث عثمـان بن عفان رسولا الى مكة لمفاوضة القرشيين . وطالت المحادثات والمفاوضات ولكنها انتهت بعقد اتفاق تنازل فيه النبـى عن بعض الاشياء مظهرا لكثير من القدرة السياسية . فرغـم عدم اعتراف المكيين برسالته فانه اكتفى بأن يعاملـوة معاملة الند للند بعد أن كان بالامس هاربا منهم . وتـم الاتفاق على أن يدخل المسلمون مكة بعد أن يتركها القرشيون لمدة ثلاثة أيام ولكن فى العام التالـى .

و الحقيقة أنه رغم ما اظهره بعض زعماء المسلمين مـن عدم الرضا بهذه الاتفاقية فما لاشك فيه أنها كانت انتصـارا سياسيا عظيما للنبى وللمسلميـن .

اتصالات الرسول مع الملوك الذين يحيطون بجزيرة العرب :

ولقد رفعت هذه المعاهدة من شأن النبى الذى أصبح الى جانب النبوة أشبه مايكون برئيس دولة . فبعد عودته من الحديبية مباشرة قام باتصالات دبلوماسية مع الملوك الذين يحيطون بجزيرة العرب . فأرسل بعوثا الى ملك فارس الذى يفهم من النصوص انه رد على البعث بطريقة غير مرضية . وكذلك سير سفارة الى نجاشى الحبشة الذى أحسن استقبال سفراء النبى حتى قالت بعض الروايات انه دخل فى الاسلام (هذا غير صحيح) و كذلك بعث الى حاكم مصر الذى يسميه الكتاب العرب بالمقوقس (ربما كانت قيرس) و تشير الروايات بحسن استقبال حاكم مصر لرسل النبى . وتنسب الى المقوقس انه بعث بهدية ثمينة الى النبى و كذلك تشير الروايات الى أن هرقل قيصر الروم قابل رسل النبى بالكثير من الاتزان والتعقل .

هزيمة مؤتة :

أما عن السفراء الذين ساروا الى أمراء القبائل العربية فى بادية الشام فانهم استقبلوا استقبالا سيئا مما تطلب الرد عليهم بارسال حملة عظيمة الى حدود الشام وعهد النبى بقيادة هذه الحملة الى مولاة زيد بن حارثة . ولكنه رغم عظم الحملة التى بلغت حوالى ثلاثة آلاف رجل فانها انتهت نهاية تعسة اذ انهزم الجيش الاسلامى الكبير بموضع

يعرف " بموته " (فى اقليم شرق الاردن ـ بالقرب من البحر الميت) وقتل قائد الحملة و من كانا يخلفانه فى القيادة وهما : جعفر بن ابى طالب وعبد الله بن رواحه . وعاد خالد بن الوليد بفلول الجيش الى المدينة .

و بطبيعة الحال يمكن أن تعتبر غزوة مؤته هذه بمثابة توسع خارج حدود جزيرة العرب . وبناء على ذلك فان هذه الهزيمة على الحدود البعيدة لم تكن لتقلل من شأن القوة الاسلامية الفتية و ذلك أن وفود قبائل العرب أخذت تأتى الى المدينة تعلن خضوعها وولاءها للنبى و تقبلها الدخول فى الاسلام . و كان ذلك يعنى استعداد قبائل العرب للدخول فى الدعوة و خاصة لو توقفت المعارضة من جانب القرشيين فى مكة .

دخول المسلمون مكة :

وبناء على ذلكلم يكن من الغريب أن يدخل المسلمون مكة فى السنة الثامنة للهجرة رغم الاتفاقية التى كانت قدتمت فى الحديبية . والحقيقة ان اتفاقية الحديبية كانت قد نصت على اقامة الهدنة لمدة عشر سنوات . ولكن القرشيين خرقوا هذه الهدنة عندما سمحوا لبعض حلفائهم بمهاجمة بعض حلفاء المسلمين . وهنا رأى النبى أن يواجه الموقف بما يتطلبه من الحزم والشدة و كان مركز النبى قد اشتد لدرجة

أن أبا سفيان وهو زعيم مكة والنموذج المثالى للحريــــة الجاهلية اضطر الى مفاوضة المسلمين • فحضر شخصيا الــى المدينة وانتهت الزيارة بأن تزوج النبى احدى بناته و هى: أم حبيبة • ولقد كان تقرب أبى سفيان من النبى والمسلمين من الاسباب التى سهلت دخول مكة دون مقاومة ملموســة •

ففى السنة الثامنة للهجرة سار النبى على رأس قــوة كبيرة من المسلمين الى مكه و نجح فى الاستيلاء عليها دون قتال يذكر • وتم بذلك تطهير الكعبة من الاصنام واعلنــت فيها وحدانية الله • وعلى عكس ماكان يظن لم يبق النبــى فى مكة سوى اسبوعين عاد بعدهما الى المدينة •

وكان من الطبيعى أن تخضع سائر القبائل العربيــة بعد فتح مكة • وذلك لأن معظم هذه القبائل كانت ترتبـــط بالقرشيين ارتباطا وثيقا من طريق المعاملات اليومية و عن طريق الحلف والمصاهـــرة •

يـــوم حنيـــن :
==================

ولكنه رغم ذلك نجد أن بعض القبائل لاتقبل الخضـــوع للمسلمين طواعية بل أن قبيلة كبيرة من القبائل المتاخمــة لمكة والتى كانت ترتبط بها بروابط وثيقة و هى قبيلـــة هوازن تقرر المسير الى مكة فى محاولة لاسترجاعها مـــن المسلمين وعندما يعلم النبى بهذه المؤامرة يسير علـــى

رأس اصحابه للوقوف أمام هوازن ،ويتم اللقاء بين الفريقين في موضع يعرف " بوادى حنين " (على بعد عشرة أميال من مكة) و في هذا الوادى انقضت هوازن فجأة واثناء الليل على المسلمين الذين اضطربت صفوفهم واختل نظامهم وولى الكثير منهم الادبار . ولو لاشجاعة النبى وثقته بنفسه،ولولا موقف العباس بن عبد المطلب الحازم لانتهى الامر على غير ما يشتهى المسلمون فبعد أن تنبه المسلمون من شدة الصدمة تمكنوا من استرجاع شجاعتهم المفقودة و تمكنوا من رد أعدائهم و تشتيت شملهم . فهربت هوازن من امام المسلمين . وعادت الى مدينتها الطائف واعتصمت بجدراتها . وذلك أن مدينة الطائف ذات البساتين كانت تحيط بها الاسوار . ولقد تبع المسلمون المنهزمين الى هناك وضربوا عليهم الحصار الذى طال بعض الوقت لعدم خبرة المسلمين بحرب الحصون . حتى انتهى الامر بانسحابهم ولكن بعد أن خضعت هوازن في سبيل استرجاع اموالها وذراريها الذين كانوا قد وقعوا بين أيدى المسلمين يوم حنين .

و بخضوع هوازن خضعت مدينة الطائف ،وقبائل ثقيف ،وتم تحطيم الهتها و صنمها وهو اللات بيدى أحد ابنائها وهو المغيرة بن شعبة الذى سيكون له شأنه فيما بعد .

عام الوفـــــود :

=================

وسمى المؤرخون العرب السنة التالية لفتح مكة وهـــى السنة التاسعة بعام الوفود وذلك عندما اتت قبائل العــرب الى المدينة لتعلن خضوعها الى النبــى .

تصور الروايات قصة تقبل هذه القبائل للاسلام بصــورة تتفق مع العادات التى كانت معروفة بين العرب . فمن ذلـــك ان قبائل بنى تميم الذين كانوا ينتشرون فى كثير من أنحــاء جزيرة العرب فى نجد ،و فى البحرين ،و فى الشمال حتى تخــوم العراق . اتوا بشعرائهم و خطبائهم لمناظرة شعراء و خطبــاء المسلمين و عندما انتهت المباراة الادبية بتفوق شاعـــر المسلمين و خطيبهم اعترفوا بأن النبى مؤيد من اللـــــه وقالوا :"خطيبه اخطب من خطيبنا ،وشاعره اشعر من شاعرنـــا"

و بطبيعة الحال يمكن أن يفسر مثل هذا الخضوع علـــى أنه خضوع سياسى أى خطوة لتقبل الاسلام بشكل تام .

ودخلت ايضا فى الاسلام قبائل منطقة نجران وكان كثيـــر منها يعتنق النصرانية كما دخلت ايضا قبيلة طىء ،و هـــى القبيلة اليمنية الاصل والتى هاجرت نحو الشمـــال .

وقعة تبـــــوك :.

===============

و فى هذه السنة سار النبى على رأس المسلمين الـــى ضاحية بعيدة شمال المدينة بلغت مسيرة اثنى عشر يوما حتـــى بلغ موقع تبوك على حدود الاراضى البيزنطية وهناك أعلنـــــت القبائل العربية خضوعها للمسلمين واكتفى النبى بذلك ولـــم يدخل المسلمون فى أرض بيزنطيـــة

و فى السنة العاشرة و هى السنة التالية ـ اتسعـــت الدعوة الاسلامية وعمت كل مكان فى بلاد العرب . وذلك رغـــم ظهور بعض حركات الردة التى بدأت تظهرفى اقاليم البحريـــن و عمان و رغم ظهور بعض الادعياء الكاذبين الذين أرادوا انتهاز الفرصة و تنبأوا ليكون لهم نصيب فى البلاد الى جانبالمسلمين و كان هذا يعنى أن الدعوة الاسلامية عمت كل الجزيرة وان مهمة النبى كانت قد انتهت وذلك كما تقول الاتية " اليوم أكملـــت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينـــــا" و هذه الاية تؤكد تمام الرسالة وكمالهـــا .

حجـــة الـــوداع :

===============

والظاهر ان النبى شعر بقرب نهاية اجله وأنه أرادلذلك ان يقوم بأداء فريضة الحج و كانت هى الاولى والاخيرة ،ولهذا السبب يسميها الكتاب حجة الوداع و فى هذه الحجة رســـم

مناسك الحج من الاحرام وتحية المدينة وبعد ذلك هناك الطواف حول الكعبة ثم الهرولة بين الصفا والمروة و بعد ذلـــك الخروج الى منى ورمى الجمرات واخيرا تقديم الهدى ثم انـه بعد عودته لم يقدر له أن يشاهد مسقط رأسه مرة أخرى

و عندما رجع النبى الى المدينة آخذ يعد العدة لحملة تسير الى تخوم بلاد الشام للثأر من هزيمة مؤتة • ولكـــن المرض اضطره الى تأجيل مسيرة هذه الحملة •

و عندما شعر بوطأة المرض عهد الى صاحبة و صديقــه أبى بكر بامامه الناس فى الصلاة و بعد ايام توفى النبـــى فى اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الاول من السنة الحاديــة عشـر للهجـــرة •

و بذلك نأتى الى نهاية العصر النبوى و نختمه بمحاولة تقييم لشخصية الرسول و كذلك محاولة تقييم لما أتت بـــه الدعوة المحمدية من جديــــد •

بطبيعة الحال يعتبر النبى صلى الله عليه وسلم مـــن الشخصيات العالمية الكبرى ولهذا السبب كان موضوعالكتابات الكتاب من العرب والمسلمين و من غير العرب و من غيـــر المسلميـــن •

والرسول بالنسبة للعرب وللمسلمين هو الرجل المثالى الذى ينبغى على كل مسلم و عربى أن يحتذى سيرته . كذلك قدره غير العرب و غير المسلمين تقديرا عظيما . هذا ولو أن بعضهم تعرض بالنقد لبعض النقاط الخاصة بسيرة الرسول و لكنه يمكن الرد بسهولة على مثل هذه النقاط .

أما أهم الصفات التى تميز بها الرسول فهو انه كان يعرف حدود مقدرته فلا يتعداها الى ما لاطاقة له به : فمثلا عندما وجد عدم نجاح الدعوة فى مكة وانه يحرث فى أرض صلبة لاتستجيب له رأى الا ينهك قواه دون جدوى وقرر نقل مركز الدعوة الى يثرب التى كانت اكثر استجابة للدعوة وتقبلا لمبادى الاسلام .

كذلك رأيناه لايحاول اخضاع مكة بالعنف والقوة ولم يحاول الرجوع اليها الا بعد ان كانت قد هدأت الامور فيها وتهيأت المدينة لعودة النبى والمسلمين .

والى جانب المقدرة و حسن وزن الامور تميز الرسول بالاخلاص والحماس فى الدعوة اما مايقال من أنه تزوج بأكثر من امراة . فيمكن الرد عليه بسهولة فقد عرفنا انه طالما عاشت السيدة خديجة لم يتزوج الرسول غيرها من النساء .

أما الزوجات اللاتى اتخذهن بعد ذلك ،فكان ذلك لاسباب خاصة منها الحلف مع بعض القبائل العربية ومنها ماتم فى شكل عمل من أعمال البر والتقوى .

والى جانب هذا اتصف الرسول بصفات الزعامة : فهـــو شجاع لايتردد فى أن يجود بنفسه فى وقت الشدة . حدث هـــذا فى أحد عندما عرض نفسه لسيوف الاعداء فجرح و اشيع أنه قتل و حدث هذا أيضا فى وادى حنين عندما ثبت ورد العزائـــــم لمن كانت قد خانتهم عزيمتهـــم .

الى جانب ذلك كان النبى صديقا و فيا كريما يحبـــا للفقراء فهؤلاء كانوا يتمتعون بمركز خاص بالنسبة له . وفى ذلك ينسب الى النبى قال : " اجلس كما يجلس العبد " وهـذا يعنى بساطة النبى . ولكنها بساطة من ذلك النوع الذى يحفظ الهيبة وجلال الشخصية و فى ذلك تقول الروايات انه : كـــان يشعل مصباحة بيده ،و ينظف مسكنة و يفترش الارض ويرتـــــق ثيابه الى جانب تلك البساطة تشير النصوص الى أنه كان يهتم بنفسه فهو يتزين و يستخدم الخضاب (الحناء) ،كما كـــان يحب العطـــر .

هذا عن شخصية الرسول أو عن محمد الرجل الانســان اما فيما يتعلق بالدعوة التى أتي بها فهى وان كانت قـــد اتصفت بالجدة واتت بمثل جديدة لم تكن معروفة من قبل الا انها لم تقطع الصلة بالماضى تماما فقد حافظت على الكثير مـــن التقاليد والعادات العربية الطيبة كما يتمثل اتصالها بالماضى فى فريضة الحج و هى التى سيكون لها شأنها كما سنذكر فيمـــا بعـــد .

أما عن القرآن فهو دستور الجماعة الاسلامية الذى لم يترك صغيرة ولاكبيرة الا احصاها . وهو الى جانب احتوائه على الايات الخاصة بالعقيدة كان قانونا جنائيا و مدنيا و على ذلك فهو الذى ينظم الحياة العامة والخاصة للمسلمين.

و مثل هذا يمكن ان يقال عن الاحاديث التى تكون الى جانب القرآن اساس التشريع الاسلامى فيما بعد .

أما عن العقيدة الاسلامية فلها أسس خمسة كان لها آثارها العميقة فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ففريضة الصلاة وهى الفريضة العملية الوحيدة تقريبا فى الاسلام كانت بسيطة لاتدع مجالا لتردد الضمائر الحائرة ويرجع الفضل الى الصلاة فى نشأة المسجد هذا المسجد عرفه اصول من عمقه كما رأينا نظرا لوقوف المصلين فى صفوف مستقيمة و نظرا لافضلية الصلاة فى الصف الاول . والى جانب بيت الصلاة حوى المسجد العناصر الهامة التى سيحتفظ بها الجامع العربى فيما بعد رغم أنه لم يكن يحتوى على المحراب والمئذنة.

و الصلاة الى جانب اهميتها من حيث العقيدة كانت ايضا وسيلة تنظيم للجماعة هذا التنظيم كانت له اثاره على التنظيم العسكرى فوقوف المصلين فى صفوف اشبه ماتكون بوقوف الجيش فى صفوف متراصة ، الامام فى مقدمة المصلين اشبه مايكون بالقائد فى مقدمة الجيش.

أما عن الشهادة فكانت لها اهميتها الكبرى فقدكان ينادى بها خمس مرات من أعلى المئذنة لدعوة الناس الى الصلاة و على ذلك اصبحت المئذنة تقوم بما يقوم به الساعة فى الميادين فى المدن الحديثة • اما بما تقوم به الاذاعة او التلفزيون حديثا من حيث تحديد الوقت و على ذلك كانت المئذنة هى التى تنظم الحياة اليومية فى المدينة •

لهذا السبب تطلب ان يكون بناء المسجد الجامع فى قلب المدينة •

ولما كان الجامع يؤم أكبر عدد من الناس و خاصة فى الصلوات الكبرى كان من الطبيعى ان تقام حوله الاسواق وبذلك اصبح الجامع فى المدينة العربية الى جانب كونه المركز الدينى فى المدينة المركز الاقتصادى ايضا هذا امر له أهميته •

هذا فيما يتعلق بالمسجد وبالاذان وبالشهادة •

الصوم :
==============

أما فيما يتعلق بالصوم فهو الى جانب أنه يعمل على قوة النفس و تحمل الانسان للجوع و العطش ورغم أنه يعمل أيضا على ترقية النفس والسمو بالروح عن طريق تعذيب او قتل الجسد فكانت له وظيفة اجتماعية كبرى أشبه مايكون بوظيفة الصلاة من حيث أنها كانت وسيلة تنظيم و ترتيب للجماعة هذا التنظيم

يظهر فى اضراب الجماعة عن الطعام فى وقت واحد ثم بدأهـا للطعام وفى وقت واحـد .

هذا كما أنه كان عاملاً من عوامل الربط بين الجماعة العربية الاسلامية فى مختلف الاقطار اذ خلال شهر الصوم كان المسلمون يمارسون عادات وتقاليد خاصة .

الزكـاة :
===============

بعد ذلك سنتكلم عن القاعدة الرابعة و هى الزكاة و الزكاة هى دفع الضريبة السنوية عن الاموال و هذه أيضا لها اهمية خاصة وذلك انها كانت من الموارد الاساسية بالنسبة للدولة و الزكاة على نوعين احدهما اجبارى تجبيه الدولة و هذا يؤخذ على الدخل وعلى راس المال أيضا - وكون الضريبة على رأس المال له أهمية خاصة وذلك أنه يحوى فى ثناياه فكرة اعادة توزيع الثروة - و تسرى أيضا على قطعان الماشية و على مختلف المحاصيل ومكاسب التجار من عادية واستثنائية و كذلك تسرى على الممتلكات التى لاتنتج مثل الاراضى البور.

هذا عن النوع الاجبـارى .

أما عن النوع الاختيارى فهو الذى يعرف بالصدقة وهذا لاتجبيه الدولة بل يدفعه المؤمن مباشرة الى المستحقين

والمستحقين بطبيعة الحال هنا هم طبقة الفقراء . وهذا كما لاحظ البعض اول تطبيق للافكار الإشتراكية عرفه العالم.

وهناك آيات فى القرآن تبين كيفية توزيع ضريبة الزكاة والفقراء هم أول من يستفيد منها ففى سورة البقرة تقول الاية " واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا ،وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة و آتوا الزكاة ثم توليتم الاقليلا منكم و أنتم معرضون " .

و فى سورة الحشر : " ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم " .

و الذى نلاحظه على هذه الضريبة انها كانت الضريبة الوحيدة التى يخضع لها المسلمون .

و فى صدر الاسلام وجدت موارد أخرى للاموال منها : الضرائب التى يدفعها اهل الذمة ،و كذلك الاموال الاتية عن طريق المغانم والاسلاب اما عن الضرائب الاخرى التى ظهرت فيما بعد فانها ظهرت نتيجة لتطور تاريخى طبيعى ويسميها بعض الكتاب بالمغارم .

الحـــــج :

============

أما القاعدة الخامسة للاسلام و هى التى تعتبر العقيدة الاخيرة فهى الحج و قد كانت لها اهميتها الخاصة أيضـــا بالنسبة للجماعة الاسلامية ، فالحج كان اشبه مايكون بمؤتمر اسلامى يجتمع فيه المسلمون من جميع انحاء العالم ، والـــى جانب القيام بالشعائر الدينية كان يمكن لهم مناقشـــة مشاكل الجماعة و حل الخلافات التى توجد بينها و من هـــذا الوجه كانت فريضة الحج عامل من عوامل الربط بين مختلـــف جماعات المسلمين ،هذا كما أن رحلة الحج عملت على اقامـــة نوع من الوحدة الثقافية والنفسانية الى جانب زيادة عملهـــا أيضا على زيادة الروابط الاقتصادية بين الاقطار المختلفة .

و الحقيقة انه رغم خروج الخلافة من بلاد الحجـــاز و عدم عودتها اليها ابدا هذا فيما بعد . نجد أنه بفضـــل الحج ظلت بلاد الحجاز تحتفظ بمركز مرموق بين مختلف البـــلاد الاسلاميـــة .

الجهـــاد :

==============

و الى جانب القواعد الخمسة هذه يرى بعض الفقهـــاء اعتبار الجهاد من قواعد الاسلام ايضا . والحقيقة أنه كـــان

للجهاد اهميته الكبرى فى نشر الدعوة الاسلامية و فى قيـــام الدولة العربية الكبــرى •

وسيظل للجهاد اهميته العظيمة عندما تبدأ الدولــــة فى الاضمحلال • فقد كان الجهاد هو الرابطة التى تربط بيـــن جماعات العربوالمسلمين للوقوف امام المعتدين والدفاع عـــن أرض العروبة والاســــلام •

الفصل السادس

عصر الخلفاء الراشدين

عصر الخلفاء الراشدين

أهتم ماتتميز به هذه الفترة هو حركة الفتوح الكبرى التى ستنتهى بالجماعة الاسلامية الناشئة فى فترة قصيرة لم تكد تبلغ الثلاثين عاما فتصل الى حدود افريقية (البلاد التونسية الحالية) من جهة الغرب وإلى اواخر مشارق بلاد فارس حتى تخوم التركستان و يرجع الفضل الى الخلفاء الراشدين فى هذا التوسع و خاصة الخليفتين الاولين ابوبكر و عمر على و جه الخصوص .

عهد الخليفة الاول ابو بكر

فى صبيحة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم استعرت الاهواء حول من يخلفه فى رياسة الجماعة الاسلامية وحدث نوع من التنافس بين المهاجرين والانصار اذ اجتمع هؤلاء الاخيرون فى سقيفة بنى ساعدة المشهورة أرادوا أن يختاروا احدهم وهو سعد ابن عبادة من الخزرج ليخلف النبى ولكن المهاجرين تمكنوا من العمل بسرعة واستطاعوا بفضل جهود عمر بن الخطاب من تقديم ابى بكر وكان ذلك على أساس ان النبى كان قد اختار ابا بكر لامامة الناس بالصلاة عندما اشتد عليه المرض فيقال : انه قيل للانصار ارتضاه النبى لديننا فكيف لانرضاه لدنيانا وعلى ذلك اعتبر اختيار ابو بكر لامامة الصلاة كأنه ترشيح لتولى الخلافة (1)

(1) انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، طبعة بيروت ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ، (الفصل الحادى والثلاثون)(فى الخطط الدينية الخلافية)

الامر موقفا حازما حتى يقال أنه قال : " لو منعونى خطـام بعير لقاتلتهم عليه " . هذا فى الوقت الذى كان عمر بـن الخطاب يميل الى شئ من التساهـل .

محاربة المرتديـن :

وبمجرد عودة الحملة التى كان سيرها نحو الشمـال بقيادة آسامة بن زيد سير على رأسها البطل الشهير خالد بـن الوليد لحرب الثوار وقام خالد بأعمال عظيمة ضد المرتديـن فهزم طليحة الذى ظهر فى نجد ثم أنه واصل السير الى الخليج الفارسى وانزل هزيمة مريرة ببنى تميم و متنبئتهم سجـاح بنت الحارس بن سويد ثم أنهُ عاد الى وسط الجزيرة الى منطقة اليمامة و كان عكرمة بن أبى جهل قد لقى هزيمة هناك علـى أيدى مسيلمة الكذاب فاستطاع خالد أن يلحق بمسيلمة و حلفائه من عرب بنى حنيفة هزيمة نكراء فحاصرهم فى احدى الواحـات المسورة و قتل منهم مقتلة كبيرة حتى سميت الواحة بحديقـة الموت . وبعد ذلك قام جيش اسلامى آخر وعبر صحراء الدهنـاء واوقع بقبائل البحرين واخضعهم وبعد ذلك استطاع عكرمة بـن أبى جهل ان يحقق انتصارات كبيرة فى جنوب شرق الجزيرة فـى عمان وعلى طول الساحل الجنوبى فى حضر موت و كان لبـلاد اليمن متنبيها هى الاخرى و يعرف بالاسود العنسى و لكنه قـام فى بلاد اليمن اضطراب بين العناصر الوطنية والعناصر القومية

وبين الموظفين الفرس و كان ذلك لصالح الجماعة الاسلامية
اذ انتهز الخليفة الفرصة وارسل الى هناك قوة تمكنت من
القضاء على المرتدين وبسقوط اليمن فى الغرب و عمان فى
الشرق كان من الطبيعى أن تخضع كل بلاد حضر موت وبذلك تم
القضاء على حركة الردة خلال سنة واحدة وعادت الوحدة الى
الجزيرة تحت قيادة المدينة والخليفة .

==============================

التوسع الى خارج جزيــرة العـــرب :-

==============================

بعد الازمة التى انتابت الجماعة الاسلامية اثناء حركة الردة وهى التى يصورها ابن خلدون تصويرا طريفا عندمــــا يقول " كان المسلمون كالغنم فى ليلة ممطرة لقلة عددهــــم وكثرة عدوهم واظلام الجو بموت نبيهـــم " .

وبعد انتهاء الازمة بفضل مجهودات ابو بكر و عمـــــر وابى عبيدة تغيرت الاحوال وعادت الوحدة من جديد و صــــار العرب قوة فاتحة استطاعت خلال فترة قليلة أن تصل الى جيحون شرقا و مجردة فى بلاد تونس غربا . وبطبيعة الحال يرجـــع الفضل الى تكتل العرب هذا الى الدعوة الاسلامية البسيطـــة التى لاتدع مجالا لتردد الضمائر هذا الى جانب بساطة العـــرب فى ذلك الوقت و تكوينهم لقوة متناسقة غير طبقية فالنصـوص التى تصف عرب ذلك الوقت تقول : " ان التواضع كان أحب اليهم من الرفعة والموت احب اليهم من الحياة يجلسون على التــراب و يأكلون على الركب وأميرهم كواحد منهم " هذا كما انه كــان للعقيدة الاسلامية اثرها على التنظيم العسكرى عند العـــرب فالصلاة كانت اشبه ماتكون بتنظيم عسكرى للمسلمين هذا كمـــا أن معنويات العرب كانت مرتفعة ارتفاعا لم يعرف له مثيل مـــن قبل فالمنتصر كانت له المغانم والشهيد كانت له جنه الخلـــد.

هذا كما أنه اذا ماقارنا بين بساطة العرب وبين القوات المعادية من بيزنطية وفارسية نجد أن بساطة العرب هذه حققت لهم نوعا من التفوق العسكرى فالعرب كانوا يستخدمون الخيول الصغيرة الضامرة السريعة العدو وهذه حققت لهم سرعة الحركة أشبه بما تحققه الفرق الميكانيكية السريعة الحركة فى الحرب الحديثة •

هذا كما أن فن العرب الحربى الذى عرفوه فى صحراواتهم والذى يعرف بالكروالفر حقق للعرب ما يمكن أن يشبه بالضرب غير المباشر الذى حققته المدفعية فى الحروب الحديثة• وهذا النوع من الحرب كان غريبا على القوات الفارسية والبيزنطية التى كانت بطيئة الحركة مثقلة بالسلاح من ذلك ما سنراه من أن القوات الفارسية كانت تربط أفرادها بعضهم الى بعض بالسلاسل• هذا كما أن عرب فارس كانوا يقولون " العرب أعرف بقتال العرب " •

ومن الناحية الأجتماعية كانت المجتمعات البيزنطية والفارسية مجتمعات طبقية من الطراز المتطرف فقد كان هناك الملك الأعظم كسرى وبعده طبقات كبار القواد وكبار رجال الدولة ورجال الكنيسة وصغار الناس من الأحرار والعبيد بمعنى أنه كان مجتمعا متنافر تمام التنافر ومن الناحية الدينية كانت هناك اختلافات دينية كثيرة ففى بيزنطة كان هناك نزاع

بين أصحاب فكرة الطبيعة الواحدة وبين أصحاب ثنائية السيد المسيح أصحاب الطبيعة الالهية والانسانية معا.

وفى فارس كان هناك صراع بين الزراد شتيه والمانوية والمزدكية وهى الديانات الشرقية القديمة المبنية على فكرة ثنائية الوجود وهى أن العالم مبنى على فكرة الصراع بين الخير والشر الخير يرمز له بالنور والشر يرمز له بالظلام.

ومن الناحية العسكرية كان الموقف أيضا مضطرب فهناك قوات كبيرة العدد لكنها مثقلة بالسلاح والعتاد مما يسبب لها نوع من البطء فى الحركة كذلك معنويات غير مرتفعة على هذا الإساس يمكن أن نفسر المعجزة التى حدثت والتى حققت للعرب التفوق على الامبراطوريتين العظيمتين. ذلك الأمر الذى حير مؤرخى العصور الوسطى والذى لايزال حتى اليوم موضوع جدل بالنسبة للكتاب .

والى جانب هذا وذاك نجد كل من الدولة الفارسية والدولة البيزنطية عمل على أضعاف الآخر وقد استمرت الحرب بين الامبراطوريتين فترة طويلة حقيقة أن الحرب بين بيزنطة وبين فارس انتهت بانتصار شبه نهائى للدولة الرومانية وانتهى الأمر بدخول هرقل سنة ٦٢٨ المدائن وخرب قصر الأكاسرة . ولكنه رغم هذا النصر الذى حققته الدولة البيزنطية فانها أضعفت

معنويات الجند والقوات وربما كان للسياسة الدينية التي مزقت الدولة آثارها على ضعف معنويات الرجال والحقيقة أن اشراك الدولة لولاياتها في تلك المنازعات الدينية كان سببا من أسباب الثورة والتباعد بين هذه الولايات وبين بيزنطة وخاصة ولاية الشام .

وفيما يتعلق بفارس فانه بعد الكوارث العسكرية التي لحقت بها نجد أن الدولة تمر بأزمة داخلية عصيبة هذه الأزمة الداخلية تتمثل في أنه خلال فترة قصيرة امتدت من سنة ٦٢٩ الى ٦٣٢ جلس على عرش الأكاسرة ثمانية ملوك وأخيرا رفع النبلاء الى عرش فارس كسرى يزد جرد الثالث وهو آخر ملوك آل ساسان . هذا كما أنه كان لقضاء فارس على الدولة العربية الواقعة على تخومها الغربية وهي دولة الحيرة آثارة الوخيمة على الدولة اذ انكشفت حدودها من هذه الجهة لم تستطيع أن تقف أمام الغارات التي أخذ يقوم بها العرب وتمكن العرب من احراز انتصارات لامعة على الجيش الساساني النظامي ومن أشهر تلك الانتصارات وقعة ذي قار .

هذا التمهيد نبدأ بعده الكلام على الفتوح نفسها وأول الفتوح هو :

فتح العراق :

رأينا أن عرب الحيرة كانوا قد بدأوا الصراع ضد الدولة الفارسية وكان من هؤلاء العرب بنو بكر نسبة الى بكر بن وائل الذين كانوا ضمن العرب المقيمين على حدود الدولة الفارسية وكانوا قد دخلوا فى الاسلام وعندما بدأت حركة الردة ارتدت جماعات منهم عن الاسلام ولكن البقية ظلت راسخة العقيدة وعملت على ارجاع المنشقين عن الاسلام والدخول فى حظيرة الدولة ورأى زعيم البكريون المسمى المثنى بن حارثة أن يشرك العرب المسلمين معه فى غاراته على العراق وتمكن فعلا من الحصول على موافقة الخليفة ابى بكر الذى أرسل اليه جيشا على رأسه أمهر قواد العرب وهو خالد بن الوليد وكان على خالد أن يقوم بقيادة وادارة العمليات الحربية واتجه بقواته نحو مملكة اللخميين القديمة بالحيرة وتمكن من الاستيلاء على مدينة الحيرة نفسها وخضع زعيمها الذى كان يدين بالمسيحية الى المسلمين ووافق على دفع الجزية • ولكن حاكم الولاية الساسانى وهو هرمز حاول أن يدافع عن ولايته فجمع كل قواته ووقف أمام العرب ولكنه انهزم فى موقعة تعرف عند الكتاب العرب باسم (يوم السلاسل). وذلك لأن الفرس كانوا قد اقترنوا بالسلاسل لئلا يفروا واستولى المسلمون على مغانم عظيمة كما أنهم استطاعوا أن يهزموا جيشا ساسانيا آخر كان قد جاء لنجدة المنهزمين على عجل •وبعد أن

حقق خالد هذا النصر آتته الأوامر من الخليفة بترك جبهة العراق والمسير الى بلاد الشام فترك خالد المثنى بن حارثة على ضفاف الفرات واخترق هوبادية الشام فى رحلة غريبة يطنب الكتاب فى وصفها وفى مقدرة خالد الكبيرة فى قيادة الرجال واختراق الفيافى •

فتوح الشام :

مثل هذا يمكن أن يقال عن فتح بلاد الشام أيضا وعن فتح فلسطين بمعنى أن الفتح قد تم حسب الظروف وحسب مقتضى الأحوال هذا ولو أننا لانعرف بالضبط كيف بدأت القوات العربية الاسلامية تسير الى بلاد الشام وهنا يمكن أن نفكر فى أن فتح الشام يمكن أن يكون استمرار للخطة التى بدأت تتضح معالمها على أيام الرسول لأننا رأينا كيف سار عدد من السرايا الاسلامية أيام الرسول الى تخوم بلاد الشام •

بدأ أبو بكر يسير السرايا من المدينة نحو الشمال وكانت هذه السرايا تبلغ الآلاف من الرجال بمعنى أنها كانت أشبه ما تكون بحملات كبيرة ووضع الخليفة على رأس هذه السرايا عدد من كبار الرجال من الصحابة وخاصة من أولئك الذين اظهروا كفاءة عسكرية فى حروب الردة من هؤلاء عكرمة بن ابى جهل وخالد بن سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وابو عبيدة بن الجراح ومن أشهر القواد المسلمين الذى ساروا الى الشام يزيد بن أبى سفيان

الذى لحق به أخوه معاوية • هذا الأمر له أهمية كبيرة لما سيترتب عليه من النتائج فى تقرير مصير بلادالشام كما سنرى فيما بعد •

وعندما بدأت هذه السرايا العربية تجتاز حدود الدولة الرومانية حشد حاكم قيصرية الرومانى وهو البطريك سرجيوس قواته بسرعة واندفع محاولا قطع الطريق على العرب والتقى الطرفان بموضع يعرف (بالعربة) غربى البحر الميت • وكان كارثة بالنسبة للجيش البيزنطى وكان قائد هذه الواقعة هو يزيد بن أبى سفيان •

واعقب ذلك لقاء القوات العربية بالقوات البيزنطية فى واقعة ثانية تعرف بداثن وداثن موضع غير بعيد من غزة • وانتهت الواقعة بهزيمة البيزنطيين وبقى البطريق سرجيوس على أرض المعركة وأخذ العرب مغانم وأسلاب كبيرة وكانت هذه الانتصارات تعنى انفتاح أبواب فلسطين أمام القوات العربية • عند ئذ وجدت حكومة الشام البيزنطية أن الأمر لايتعلق بمجرد غارة من الغارات التقليدية التى كان يقوم بها العرب على حدود الدولة وعلى ذلك اخذت الحكومة تحشد قوات أكبر من القوات السابقة ولكننا سنجد أنها لن تكون أكثر خطرا • وأمام الحشود البيزنطية رأى العرب أن يطلبوا النجدة من المدينة وأرسل

لهم ابو بكر الأمدادات كما آنه بعث الى خالد بن الوليد يأمره بترك ميدان القتال فى العراق والتوجه الى بلاد الشام لمساعدة آخوانه هناك . وحقق خالد بن الوليد المع انتصاراته على القوات البيزنطية وذلك فى موقعة تعرف بأجنادين التى تعتبر من المواقع الفاصلة فى فتوح الشام ويمكن أن نحدد موقع آجنادين هذه فى موضع بين مدينتى الرملة وبيت جبرين على بعد حوالى خمسة وعشرين كيلومتر جنوب غربى بيت المقدس . وقبل أن ينتهى شهر من هذا الانتصار الكبير توفى الخليفة آبوبكر.

خلافة عمر بن الخطاب

وعلى أيام عمر ستستمر الفتوح ولكن بشكل أكبر وبطريقة أكثر تنظيما . يفهم من روايات المؤرخين العرب انه عندما شعر أبو بكر بمرضه الذى مات فيه اختار عمر بن الخطاب لكى يؤم الناس فى الصلاة وكان ذلك يعنى أنه يرشح عمر لكى يختاره المسلمون بعده للخلافة . والحقيقة أن شخصية عمر كانت شخصية قوية طاغية ويمكن أن يقال أن عمر لم يكن فى حاجة الى ترشيح أو تزكية فلقد رأينا أنه هو الذى وجه الانظار نحو أبى بكر يوم السقيفة وكان يمكن لعمر أن يأخذ الخلافة لو أنه أراد ذلك فى هذا اليوم .

ونلاحظ أنه عندما اختير عمر للخلافة لم تقم ضده معارضة وذلك رغم ما عرف عن عمر من صفات شخصية عنيفة فهو لايعرف الملاطفة وهو يمتاز بصراحة فى الحق وشدة وصلابة ربما لم تجعله محبوبا فى أعين عامة الناس .

والحقيقة أن قوة شخصية عمر وصفاته العنيفة هذه كانت لازمة فى ذلك الوقت العصيب الذى انتابت فيه الجماعة الاسلامية ما يمكن أن يشبه بازمة التوسع الكبير . والى جانب ما عرف عن عمر من العنف والشدة كانت له من المزايا ما تجعله رجل دولة من الطراز النموذجى فهو يحسن التقدير ثم انه واقعى إلى

حد كبير حازم في تصميمه ثم ثم أنه عرف بالتفاني من أجل مصلحة الجماعة . ويمكن القول أن عمر بعد أن ولي أمر الخلافة سار على نفس المنهاج الذي سار عليه أبو بكر وذلك أن عمر شارك مشاركة فعلية في ادارة شئون الدولة حتى أطلق بعض الكتاب الافرنج وهو لامنس على خلافة ابي بكر اسم حكومة الرجال الثلاثة فهو يعتبر أن عمر وأبي عبيدة كانا شريكين فعليين لأبي بكر . بل يمكن أن يقال أن خطة الفتح كانت من عمله هو أولا وقبل كل شيء وعلى ذلك فعندما اعتلى كرسي الخلافة واصل نفس العمل الذي بدأه أبو بكر ولكن بشكل أدق وعلى نطاق أكبر . وبطبيعة الحال استمرت الحرب في نفس الجبهتين في جبهة العراق وفي جبهة الشام ويلاحظ هنا أنه لايمكن أن نرتب الحوادث ترتيبا دقيقا والحقيقة أن هذا لايرجع الى قلة المعلومات في بعض الأحيان بل ربما كان الأمر على العكس من ذلك ففي كثير من الأحيان تكثر المعلومات ولكنها تتضارب وتختلط بشكل يجعل من الصعب تنظيمها.

والذي سنلاحظه هو أن فتح فارس لن يتم دون صعوبات اذ سيلقى العرب كثيرا من المقاومة كما ستعترضهم بعض العقبات الطبيعية من الانهار ومن الجبال وهذا ما لم يصادفوا مثله في بلاد الشام .

فى كتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر" (١)

وبمقتل أبى عبيد انهزمت القوة العربية وعادت لكى تعبر النهر على جسر القوارب فانقطع أمام اندفاعهم فكان من غرق فى النهر أكثر ممن قتل فى الواقعة. ولهذا السبب عرفت الموقعة بواقعة الجسر .

وعاد المثنى بن حارثة بالناجين عبر الجسر بعد أن أعيد أصلاحه وكان ذلك الانهزام يعنى خطورة موقف العرب فى العراق ولكنه منحسن الحظ أن الاحوال الداخلية اضطربت فى مركز الدولة وتطلب الأمر استدعاء القائد الفارسى بمهن الى المدائن وكان فى ذلك هذنه للعرب تمكنوا فيها أن يلموا شتات قواتهم واستطاع المثنى بن حارثة أن يحرز انتصارات أخرى بالقرب من الحيرة. فى هذا الوقت كان يمكن للعرب أن يعودوا الى عبور الفرات من جديد والتوجه نحو العاصمة الفارسية المدائن ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأنه وصلتهم أنباء عن حشد الدولة الساسانية لقوات جديدة فتطلب الأمر طلب المثنى بن حارثة المدد من المدينة . دعا الخليفة عمر الناس الى الجهاد وتجمع الناس فى أعداد وفيرة منهم من آتى طلبا للجهاد ومنهم من آتى طمعا فى المغانم فالنص يقول " وكان الناس ما بين محتسب وطامع " وتقول النصوص ان عمر بن الخطاب فكر فى أن يقود هو القوات بنفسه نحو فارس فخطب الناس وقال " أيها الناس أنى كنت عازما على الخروج معكم وأن ذوى

(١) انظر السعودى ، مروج الذهب طبع بيروت سنة ١٩٧٠، ج٢، ص ٥ - ٧١ والسعودى ينقل عن الواقدى فى كتابه " فتوح الامصار".

المشورة والرأى منكم قد صرفونى عن هذا الرأى وأشاروا بـأن أقيم وأبعث رجلا من الصحابة يتولى أمر الحرب". وعهد بقيادة هذه القوات الى الصحابى المشهور سعد بن أبى وقاص.

وقعة القادسية :

وعندما وصل سعد الى العراق لم يتهور فى الحرب مع الفرس بل انه أخذ يستشير زعماء العرب الذين اعتادوا الحرب مع الفرس منذ أزمان بعيدة وبناء على نصائح هؤلاء تقرر الانسحاب من الحيرة واتخاذ موقف دفاعى وتقابل الجيشان الفارسى والعربى قرب مدينة القادسية القديمة على بعد حوالى ثلاثين كيلومتر من الكوفة أى فى جنوب منطقة النجف. وهذه المنطقة غنية بالعيون والمياة وكانت عامرة فى القديم حيث وجدت العاصمة البابلية القديمة وظل الجيشان يراقب أحدهما الآخر طوال عدة شهور. وخلال هذا الانتظار دارت المفاوضات بين العرب والفرس قام فيها المغيرة بن شعبه بدور السفير لسعد بن أبى وقاص مع رستم وقواده وانتهت المفاوضات بالفشل وانتهى الأمر بالتحام الجيشين. ويصف الكتاب العرب الجيش الفارسى وصفا رائعا فهناك رستم القائد الأعلى يحيط به خمسة من كبار القواد عليهم حلل الديباج وغالى السلاح وفى مقدمة الجيش فرقة الفيلة المعروفة ولكنه يظهر أن الامبراطورية فى ذلك الوقت لم تستطع أن تحشد الا حوالى ثلاثين فيلا فقط وعلى هذه الفيلة تحمل الأبراج وفى داخل الابراج الرجال ومعهم السهام

وحول الفيلة مجموعات من الرجال لحماية الفيلة • وكـــان الجيش الفارسى يحمل راية كسرى العظيمة المصنوعة من جلـــود النمور والمرصعة بالجواهر الغالية والتى لم تكن تظهر الا فى المناسبات الكبرى وفى مواجهة هذا الجيش العظيم وقف الجيـــش العربى فى بساطته المعهودة فالناس فى صفوف منتظمة وفـــى المقدمة يقرأ الناس آيات القرآن التى تحض على الجهـــاد وأحاديث الجهاد وأيضا ينشد الشعراء أشعار الحماسة • وخلـف الرجال كانت تقف النساء من أجل تحميس الرجال ودفعهم الـــى حسن القتال الى جانب استعداد النساء لمواساة الجرحـــى وتضميد جراحهم •

واستمر القتال لمدة ثلاثة أيام وأخيرا وصلت الامدادات من الجبهة الشامية الى سعد وأصحابه فى القادسية وكان ذلـك سببا فى رجحان كفة العرب وعلى ذلك وبعد معركة دامية انتهـى يوم القادسية بفرار الجيش الفارسى ولقى رستم حتفه وأخـــذ العرب راية الامبراطورية الكبرى المعروفة بالدرفشان•وعلى ذلك كانت موقعة القادسية من المواقع الفاصلة وكان يمكن للعـــرب أن يسيروا الى العاصمة مباشرة ولكنهم وجدوا من حسن السياسة التأنى بعض الشىء وتأسيس قواعد أو مدن عربية لهم فى العراق وفعلا تم بناء المدينتين المشهورتين البصرة على شط العـــرب والكوفة فى جنوب خرائب مدينة بابل القديمة وهى غير بعيد :

من الفرات وستصبح كل من المدينتين مركزا لانتشار الاسلام والعروبة الجانب كونها قاعدة أمامية للعرب تمكن لهم أن يواصلوا التقدم فى جنوب الامبراطورية الفارسية وستصبح هذه السياسة تقليدية عند العرب فى الأمصار التى ستفتح فيما بعد.

وبعد القادسية ستصبح قصة فتح فارس عبارة عن سلسلة من الانتصارات المتوالية التى يحرزها العرب على القوات الفارسية المنسحبة أو المنهزمة نحو الشرق . ومن أشهر الوقائع موقعة نهاوند بالقرب من همدان نظرا لأهمية هذه الواقعة يطلق عليها الكتاب " فتح الفتوح " . وأخيرا سينتهى فتح فارس فى سنة ٣١ هـ . على أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان وذلك بمقتل آخر ملوك آل ساسان وهو يزدجرد الثالث فى مدينة مرو الشاهجان.

الدور الثانى من فتوح بلاد الشام :

اذا ما قارنا فتح بلاد الشام وبلاد فارس نجد أن العرب لم يلقوا صعوبات كثيرة كتلك التى لاقوها فى بلاد فارس فقد سقطت بلاد الشام دون جهد كبير وقد رأينا كيف انتصر خالد بن الوليد والعرب فى واقعة أجنادين التى حدثت قبيل وفاة أبى بكر وكان من نتائج هذه الوقعة هو انفتاح أبواب فلسطين أمام المسلمين ولقد جاءت الامدادات الى القوات الرومية البيزنطية ولكنها لم تستطع أن توقف تقدم المسلمين الذين اتتهم الامدادات بدورهم فازدادت قواتهم عددا وأصبحت أكثر نظاما وعلى ذلك

ـان العرب لم يكتفوا بالغارات التقليدية بل كان هدفهم مــــن الحرب هو الاستقرار فى البلاد.

وفى سنة ١٤ وصل العرب الى أسوار دمشق وبدأوا فى حصــار المدينة ولكنهم لم يتمكنوا من احدها عنوة نظرا لبساطة معداتهم وقلة امكانياتهم فى حروب الحصار ولكنه بعد عدة أشهر كنـــادت الـ..امية أن تستسلم اذ خرج أسقف المدينة لمفاوضة العرب ولكـــن لم يقدر لهذه المفاوضة أن تنتهى بالاتفاق اذ رأى العـــرب أن بيزنطة تحشد قوات كبيرة وعلى ذلك رأوا أن ينسحبوا الى منطقــة الجابية فى جنوب دمشق .وتجمعت القوات البيزنطية وتقدمت نحــو العرب فانسحبوا الى موضع على الضفة الجنوبية من نهر اليرموك وهو أحد روافد نهر الأردن . ورغم أن الجيش البيزنطى كان كبيـر العدد اذ حوى ما يزيد عن ثلاثين ألف رجل الا أنه لم يكن حســن التنظيم اذ اضطربت بعض عناصر هذا الجيش وخاصة من الأرمن الذيـن أعلنوا الثورة ونادوا بسقوط الامبراطور هذا كما كان الجيــــش ـى يشمل عددا من عرب بلاد الشام عرب الغساسنة الذين كانوا ـدمة الدولة وهؤلاء عندما التقى الجيشان لم يروا محاربــــة ـنـاء عمومتهم أواخوانهم العرب المسلمين بل حاربوا بفتـ.. بـل أنهم انهزموا فكان ذلك سببا فى انهزام القوات البيزنطية جميعا وقتل قائد الجيش البيزنطى وهو تيودور بينما تقدم العـــرب ليطاردوا الهاربين فى كل أنحاء بلاد الشام وعلى ذلك انفتحــت

أبواب البلاد من جديد أمام القوات العربية • وبعد اليرموك استسلمت مدينة دمشق كما خضعت للعرب حلب وانطاكية وبعد ذلك بسنتين فتحت بيت المقدس التى كانت محاصرة أبوابها للعرب وجاء الخليفة عمر فى ثيابه البسيطة لتسلم مفاتيح المدينة •

وبدأ عمر منذ ذلك الوقت يعمل على تنظيم الادارة فى البلاد المفتوحة ثم انه جاء وباء شديد فتك بكثير من العرب وقضى على عدد كبير من كبار الرجال منهم يزيد بن أبى سفيان وأبوعبيدة وكان يزيد قد عين واليا لمدينة دمشق • وعلى ذلك فان عمر بن الخطاب عين أخاه معاوية بدلا منه ومنذ هذا الوقت بدأ معاوية يثبت أقدامه فى دمشق وفى بلاد الشام حتى انتهى به الأمر كما سنرى فيما بعد بنقل الخلافة الى دمشق وفى سنة ١٩ هـ سقطت مدينة قيصرية ويعتبر سقوطها نهاية فتح بلاد الشام وفى هذا الوقت صعد العرب على طول الفرات واحتلوا مدينة الموصل فكان ذلك بداية فتح ارمينية وفعلا سقطت عاصمة ارمينية وهى مدينة دوين بين أيدى العرب فى سنة ٢٢ هـ •

فتــح مصــر :

يتضح من روايات الكتاب القدامى أن عمرو بن العـــاص كان شديد الحرص على فتح مصر ، بينما كان الخليفة عمر مترددا بعض الشــيء وهذا أمر طبيعى فالمسئولية تقع فى آخر الأمر علـى عاتق الخليفة . ولكنه رغم ذلك فان هذا التردد من جانب عمر يبين أن جزءا كبيرا من الفضل فى التوسع الاسلامى يرجع الـى القواد وكبار رجال الدولة الذين وجدوا فى ميادين الأحداث .

وعلى كل حال خرج عمرو بن العاص من الشام فى سنة ١٨هـ متجها نحو مصر ولاشك أن الخليفة كان على علم بمقصده اذ أن فتح مصر كان ضرورة استراتيجية للمسلمين بعد أن انتزعوا بلاد الشام من بيزنطة هذا الى جانب ما يمكن أن يفهم من أن عمروبن العاص ربما ساءه أن آلت ولاية الشام الى معاوية بن أبى سفيان بعد وفاة أخيه يزيد فأحب أن يكون فتح مصر من نصيبه ويفهـــم هذا مما يقوله بعض الكتاب من أن عثمان نصح عمر وقال له :"أن عمرا جريئا يجب الامارة وأنه يخشى أن يتعرض المسلمون معـــه للهلكـــة " .

وتقدم عمرو بقواته الصغيرة التى لم تتجاوز الخمســـة آلاف رجل وهو مطمئن تمام الاطمئنان وذلك أنه كان على علـــم بأحوال مصر المضطربة وما كانت عليه من الضعف العسكرى وفعـــلا

صدقت فراسة عمرو واستطاع بقواته دخول الفرما (قريبة من مدينة بور سعيد الحالية) . دون مقاومة وتقول النصوص أن القبط ساعدوا عمرو وكانوا أشبه ما يكونون بقوات مساعدة للجيش العربى وتقدم عمرو بعد ذلك نحو بلبيس دون أن يجد الا مقاومة ضعيفة وانتهى به الأمر الى الوصول الى قلعة بابليون فى المكان الذى توجد به القاهرة الآن وحيث كان يقيم حاكم مصر الذى يعرفه الكتاب العرب باسم المقوقس . ووجد عمرو أنه من الصعب على قواته الصغيرة وماكان لديه من القوات البسيطة الاستيلاء على الحصن فبعث الى المدينة يطلب المدد من الخليفة فسير عمر مددا يبلغ حوالى أربعة آلاف رجل على رأسهم الصحابى المشهور الزبير بن العوام وكما حدث فى فارس ظن المقوقس أن العرب انما جاءوا فى غارة عادية من تلك الغارات التى كانوا يقومون بها ولكنه عندما وجد اصرارهم على القتال رأى أن يفاوضهم من أجل الانسحاب وعرض عليهم أن يدفع لهم مبلغا من المال وعرض المسلمون شروطهم المعهودة من الدخول فى الاسلام أو دفع الجزية أو الحرب وانتهت المفاوضات بالفشل وتمكن العرب من الانتصار فى واقعة تعرف " بعين شمس" واستولوا على بعض قلعة بابليون وتنسب الروايات فضل هذا النصر الى ما أداه الزبير ابن العوام من شجاعة وجرأة شخصية .

واضطر والى مصر الى الخضوع للأمر الواقع وقبل الشروط التى عرضها العرب وتمت اتفاقية تقضى بدفع الجزية بمقدار

دينارين على كل رجل وصار المفوض الى القسطنطينية ليحصل على موافقة هرقل ورفض الامبراطور الموافقة على الصلح بل أنه غضب على المقوقس وأمر بنفيه وفى هذه الأثناء تم الاستيلاء على حصن بابليون وكان هذا يعنى انفتاح الطريق أمام العرب الى الفيوم والصعيد ولم يبق أمام عمرو سوى الاسكندرية وكان يظن أن المدينة الكبيرة المفتوحة على البر ستقاوم العرب بفضل أسوارها وتحصيناتها وفعلا وقف العرب أمامها حوالى سنة وذلك الى أن عاد المقوقس وكان هرقل قد اقتنع بوجهة نظره ومال الى قبول مبدأ المفاوضة وكانت الخلافات قد مزقت الاسكندرية فانتهى الأمر بأستسلام المدينة صلحا وتقررت عليها جزية ولكنها تختلف عن جزية بابليون وذلك أنه اشترط أن يدفع كل حسب مقدرته ومالديه من الزرع والارض .وتم الاتفاق على أن يرحل الروم عن المدينة والا يعودوا اليها أبدا .وفى أثناء حصار الاسكندرية نشبت بعض الحرائق فى المدينة وربما أتت على بعض الكنائس وهناك بعض الروايات التى تقول أن العرب احرقوا فى هذا الوقت مكتبة الاسكندرية المشهورة ولكن هذا الرأى لا أساس له من الصحة فهو لم يظهر عند الكتاب الا فى وقت متأخر بينما لانجد لمثل هذا الحريق أى اشارة عند قدامى الكتاب .

وترك عمرو بالاسكندرية حامية عربية ثم انه عاد الى موضع بابليون حيث بدأ فى بناء مدينة عربية جديدة لتكون عاصمة للبلاد ومركزا اسلاميا وقاعدة عسكرية يمكن للعرب أن يواصلوا منها التقدم نحو المغرب . وبدأ عمرو باختطاط المسجد الجامع وأطلق على المدينة اسم " الفسطاط " فهذه الكلمة تعنى المعسكر . وقد عرف الجامع باسم جامع عمرو واسم الجامع العتيق وذلك على نفس النسق الذى بنى عليه مسجد النبى فى المدينة وهو النموذج للمسجد العربى كما قلنا . والى جانب المسجد الجامع بنى عمرو دار الامارة ثم انه قسم الأرض فيما حول المسجد ودار الامارة الى خطط وزعها على القبائل العربية التى استقرت فى المدينة . هذا بينما نزلت بعض القبائل العربية فى الموضع الذى عرف باسم الجيزة . وهذا المسجد مع مرور الوقت كان موضع عناية الولاه والأمراء على مر الأيام فأخذ يزداد حتى اتخذ شكله الأخير فى أوائل القرن الثالث الهجرى .

فتح المغرب :

وبعد فتح مصر كان من الطبيعى أن يوجه عمرو بن ال انظاره نحو المغرب نحو برقة وطرابلس وذلك لتأمين حدود الغربية وفعلا لم تكد الاسكندرية تسقط فى سنة ٢١ هـ حتى و. عمرو مسيرة نحو المغرب وتم له فتح

برقة بسهولة فى سنة ٢٢ هـ واتبع ذلك بفتح مدينة طرابلس وفيما بين الفتحين سير احد قواده وهو عقبة بن نافع الفهرى نحو الصحراوات الجنوبية ففتح فزان وودان وتوغل جنوبا فى الصحراء حتى واحة زويلة وبذلك اصبح ما بين برقة وزويلة للمسلمين . وهكذا تم فتح مصر وآمنت حدودها الغربية على أواخر أيام الخليفة عمر بن الخطاب .

تنظيم الدولة على ايام عمر :

لا يعتبر عمر بن الخطاب مؤسس الدولة العربية فقط وبطل توسعها العكسرى بل يعتبر ايضا صاحب الفضل فى وضع نظمها وكان لابد فعلا من وضع هذه التراتيب والنظم وذلك أن دولة المدينة الصغيرة اتسعت اتساعا كبيرا وشملت أقاليم غنية كبيرة وشعوب ذات حضارات عريقة وعمر هو صاحب هذه النظم ولكن هذا لايعنى أنه قلب الأوضاع رأسا على عقب أو أنه أتى بنظم جديدة تمام الجدة ولكن الذى حدث فعلا هو أنه نقل النظم التى كانت معروفة فى الشام وفى مصر وفى بلاد الفرس ولكنه عدلها بحيث تتلاءم مع مبادىء الاسلام ويبالغ بعض الكتاب فى نسبة كثير من النظم والتراتيب الادارية الى الخليفة عمر بن الخطاب حتى أنهم ينسبون اليه الكثير من تلك التراتيب التى لم تعرفها الدولة العربية الاسلامية الا فى وقت متأخر نسبيا . وهدف الكتاب من ذلك هو اعطاء هذه النظم المتأخرة

نوعا من الأصالة والصحة بنسبتها الى عمر.

وأول التجديدات التى أدخلها عمر هو تنظيمه للأرض فى البلاد المفتوحة فالارض فى البلاد المفتوحة كان يمكن أن يمتلكها المسلمون خصوصا اذا ماكانت قد فتحت فتح عنوة (بالقوة) لكنه اتضح انه من الأفيد للجماعة الاسلامية أن تترك الأرض بين أيدى فالحيها وخاصة أن العرب لم يكونوا قد خبروا فن الزراعة وذلك فى نظير دفع الضريبة السنوية المعروفه باسم الخراج.

وهذه الضريبة تختلف بطبيعة الحال عن ضريبة الجزية وهى ضريبة الرؤوس . والى جانب الاموال الآتية من الخراج والجزية كان هناك ما يعرف باسم الفىء والفىء هى الأموال التى تأتى الى الجماعة الاسلامية على أيام السلم على عكس الاموال التى تأتى عن طريق الحرب والتى تعرف بالمغانم هذا ما كان يأتى الى بيت المال من جماعة غير المسلمين .

أما عن جماعات المسلمين فكانت تدفع ضريبة الزكاة ولم يكن المسلم يدفع غيرها من الضرائب والزكاة كما قلنا تنقسم الى اجبارية والى اختيارية يسموها صدقة انما الضريبة الأصيلة تؤخذ على رأس المال وفيما بعد عندما ستتطور النظم

سيدفع المسلمون ضريبة الخراج [(١)] كما ستحدث ضريبة أخـــرى .

(١) الخراج : والخراج هو مقدار معين من المال أو الحاصلات ويفرض على الأرض التى فتحها المسلمون عنوة ، اذا عدل الخليفة عن تقسيمها على المحاربين ووقفها على مصالـح المسلمين بعد ان يعوض المحاربين عن نصيبهم فيهـا أو يسترضيهم كما فعل عمر بن الخطاب . ويؤ خذ عن الارض التى أفاء الله بها على المسلمين فملكوها وصالحوا أهلهـا على أن يتركوهم فيها بخراج معلوم يؤدونه الى بيـت مال المسلمين .
وكان الخراج اما شيئا مقدرا من مال أو غلة كما صنـع عمر بن الخطاب فى أرض السواد ،واما حصة معينة مما خرج من الأرض . ويطلق على ذلك المعاملة أو المزارعة ، كمـا عامل النبى أهل خيبر على نصف ما يخرج من الأرض قليـلا كان أو كثيرا .
وقد أختلف المؤرخون فى تقدير الخراج ،فقصره بعضهم على جزية الرؤوس التى فرضت على أهل الذمة ، وقصره غيرهـم على ضريبة الأرض . وكل منهما يخالف ما جرى به عـرف الرواة الذين تحدثوا عن مقدار الخراج فى الولايات، فهم يالخراج المال الذى يأتى من احدى ناحيتين : الاولـى . الضرائب الشخصية المعروفة بالجزية الرؤوس ، الثانيـة ضرائب الأطيان .لذلك اختلف المؤرخون فى تقدير الخراج .
ولم يكن الخراج ايرادا ثابتا للدولة ، اذ كانت ضريبـة الاطيان تقل وتكثر حسب الاهتمام بالتعمير واصلاح الجسـور والخلجان وتحسين وسائل الرى ،كما أن جزية الرءوس كانت تتناقص بالتوالى لدخول أهل الولايات الاسلامية فى الاسلام . انظـر الماوردى، الاحكام السلطانية ،حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسـلام السياسى ح ١ ،ص ٤٦١ - ٤٦٣ .

تسمى العشر (١).

وترتب على هذا التنظيم أن أصبح المجتمع في داخل الدولة العربية يتكون من طبقات من الناس أولها طبقة العرب وهؤلاء يكونون ما يمكن ان يشبه بطبقة من الأعيان تشتغل بالحروب والسياسة والأدارة فقط .

ويلى العرب طبقة من أهل البلاد الذين دخلوا فى الاسلام وهؤلاء عرفوا باسم الموالى (٢).

---

(١) العشر: وكانت هناك ثلاثة أنواع من الاراضى لايفرض عليها الخراج ،وانما يدفع عنها أصحابها عشر ثمارهاوغلاتها وتسمى الارض العشرية . وقد ذكر الماوردى هذه الأنواع فقال :

١ - الارض التى أسلم أهلها وهم عليها بدون حرب ، فهذه كانت تترك لهم على أن يدفعوا عنهاضريبة العشر زكاة ،ولا يجوز بعد ذلك أن يوضع عليها خراج .

٢ - الارض التى ملكها المسلمون عنوة اذا قسمها الخليفة على الفاتحين ، فهذه تعتبر أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها خراج.

٣ - الارض التى كانت تؤخذ من المشركين عنوة ،وهذه تعتبر غنيمة تقسم بين الفاتحين فيملكونها ويدفعون عنها العشر من غلتها، وحينئذ تكون أرض عشر لا يوضع عليها خراج

أنظر ،الماوردى ، الأحكام السلطانية

(٢) المولى : الحليف ،وهو من أنضم اليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك والمولى مولى الموالاة وهو الذى يسلم على يدك ويواليك .

والمولى :مولى النعمة وهو المعتق أنعم على عبده بعتقه

- والموالي اسم يطلق فى عهد الدولة العربية على أهل الامصار المفتوحة الذين دخلوا فى الاسلام لانهم يدينون بالولاء للعرب . انظر ، ابن منظور ،لسان العرب المحيط، اعداد وتصنيف يوسف خياط، طبع بيروت ،المجلد الثالث ص ٩٨٥.

بعد هذا تأتى طبقة ثالثة هى طبقة أهل البلاد الذين ظلوا على دياناتهم الأصلية وهؤلاء أصبحوا اهل ذمة لهم الحق فى المحافظة على عقيدتهم ولهم الحق فى ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية والدولة كفيلة بحماية كنائسهم ومعابدهم وذلك فى نظير دفع الضرائب المقررة عليهم . " ضريبة الجزية والخراج" والحقيقة أن طبقة أهل الذمة هذه عرفت حالة مدنية أحسن بكثير من تلك التى عرفتها قبلمجىء العرب على أيام الدول السابقة . والضرائب التى كان يدفعها أهل الذمة كانت ضرائب محتملة ولم تكن ثقيلة . فى أول الأمر كما رأينا كانت ضريبة موحدة على جميع الناس ولكنه سيتضح فيما بعد أن هذا التنظيم سيحتاج الى شىء من التنظيم فسيتغير الوضع الى ما يمكن أن يشبه بضريبة تصاعدية حسب القوة الاقتصادية للشخص

وبفضل هذه الأموال التى كانت تتدفق على الدولة منمواردها المتنوعة هذه فكره الخليفة فى تنظيم توزيعها بعد أن كان ذلك يتم حسب مقتضى الظروف والأحوال وعمر هو الذى نظم توزيع هذه الأموال عندما أنشأ ما يعرف عند الكتاب باسم الديوان اذ يقال انه أتى اليه بالمدينة مال كثير،فجمع الناس الى المسجد وقال لهم أن شئتم عددت لكم عدا وان شئتم كلت لكم كيلا فقال له أحدهم لو عملت لنا يا أمير المؤمنين ديوانا كما يعمل الفرس وفعلا

قرر عمر عمل الديوان (سجل أو دفتر) .وقسم الناس الى طبقات حسب القرابة للنبى صلى الله عليه وسلم وحسب السابقة فى الاسلام . بطبيعة الحال للطبقات المتقدمة الأولى أرزاق أكبر من الطبقات المتأخرة. وهذا الديوان لم يكن يستطيع ارضاء جميع المطالبين بالحصول على الأرزاق والرواتب واتضحت فيه ثغرات لعمر حتى أنه يقال انه قرر أن يعيد تنظيمه من جديد ولكنه وافته المنية وذلك عندما اغتيل أوطعن بيدى رجل من الموالى يسمى أبو لؤلؤة وكان غلاما للمغيرة بن شعبة. ويمكن الى حد ما الربط بين مسألة توزيع الأموال وتنظيم الديوان وبين قتل الخليفة فهناك بعض الروايات التى تجعل السبب فى مقتل عمر هو سخط بعض الناس على طريقته فى توزيع الأموال.

وعندما قتل عمر لم يكن قد ترك وصية خاصة بمن يخلفه فى رياسة الدولة ولكنه كان قد عين ستة من الناس جعل حق الامامة والخلافة لواحد منهم حسب اختيار الناس هؤلاء الستة هم : على وعثمان وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله واشرك معهم ابنه عبد الله بن عمر على الا يكون له من الأمر شيء بمعنى أن وجوده كان استشاريا فقط ولم يكن من المرشحين لتولى الخلافة وبعد مداولات طويلة وقع الاختيار على عثمان بن عفان بصعوبة .

خلافة عثمان بن عفان

وعثمان بن عفان من أسرة الأمويين فهو عثمان بن عفان ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو يلتقى مع النبى فى عبد مناف .

ولم يكن عثمان بن عفان يتمتع بما كان يتمتع به سلفه عمر بن الخطاب من الحزم والعزم وقوة الشخصية فالمعروف عن عثمان انه هادىء متسامح طيب رقيق بمعنى انه لايتصف بالصفات التى كانت تجب فى الرجل الذى تقع على عاتقه مسئولية ادارة شئون الدولة والحكم فى هذا الوقت الذى انتابت فيه الجماعة الاسلامية أزمة نتيجة التوسع الكبير الذى تحقق على أيام عمر بصفة خاصة . فالأموال والثروات التى آلت الى العرب نتيجة للفتح والمغانم والأسلاب التى تدفقت على مركز الخلافة أى فى المدينة وعلى المدن العربية التى أنشئت فى الأقاليم (الكوفة والبصرة والفسطاط وغيرها) . كل هذا جعل العرب يتجهون الى التمتع بمباهج الحياة والأخذ بنصيب كبير من الترف والابهة وهو الأمر الذى ازعج أصحاب الورع والزهد والضمائر الحية من المسلمين الذين كانوا يتمسكون بالسنن الأولى . وحدث التنعم والترف هذا فى الوقت الذى أخذت فيه الدولة تتطور وتتخذ الدواوين والموظفين وترتب الجيوش بينما أخذت الأموال التى كانت تتدفق على بيت المال فى القلة نتيجة لتوقف الفتح واتساع الدولة الى تخوم خراسان

وآفريقية بمعنى أنه بينما كانت تزداد المطالب المالية كانت تقل الموارد ولايمكن للخلافة أن ترضى مطالب جميع الناس . وحسب تنظيم الديوان الذى رتبه عمر كان الخليفة هو صاحب الحق الأول والآخير فى توزيع الرواتب والأرزاق.وكان لأقارب الخليفة عثمان من الأمويين نصيبهم الكبير فى تلك الارزاق بطبيعة الحال وتنص الروايات على آن عثمان بالغ فى اكرام آقاربه فعهد اليهم بالولايات والقيادات وخص لهم الأرزاق الكبيرة مع أن هؤلاء لم يكونوا من السابقين الأولين فى الاسلام بل ويمكن القول آن بعضهم لم يدخل فى الاسلام الا جريا وراء المصالح الشخصية والاطماع الخاصة وذلك عندما تحققوا من انتصار الاسلام .

وهكذا بدأت المعارضة ترتفع شيئا فشيئا ضدتصرفات الخليفة ، كما بدأ الانقسام يظهر فى صفوف المسلمين واضحا للعيان وبدأ البعض ينتقد الخليفة وينتقد حاشيته وآقاربه وخاصة أولئك الذين دخلوا متأخرين فى الاسلام ومن كان يظن أنهم وقفوا موقفا فاترا ازاء الدعوة . وهاجم المعارضون الولاه الذين عينهم عثمان وانكروا عليهم معيشتهم وسط مظاهر الترف والابهة كما انكروا عليهم سوء استغلالهم للولايات فى سبيل ارضاء عثمان وخاصته واتهموا الخليفة بالضعف بل ان معارضتهم وجهت حتى ضد ما كان يقوم به عثمان بدافع الورع والتقوى والمثل لذلك المعارضة التى قوبل بها عندما امر

بتوسيع المكان المحيط بالكعبة أو ماتام به من جمع القرآن جمعاً نهائياً وهو العمل العظيم الذى مازال يذكر له حتـــى اليوم .

ووجد المعارضون اللوم الى عثمان على سياسته المالية ونازعوه فى أن يكون له كل السلطات التى كان يمارسها سلفه عمر وأبو بكر. وبدأت جماعات تنادى بأن الأحقية فى رئاســة الجماعة الاسلامية وفى تولى الخلافة ينبغى أن تكون لآل البيت ووجد أصحاب هذا الرأى كثيرا من الأنصار والأتباع وخاصة بين الفرس الذين عرفوا فى القديم النظام الملكى الوراثى وصادمت فكرة الوراثة الملكية هذه نجاحا فى مصر ففى الفسطاط كمـــا كان الحال فى البصرة وفى الكوفة بدأت دعاية خافته فى أول الأمر لمصلحة على ثم انها اتخذت الشكل العلنى مع مـــرور الوقت . وحاول عثمان أن يتخلص من التهم التى وجهت اليـــه فقال انه يسير على المنهاج الذى رسمه عمر من قبل وفى ذلك تقول النصوص انه خطب خطبة بعد أن زاره على ووجه اليه اللوم على بعض تصرفاته التى ذكرناها فقال : " لكل شئ آفة ولكـل أمير عاهه وان آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما يحبون ويسرون عنكم ما يكرهون الا فقد والله عبتم على ما اقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطأكم برجله وضربكم

بيده وقدعكم بلسانه فلنتم له على ما أحببتم وكرهتم. ولنت لكم وأوطأتكم كتفى وكففت يدى ولسانى عنكم فاجترأتم على أما والله لانا أعز نصرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا".
١

وأظهر عثمان استعداده للتخلص من الولاه غير المرغوب فيهم فى الأقاليم ولكن هذا التساهل من جانبه لم يهدئ من ثورة المعارضين ففى المدينة نفسها أى العاصمة قام فريق من معارضى الخلافة والتفوا حول السيدة عائشة زوجة النبى والظاهر أنه فى أثناء تلك الاجتماعات التى كانت تعقد ضد الخليفة تقررت مؤامرة ترتب عليها دخول جماعات مسلحة الى المدينة تطالب بخلع عثمان وكانت هذه الجماعات التى دخلت المدينة قد أتت من مصر من الفسطاط وكذلك من البصرة ومن الكوفة وتقدمت تلك الجماعات الى داخل المدينة وهنا نلاحظ أن الخليفة عثمان وهو رئيس أكبر دولة فى العالم فى ذلك الوقت لم يكن لديه حرس خاص أو جيش خلافى لحمايته ضد الثوار. ولهذا السبب رأى عثمان أن يداريهم وأن يسايس هذه الجماعات وانتهى الأمر بأن انسحبت تلك القوات المسلحة الساخطة على الخليفة فى ظروف غير معروفه لنا تماما وربما حدث ذلك بعد أن وعدها عثمان ببعض الوعود ولكنه بعد أن خرج الثوار رجعوا من جديد الى المدينة والظاهر أنهم لقوا بعض المضايقات أثناء الطريق وفى هذه المرة لم يكتفوا بدخول المدينة بل انهم

ضربوا الحصار حول دار الخليفة وطالبو بأن يخلع نفسا
عثمان وقال مقالته المشهورة :" لا اخلع قميصا البسنه
وتأزم الموقف فشدد الثوار الحصار على بيت عثمان حتى
الماء وفى هذا الوقت ظهر زعماء المعارضة بمظهر المحا
فعائشة غادرت المدينة وسارت نحو مكة بينما اظهر على ا
انقاذ الخليفة ولكن الحصار ظل مضروبا على دار الخليف
أسابيع وأخيرا عندما آتت الأنباء بسير قوات من الشام
معاوية لأنقاذ عثمان سار المعارضون وتسوروا دار الخلي
انتهى نهاية اليمة اذ قتل وهو يقرأ القرآن وقطعت أصا
زوجته وهى تحاول الدفاع عنه فكان مقتل عثمان الدامى
سببا فى انفتاح مصاريع أبواب الفتنة التى تعرف عند ال
باسم الفتنة الكبرى .

خلافة على ابن أبى طالب

بعد مقتل عثمان تمت البيعة لعلى فى المدينة ومبايعة أهل المدينة كانت موضع جدل بين الناس اذ نادى البعض بأنه يجب الانتظار الى أن يصل كبار الصحابة من الامصار حتى يتم الاجماع ويصبح صحيحا. ولكنه اتضح أن هذا الأمر غير ممكن وعلى ذلك تمت بيعة على ولكن بيعته لم تخلص له تماما اذ ظهر له منافسان هما طلحة والزبير اللذان بايعاه فى المدينة ثم عادا وقالا انهما بايعا مكرهين .

وكان طلحة والزبير كما نعرف من كبار الصحابة والى جانبهما ظهر معارضون آخرون نادوا باقامة الحد على قتلة عثمان وعلى ذلك اتضح أن على لن يستطيع القيام بأعباء الحكم لكثرة أعباؤه . فرغم أن على اتصف بشجاعة تكاد تكون أسطورية الا أنه كان ينقصه القطع والحزم فيما يتخذه من قرارات وعلى ذلك لم يستطع على أن يفرض نفسه على الجميع أو أن يقر سلطانه . ففى المدينة اتهم فى مسلكه الذى يدعو الى الشك فى موقفه بالنسبة لقتلة عثمان وقامت عائشة التى ربما كانت من المحرضين على عثمان تتهم عليا ولانعرف ان كان ذلك لأسباب سياسية أم لأسباب شخصية وذلك انها كانت تكن لعلى كراهية دفينة منذ وقت قليل.

أما فى بلاد الشام فقد قام معاوية بن أبى سفيان ضد قتلة عثمان قريبه وضد على الذى استفاد من مقتل عثمان وكون كل

هؤلاء المعارضون جبهة واحدة جعلت هدفها هو المطالبة بالثأر لدم عثمان الخليفة المظلوم (أى الذى قتل ظلما) وانضمت عائشة الى طلحة والزبير وخرجت معهما الى البصرة فى العراق بحثا من الأتباع والأنصار.وتتبعهم على الذى سار بدوره الى الكوفة وكان له كثير من الأتباع المخلصين هناك. ومسألة خروج على وخصومه من الحجاز الى العراق لها أهمية كبرى فى تاريخ الدولة العربية الاسلامية وذلك أنه يعنى تفوق الأمصار أو الأقاليم والشعوب التى دخلت فى نطاق الدولة على مهد الاسلام وذلك من النواحى البشرية والاقتصادية ثم السياسية. اذ فى الحقيقة أن خروج على من المدينة كان خروجا نهائيا للخلافة من المدينة اذ أنها ستنتقل بعد على الى بلاد الشام وبعد أن تنتهى الدولة الأموية ستنتقل الى العراق الى بغداد وبعد سقوط بغداد أمام جحافل الترك أمام المغول ستنتقل الخلافة الى مصر الى القاهرة مع المماليك ولن تعود أبدا الى بلاد الحجاز.

والتقى على والخارجون عليه فى مكان غير بعيد من مدينة البصرة يعرف بالخريبة والظاهر أنه كان بالقرب من قصر خرب قديم وذلك في سنة ٣٦ هـ وانتهى القتال الدامى فى مصلحة على اذ جرح طلحة جرحا قاتله ودارت الموقعة الفاصلة حول الجمل الذى كانت تركبه السيدة عائشة وذلك حسب التقليد العربى المعروف الذى كان يسمح

بخروج النساء مع المقاتلة من أجل تحميسهم وتحريضهم على حسن القتال .وكانت الغلبة لانصار على الذين وجهوا سهامهم نحو الجمل الذى كانت تركبه عائشة حتى انها بعد أن انزلت بعد المعركة من هودجها وهو كالقنفد من كثرة السهام كما يقول ابن خلدون .

وأهمية موقعة الجمل هذه أنها تعتبر بداية حقيقية للفتنة وهى الحرب الأهلية وذلك أنها كانت أول موقعة يقاتل المسلمون بعضهم بعضا .

وعامل على عائشة معاملة طيبة وأرجعها الى المدينة وبقى فى المعارضة معاوية بن أبى سفيان الذى رفض أن يستجيب لمطالب على وانتهى الأمر بأن حكم السيف فسار على على رأس جيش كبير من أهل العراق وسير معاوية جيشا بقيادة عمرو بن العاص .

وعندما أرسل على الى معاوية ردعليه هذا الأخير قائلا : " تركت قوما لايرضون الا بالقود أى بالقصاص من قتله عثمان فرد عليه على وممن تريد أن تقتص قال منك بمعنى انه يتهم على واتبع ذلك قائلا ولقد تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان منصوبا على منبر دمشق بمعنى أن معاوية قام بدعاية كبيرة فى بلاد الشام للأخذ بثأرعثمان وضد على وعلى ذلك كان على القوة

أن تقرر لمن يكون الأمر لعلى أم لمعاوية •

وجهز معاوية جيشا كبيرا يقال ان عدده بلغ حوالى مائة ألف رجل منظمين حسب طرق تنظيم الجيوش الرومانية التى كانت معروفة فى بلاد الشام وجعل قيادة هذا الجيش لداهية العرب المعروف عمرو بن العاص على رأس الخيالة • وسار على رأس أهل الشام فى عدد كبير ورغم أن قوات على لم تكن منظمة تنظيم جيش معاوية الا أنهم كانوا متحمسين تماما لمناصرة على • والتقى الطرفان بالسهل الواقع قرب موضع صفين على الضفة الغربية لأعالى نهر الفرات وقامت المفاوضات بين الطرفين وظهر على بمظهر المتساهل الورع المثالى الذى يريد الاتفاق بينما ظهر معاوية بمظهر السياسى الداهية الصعب المنال وعلى ذلك انتهى الأمر بالقتال وهناك تفصيلات عن المعركة تبين كيف تطور القتال فى هذا الوقت المبكر من حرب الصفوف والجيش المكتمل الى حرب الفرق التى تخرج للقاء بعضها البعض فاذا ما انهزمت احداها خرجت أخرى لتحل محلها واستمر القتال طوال شهر وهناك تفصيلات تبين عمق المأساة التى تمثلت فى وجود أفراد القبيلة الواحدة فى كل من الطرفين المتحاربين •

ورغم عدم تنظيم قوات على بالنسبة لقوات معاوية كاد القتال ينتهى بانتصار على لولا تلك الحيلة التى يذكرها الكتاب

التى أشار بها عمرو بن العاص على معاوية من طلب تحكيم الكتاب بدلا من تحكيم السيف حقنا للدماء فرفع أصحاب معاوية المصاحف على أسنة الرماح حتى يراها على وأصحابه ونجحت هذه الحيلة وتوقفت الحرب وبدأت المفاوضات بين الطرفين من جديد وانتهت هذه المفاوضات الى التحكيم .

وكان هذا يعنى تحكيم القرآن بدلا من تحكيم السيف وتمت مفاوضات بين الطرفين على كيفية تحكيم الكتاب وانتهى الأمر الى الاتفاق على أن يختار كل طرف ممثلا أو نائبا له يعرف باسم الحكم وتم الاتفاق على أن يمثل عليا والى العراق السابق أبوموسى الأشعرى والغريب فى الأمر أن اختيار أبى موسى تم رغم أنف على اذ تقول النصوص أنه كان "يخذل الناس" أى يثبط من عزائمهم وتقول الروايات أن عليا كان يرغب فى ان يمثله ابن عمه عبد الله بن العباس .

أما عن معاوية فانه اختار لتمثيله داهية العرب المشهور عمرو بن العاص ، وتم كتابة صحيفة تعهد فيها الطرفان على أن يكون الحكمان آمنين وان يعترفا بما يقررانه من حكم . وتم الاتفاق بين الحكمين على أن يكون اللقاء فى موقع محايد بين الشام والعراق فى مكان يسمى دومة الجندل وتم الاتفاق على أن يأتى الحكمان ومع كل منهما عدد من الشهود من كبار الناس ويقال أن كلا من الحكمين استصحب معه أربعمائة رجل وأنه حضر المحادثات عدد كبير من الصحابة

كشهود فيذكر الكتاب أنه كان من بين الحاضرين عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن الزبير ويقال أيضا أنه حضر الموعد الصحابى سعد بن أبى وقاص وان كان هذا الأمر مشكوك فيه .

ولما لم يكن هناك موضوع محدد للمحادثات فان كل من الطرفين كان يتكلم حول الموضوع فكان العراقيون ينتظرون أن يعترف خصومهم بخلافة على بينما كان معاوية يهدف الى اتهام على فى مقتل عثمان ليمنعه من ولاية المسلمين .

وتشير النصوص الى تفصيلات طريفة منها ما يفهم منه دهاء عمرو بن العاص الذى كان يعطى الكلمة أولا لأبى موسى بصفته الأكبر سنا وكيف كان معاوية يصل الى أهدافه بفضل دهائه وخبرته السياسية فتقول النصوص أنه بدأ بسؤال ابى موسى" ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما فقال ابى موسى أشهد قال: ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياءه قال بلى قال فما يمنعك منه وبيته كما قد علمت فان خفت أن يقول الناس ليست له سابقة فقل وجدته ولى عثمان الخليفة المظلوم والمطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صحبه وعرض له بسلطان . وعندما يرد أبو موسى أن هذا الأمر ليس لأهل الشرف وانما هو لأهل الدين وعندما يقترح أن يكون

الأمر لعبد الله ابن عمر حاول عمرو بن العاص انتهاز هذه الفرصة ورشح ابنه هو وانتهى الأمر الى عدم الاتفاق .

وأخيرا رأى الحكمان خلع كل من على ومعاوية على أن يكون الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا ولكنه رغم ذلك يقال ان عمرو بن العاص بعد أن وافق على خلع على عاد وطالب بأن يكون الأمر لمعاوية بمعنى أنه ثبت معاوية بصفته مطالب بدم عثمان قريبه وبصفة انه أجدر من يستحق الخلافة من الناس وبطبيعة الحال لم يوافق على على هذا الحكم الغريب الذى أثار أتباعه . ولكن الانقسام والتفكك بدأ يدبان فى صفوف على اذ أنه خرج عليه جماعة من أصحابه ممن عرفوا بالورع وشدة التقوى والذين كانوا قد احتجوا من قبل على مبدأ التحكيم واعتبروه منافيا لروح الاسلام وضد فكرة الشورى التى هى أساس الحكم وهؤلاء الناس قالوا انه لاحكم الا لله بمعنى أن الامر متروك لله يحكم فيه كما يشاء وذلك عن طريق حكم الجماعة الاسلامية . وكون هؤلاء المنشقين حزبا أطلق عليه جماعة الخوارج ، والخوارج هنا بمعنى الخارجين على القانون، وهؤلاء لم يعترفوا بخلافة عثمان ولا بخلافة على واتهموا عليا بأنه شكك الناس فى حق كان مكتسبا له وسيضطر على الى مناهضة هذه الجماعة فينهك قواه فى قتالهم ومن أشهر مواقعه ضد الخوارج موقعة النهروان على ضفاف نهر دجلة وذلك فى الوقت الذى كان

معاوية يتصرف وكأنه الخليفة الشرعى فعلا •

وأخذ معاوية يرسل قواته الى الولايات المختلفة لادخالها تحت سلطانه فأرسل عمرو بن العاص لاستعادة مصر وقد كانت دخلت تحت طاعة على ثم انقسمت على نفسها وأرسل قوات الى الحجاز وكذلك الى العراق بينما استمر الخوارج فى ثورتهم ضد على وانتهى الأمر بمقتل على فى يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ • الموافق ٢٤ يناير سنة ٦٦١م وذلك بيدى أحد الخوارج واسمه عبد الرحمن بن ملجم وبذلك خلى الجو لمعاوية •

الباب الثاني

(الدولة الأموية)

الفصل السابع

معاوية بن أبي سفيان

الدولة الأمويـــة

بعد وفاة علي بن أبي طالب تمكن معاوية بن أبي سفيان من السيطرة على الموقف بسرعة فمهد البلاد التى فتحها العرب واستمر فى تطبيق نفس نظام الحكم الذى كان معمولا به فى بلاد الشام ومصر فى كل ولايات الدولة الأموية . وهذا يعنى أن النظام الأموى لايعتبر نظاما جديدا بل هو استمرار لنفس النظام السابق الذى طبقه عمر بن الخطاب ولكن رغم ذلك نلاحظ أن هذه الحقيقـة لا تعبر عن رأى ـ الكتاب والمؤرخين ـ العرب وذلك أنهم نظـروا الى المشكلة من زاوية أخرى فهم على الجملة يرون أن الأســرة الأموية هدمت التنظيم البديع الذى عرفته الجماعة الاسلاميـــة على أيام الرسول وخلفائه الأوائل وهم يرون أن هذه الفتـــرة كانت فترة طيبة سعيدة ، اذ أن الجماعة الاسلامية حكمت خلالهـــا دون مجهودات كثيرة دون تعقيدات ادارية وذلك حسب كتـــاب الله وسنة رسوله . وهم يرون أنه ابتداء من العصر الأموى وجـــدت الجماعة الاسلامية نفسها تحكم بنظام غريب لاعلاقة له بالديـــن ولا علاقة له بالشرع وذلك أن الامام أى : خليفة الرسول أصبـــح ملكا . وهذا هو مجمل رأى الكتاب الذى يفصله ابن خلدون فـــى مقدمته تفصيلا وافيا .

وأهم مايميز هذا النظام الجديد فى نظر الكتاب هو أن الدولة الجديدة أو الاسرة الجديدة طبقت مبدأ الوراثة الملكى

بدلا من مبدأ الشورى الانتخابى والحقيقة ان التحكيم بين على ومعاوية أثبت فشل مبدأ الشورى أو الانتخاب العام ذلك الانتخاب الذى لم يكن فى حقيقة الأمر واضحا أو دقيقا منذ البداية أو اختلطت فيه البيعة بالتعيين .

والمسألة لم تكن دقيقة من البداية ولهذا السبب عمل معاوية على انتصار مبدأ الوراثة ولم يتم هذا التنفيذ دون صعوبة وذلك أن العرب كانوا يرفضون التنازل عن حقهم التقليدى فى اختيار الرئيس . ولم يغب هذا الأمر عن معاوية الذى عرف بسياسته وبدهائه فلم ينكر على الناس هذا الحق فسمح لهم بتطبيق مبدأ الاختيار ولكن على أن يكون الاختيار محددا فى أحد أبنائه .هكذا نجح معاوية فى احترام الشكليات عندما عين ابنه يزيد وليا للعهد ولم يكن عمر يزيد فى ذلك الوقت الا خمس وثلاثين سنة .حدث ذلك فى سنة ستة وخمسين ، فعمل يزيد ابن معاوية هو الآخر مثل هذا بالنسبة لابنه معاوية الثانى الذى لم يكن يبلغ من العمر الا حوالى عشرين عاما فقط. وستظل الخلافة الأموية مدة عشرين عاما فى سلالة معاوية بن أبى سفيان .ولهذا السبب سيعرف خلفاء هذه الفترة باسم السفيانيين نسبة الى أبى سفيان وهو والد معاوية كما نعرف وبعد ذلك ستنتقل الخلافة الأموية الى فرع جانبى آخر هو فرع المروانيين نسبة الى مروان بن الحكم وذلك بسبب عدم وجود وريث مباشر من السفيانيين جدير باعتلاء كرسى

الخلافــة . ورغم الصعوبات التى تعرض لها هذا التغيير الا أن المروانيين تمكنوا من القبض على مقاليد الحكم مما يدل على مبلغ الهيبة التى تتصف بها الأسرة الأموية خلال فترة العشرين سنة هذه ولقد اعتلى كرسى الخلافة الأموية أحد عشر خليفة أولهم مروان الأول ثم ابنه عبد الملك وأبناؤه الأربعة - ولهذا السبب يطلق الكتاب على عبد الملك بن مروان (أبو الملوك) :أولهم الوليد ثم سليمان ثم يزيد الثانى وأخيرا هشام . ومن أشهر الخلفاء الأمويين عمر بن عبد العزيز عمر الثانى ويزيد الثالث يزيد بن الوليد ثم ابراهيم بن الوليد ثم الوليد الثانى بن يزيد وأخيرا مروان بن محمد وهو آخر خلفاء بنى أمية الذى سيشهد مصرع الدولة .

وليس من الغريب أن يعطينا الكتاب والمؤرخون الذين يكتبون تاريخ الأسرة الأموية صورة قاتمة لهؤلاء الخلفاء وذلك لانهم كانوا يدونون كتبهم على أيام العباسيين ولم يكن هؤلاء الكتاب ليهتموا بالاشادة بأسرة كانت قد درست وزالت فنجد أنهم يصفون الوليد وهو من أعظم خلفاء بنى أمية بصفونه بأنه مستبد طاغ قاسى القلب أما سليمان فهو يوصف بالشراهة وحبه للأكل - أما هشام بن عبد الملك فانه يوصف بالبخل وغلظة القلب ورغم أنه لم يسلم من كل خلفاء بنى أمية من نقد النقاد وتعريضهم نرى عمر بن عبد العزيز الخليفة التقى الورع الذى وصفه الكتاب

بأنه خامس الخلفاء الراشدين اعتبره البعض أيضا فى منزلة
وسط بين الخلفاء الراشدين وبين خلفاء بنى أمية فتقول بعـ
الروايات أن المنصور العباسى كان فى مجلس من مجالس العلـ
والسمر فذكر بنو أميه فقال :

" أما عبد الملك فكان جبارا لايبالى بما يصنع ، وأمـ
سليمان فكان همه بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عميان
وكان رجل القوم هشـــام".

أما ابن خلدون فانه عرف للناس قدرهم ومقامهم وهو لا
يعذر معاوية فى قتاله لعلى ويلتمس العذر لكل منهما فيقول
" أنهم لم يكونوا فى محاربتهم لغرض دنيوى أو لايثار باطل كه
قد يتوهمه متوهم ينزع اليه ملحد وانما اختلف اجتهادهم فـ
الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده فى الحق فاقتتلوا عل
وان كان المصيب عليا فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد البا
انما بقصد الحق وأخطأوا والكل كانوا فى مقاصدهم على الحق

ويرى ابن خلدون أن مروان فى الطبقة الأولى من التابعي
وان كان هو أى مروان وابنه عبد الملك قد أصبحوا ملوكا وذل
انهم تحروا الحق جهدهم الا فى ضرورة تحملهم على بعضها مثـ
خشية افتراق الكلمة .

هدف ابن خلدون هو المحافظة على نصرة الجماعة الاسلامية فهو يضع الكثير من خلفاء بنى أمية فى المرتبة الأولى من بين طبقات المسلمين وهو يعترف لمروان وعبد الملك بأنهما تحريا الحق جهدهما وانهما عندما خرجا عن الحق فى بعض الأحيان فانما كان ذلك جمعا للوحدة وتفاديا للفرقة . وهذا ما سيأخذ به الفقهاء وأصحاب المذاهب فيما بعد عندما يرون الأخذ بمبدأ الاستحسان والاستصلاح . ويرى ابن خلدون ان عبد الملك فى الطبقة الأولى من بين المسلمين ، ويشهد بذلك باحتجاج مالك له فى "الموطأ " (كتابه فى الفقه) .

أما عمر بن عبد العزيز فيقول ابن خلدون انه نزع الى طريقة الخلفاء الأربعة ولكنه يتبع ذلك بالقول بفساد أواخر الأمويين وصلاح أوائل العباسيين .

والحقيقة أن العصر الأموى يعتبر من أهم فترات التاريخ الاسلامى وذلك رغم قلة المعلومات التى وصلتنا عنه فى خلال القرن الأموى ظهرت جميع النظم والاتجاهات الفكرية التى عملت وسط حياة مادية مزدهرة فيما بعد على تكوين الحضارة العباسية.

وخلال تلك الفترة بلغت الدولة العربية أقصى اتساعها فالوليد (٨٦ - ٩٦ - ٧٠٥ - ٧١٥) وسليمان ٩٦ - ٩٩/٧١٥ - ٧١٧م) وعمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١/٧١٧ - ٧٢٠ م) .

هؤلاء الخلفاء حكموا أكبر دولة اسلامية عرفها التاريخ
هذا راجع الى أنه ليس هناك ما يدل على أن خلفاء بنى أمية
كان لهم فضل كبير فى اتساع رقعة الدولة العربية اذ ينسب
ذلك الى نجاح عمالهم فى الاقطار العربية ، هذا الى جانب
أنه ينسب كذلك الى بعض هؤلاء العمال سبب التفرقة بين حكام
بنى أمية وبين الرعية والمثل لذلك هو الحجاج بن يوسف الذى
غرس كراهية أهل الشام فى قلوب أهل العراق . هذا ولو أنه
فعل ذلك فى سبيل المحافظة على وحدة الدولة. وهذا يعنى انه
كان من حسن حظ خلفاء بنى أمية أنهم وفقوا الى اختيار عدد
من العمال المخلصين الذين عرفوا بالكفاءة الادارية والعسكرية
مثل قتيبة بن مسلم الذى وسع حدود الدولة الى بلاد التركستان
وما وراء النهر ومثل موسى بن نصير الذى تم على يديه فتح
بلاد الاندلس .

هذه نبذة عامة سريعة عن العصر الأموى ونبدأ الكلام فى
التفصيلات نبدأ بالكلام عن عصر معاوية بن أبى سفيان .

معاوية بن أبى سفيان

(٤٠ – ٦٠ هـ /٦٦١ – ٦٨٠ م)

بعد وفاة على كانت أولى مهام معاوية بن أبى سفيان القضاء على البقية الباقية من خصومه ثم العمل على اعادة الوحدة الى الدولة التى كانت قد زعزعتها الفتنة فعمل على اقرار سلطانه فى الولايات التى عرفت باضطرابها وخاصة فى بلاد العراق حيث المدن العربية الجديدة مثل الكوفة (العاصمة) وكذلك فى الحجاز مهدا لاسلام حيث كان أبناء المهاجرين والأنصار الذين بنوا الدولة العربية يعملون على المحافظة على ماكانوا يتمتعون به أيضا من امتيازات خاصة فى الحكم وشئون الادارة. وبدأ معاوية بتأكيدا لبيعة التى كان قد أخذها فى دمشق من أهل الشام عقب اجتماع الحكمين وبذلك اصبح معاوية أمير المؤمنين بعد أن كان يحمل لقب الأمير فقط لمدة خمس عشر عاما.

أما فى العراق فكان حزب على ينتابه الضعف والتفكك مما ينذر بفشل الشيعة فشل العلويين . وكان على قبل وفاته قد جهز جيشا كبيرا بلغ عدده حوالى أربعين ألف رجل لحرب أهل الشام وكان لابد لهذا الجيش من أمير ليقوده فوقع الاختيار على ابن على الأكبر وهو الحسن والظاهر أن ذلك الاختيار تم بتوجيه من على الذى قال للناس عندما عرضوا عليه مبايعة الحسن " ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر".

والظاهر أن بيعة الحسن كانت شكلية وذلك أن النصوص تقول أنه عندما اشترط على الناس أن يسالموا من سالم ويحاربوا من حارب ارتابوا بذلك وقالوا من هذا لكم بصاحب ما يريد هذا الا القتال .

وبعد أن بويع الحسن اتجه نحو الشام لحرب معاوية ولكن هذا الأخير سارع بلقائه عن طريق الجزيرة واتضح من البداية أن الحسن لم يكن كفؤا لقيادة أتباعه الذين عرفوا بالتمرد والانشقاق فتقول الروايات أنه عندما وصل الى المدائن اضطرب عسكره وسرق الناس ونهبوا سرادقه ومتاعه وبلغ الأمر الى درجة أنهم نازعوه البساط الذى كان يجلس عليه وعلى ذلك فلم يكن من الغريب أن يضطر الحسن الى الدخول فى مفاوضات مع معاوية والاستسلام له بشروط لم يكن من الصعب على معاوية قبولها فلقد تم الاتفاق على أن يتنازل له الحسن عن حقوقه فى الخلافة ، وفى سبيل ذلك لايطالب معاوية بمبلغ خمسة آلاف ألف درهم (خمسة ملايين درهم) كان قد اخذها من بيت مال الكوفة وطالب الحسن بأن يكون له خراج احدى مدن فارس واسمها (دارابجرد)- مدينة دارا- كما طالب أيضا معاوية بألا يسب عليا على المنابر كما كانت العادة . ولم يكن من الصعب على معاوية الموافقة على هذه الشروط ولكنه لم يفِ بها كما تقول النصوص (سب على سيستمر الى أيام عمر الذى سيمنع هذا الأمر فى محاولة التوفيق بين

الجماعة بين الشيعة والخوارج) وبالرغم من موافقة الحسن على هذا الاتفاق الا أن قائد قواته واسمه قيس بن سعد لم يدخل فى الصلح بل أراد أن يستميل الناس الى جانبه على ان يستمر فى حرب معاوية وبدا فشل ذلك اذ تقول الرواية أنه قال لجنده : " أيها الناس اختاروا الدخول فى طاعة أمام ضلالة أو القتال من غير امام (يقصد بذلك معاوية) . فقال بعضهم بل نختار الدخول فى طاعة امام ضلاله فبايعوا معاوية . وتمكن معاوية بفضل سياسته ومداراته من اكتساب طاعة قيس بن سعد وأرسل اليه سجلا وختم على أسفله وقال له اكتب فى هذا ماشئت فهو لك ولم يطلب القائد العلوى أكثر من الأمان وتسويغه وشيعته على ما أصابوا من الدماء والأموال وتم صلح الحسن هذا مع معاوية فى شهر ربيع الأول من سنة ٤١ هـ . وبذلك اطمأن معاوية الى أن الخلافة قد حقت له فدخل الكوفة وبايعه الناس هناك . أما عن تمكين معاوية من ادارة الأمور فى العراق وخاصة فى مدينتى الكوفة و البصرة فانه اعتمد فى ذلك على عدد من الولاة الذين أحسن اختيارهم .ونجح هؤلاء فى سياستهم بفضل انقسام أهل العراق الى شيعة وخوارج اذ كان العمال أى الولاة يضربون هؤلاء بهؤلاء دون أن يخشوا شيئا . وأشهر ولاة معاوية فى العراق هو المغيرة بن شعبة الذى ولى مدينة الكوفة .

وكانت الكوفة لعبد الله بن عمرو بن العاص لكن المغيرة وضح لمعاوية خطورة هذا الأمر فقال له : " أتكون أميرا بين نابى الأسد" .

والحقيقة أن المغيرة بن شعبة كان طموحا وظهر بمظهر الرجل الذى لا ضمير له فى بعض الأحيان ، والمغيرة ثقفى من مدينة الطائف هجر بلدته فى أيام شبابه وذهب الى المدينة بعد السنة الخامسة للهجرة ودخل فى زمرة الجماعة الاسلامية وظهر بين أفراد الجماعة بعد أن حطم صنم مدينته وهو اللات وبفضل ما أظهره من الورع والتقوى شغل مركزا ممتازا بين أفراد الجماعة وخلال الحرب مع فارس أظهر امتيازا دبلوماسيا بفضل معرفته للغة الفارسية وكان سفيرا للعرب لدى رستم وعرف عمر بن الخطاب للرجل مكانه فولاه على البحرين ثم عهد اليه بولاية الكوفة ولكنه عزل عنها فى سنة ١٧ هـ متهما فى مسألة خاصة بالأخلاق وحسن السلوك مسألة مغامرة نسائية ولكنه أثناء الفتنة وقف موقفا متزنا فكافأه معاوية بأن عهد اليه بولاية الكوفة .

عرف المغيرة أثناء ولايته كيف يمنع أهل المدينة التى عرفت بميولها الشيعية من الالتجاء الى الثورة العلنية رغم أن أهلها كانوا يكنون كراهية لأهل الشام .

سياسة المغيرة :

كانت سياسة المغيرة تعتمد على التفرقة بين الخوارج والشيعة وكان يقف الى جانب هؤلاء فى بعض الأوقات والى جانب الآخرين فى أوقات أخرى ويصف الكتاب سياسة المغيرة هذه فيقولون عنه : " أنه يحب العافية وأحسن السيرة ، كان يقال له أن فلانا يرى رأى الشيعة وفلانا يرى رأى الخوارج فيقول تالله لا يزالون مختلفين وسيحكم الله بين عبادة " وظل المغيرة على الكوفة الى أن توفى سنة ٥٠ هـ أما عن مدينة العراق الثانية وهى البصرة فانه بعد أن وليها لمعاوية بسر بن أرطأة عقب اضطرابها بعد صلح الحسن عهد بها الى عبدالله بن عامر فى آخر نفس هذه السنة وهى ٤١ هـ ثم أنه بعد ذلك عهد بها الى زياد بن أبيه المشهور وذلك فى سنة ٤٥ هـ وزياد بن أبيه مثله مثل المغيرة من مدينة الطائف يعنى أنه ثقفى ولكن مولده غامض فلا يعرف الا اسم أمه وهى سمية وكانت سمية هذه جارية لأحد أهل الطائف ولا يعرف ماذا كانت تقوم به من نشاط ولكنه يقال انها التقت بأبى سفيان فى احد رحلاته الى مدينة الطائف وأنها انجبت زياد بعد هذا اللقاء ولعدم معرفة والده أطلق عليه الكتاب اسم ابن أبيه .

ولد زياد في السنة الأولى للهجرة وبدأ حياته ككاتب في جيش البصرة لدى ابي موسى الأشعرى وعرف منذ شبابه المبكر بفصاحة و طلاقه لسانه فيقال أن عمر بن الخطاب استكفاه أمرا فقام به مقاما مرضيا فلما عاد خطب الناس خطبة لم يسمعوا بمثلها وعندما آلت الخلافة الى على عمل زياد ككاتب لابن عباس في البصرة ثم ان عليا ارسله الى فارس فنجح أيضا في اكتساب أهلها الى جانب على بفضل ذكائه وحسن رأيه وظل زياد في فارس الى سنة ٤٢هـ/٦٦٢م وهو مستقل عن معاوية وعرف معاوية قيمة هذا الرجل وساءه أن يكون في خدمة على فحاول أن يضمه الى جانبه استخدم معاوية في ذلك الترغيب والترهيب وهناك تفصيلات عن محاولة معاوية الاتصال بزياد وردود زياد على معاوية ،وكانت تتصف بالثورة كما كانت عادته . اذ يقال انه خطب الناس فقال العجب كل العجب من ابن آكله الأكباد ورأس النفاق يهددنى بصده اياى وبينى وبينه ابن عم رسول الله في المهاجرين والانصار . حدث ذلك على أيام على الذى عرف ما يبغيه معاوية فحذر زياد وقال له : أنى وليتك ما وليتك وأنا أراك له أهلا وأن معاوية يأتى الانسان من بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره فاحذر ثم احذر والسلام " . وبعد موت على خشى معاوية أن يعتصم زياد بفارس فطالبه بالأموال التى كانت تحت اشرافه ـ الظاهر أن معاوية كان يهدف من ذلك الى مصالحة زياد على

هذه الاموال كما فعل مع الحسن ابن عبد الله بن عباس من قبل ورد زياد على ذلك بأنه :نفق ما كان عنده من الأموال في وجهه ولكن معاوية طلب اليه أن يحضر الى الشام للاتفاق معه وعندما امتنع زياد هدده والى البصرة بسر بن (أرطأ) بالقبض على أبنائه وقتلهم ولم يجد التهديد مع زياد اذ أنه كتب الى بسر يقول لست بارحا مكانى حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك وان قتلت ولدى فالمصير الى الله ومن ورائنا الحساب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

ورغم عدم استجابته لدعوة الوالى فان معاوية ابن ابى سفيان كان حريصا على الا يغضبه فكتب الى بسر يطلب منه العفو عن أبناء زياد وأخيرا تدخل المغيرة بن شعبة فوافق زياد ونجح فى التوفيق فاستأذن من معاوية فى مقابلة زياد وأخذ له الأمان واستجاب زياد لدعوة المغيرة فسار الى دمشق حيث حاسبه معاوية على ما كان لديه من أموال وقبل ما قرره زياد وبذلك اكتسب معاوية رجلا من أعظم رجال ذلك العصر وخاصة بعد أن - اعترف به كابن لوالده ابى سفيان بمعنى أنه اعترف بحقوقه كفرد من أفراد الأسرة الأموية .

وتم ذلك الاعتراف فى حفل كبير حضره الشهود ثم نزل زياد بالكوفة فى كنف المغيرة وعمل على أن يؤكد نسبه السفيانى فأرسل

الى الأمصار واعترف له أهل البصرة بذلك كما كتب الى السيدة

وهو يريد أن تكتب له الى زياد بن أبى سفيان كما كتب

لها فيحتج بذلك ، ولكنها كتبت له من عائشة أم المؤمنين

الى ابنها زياد" فعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بنى أمية

خاصة كما يقول النص" . فقد كانت منطقة البصرة مضطربة مثل

بقية العراق والظاهر أن واليها عبد الله بن عامر كان مسئولا

الى حد ما عن فساد المدينة اذ ينسب اليه الكتاب اللين أو

الضعف فى الحكم وعرف معاوية ذلك وعزم على عزل ابن عامر

والظاهر انه كان لزياد شأن فى ذلك العزل بسبب التنافس بين

الرجلين مما دعا ابن عامر الى سب زياد وغضب معاوية على

عبد الله بن عامر ولجأ هذا الاخير الى يزيد بن معاوية الذى

كان يعطف عليه أثناء ذلك الصراع خوفا من زياد الذى كانت

شعبيته تزداد مع مرور الوقت حتى قيل أن معاوية فكر فى أن

يكون الأمر بعده له أى لزياد وانتهى النزاع بأن عزل واليه

اللين عن البصرة بطريقة تدل على براعة سياسته وتفهمه لروح

رجال هذا العصر فقد طلب معاوية الى ابن عامر أن يزوره فى

دمشق وعندما انتهت الزيارة أمره بالعودة الى العراق (الى

ولايته) ولكنه سأله ثلاثة أشياء وطلب اليه أن يجيب مطلبه فلما

أجابه قال : هن لك قال : ترد على عملى ولاتغضب وفى هذا السبيل

سأل ابن عامر معاوية ألا يحاسب له عملا ولايتبع له أثرا وأن

يزوجه ابنته ففعل معاوية .

وعهد معاوية بولاية البصرة مؤقتا الى الحارث بن عبد الله ثم انه عين زيادا مكانه فى شهر ربيع الثانى من سنة ٤٠ هـ . فكان زياد فى ذلك الوقت بالكوفة فلما بلغه خبر تعيينه على البصرة سار اليها وعندما وصلها بدأ حكمه بخطبة سياسية مرتجلة ذاعت شهرتها فى الأدب العربى وهى التى تعرف باسم البتراء (من الفعل بتر يبتر) أى المقطوعة أو المنقوصة وذلك أنه لم يبدأها كما هو معتاد بالتسليم والحمد لله .

وهذه الخطبة يمكن أن تعتبر النموذج الذى احتذاه الحجاج بن يوسف فى خطبته لأهل العراق - فى هذه الخطبة أنذر زياد رعاياه الجدد الذين عرفوا بالاضطراب ، بالاجراءات العنيفة التى سيتخذها ضدهم من ذلك قوله : " أن النساء حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما واحراقا وانى رأيت آخر هذا الأمر لايصلح الا بما صلح به أوله لين فى غير ضعف وشدة فى غير جبرية وعنف . وهو يقول : وانى لاقسم بالله لآخذ الولى بالمولى والمقيم بالظاعن ،والمقبل بالمدبر ،والصحيح منكم بالسقيم ،حتى يلقى الرجل منكم أخاه ، فيقول انج سعد فقد هلك سعيد وتستقيم لى قناتكم ". (وهذا يعنى أنه طبق

مبدأ المسئولية الجماعية) .

ويتبع ذلك فيقول : " قد أحدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوما غرقناه ، ومن حرق على قوم حرقناه ، ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ، ومن ينبش قبرا دفنته حيا . فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم لسانى ويدى . وهو يقول وقد كانت بينى وبين أقوام احن (ضغائن) فجعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى ، ولو علمت أن قد قتله السل من بغض لم أكشف له قناعا ، ولم أهتك له سترا حتى يبدى لى صفحته . وقال أيها الناس أما أصبحنا لكم ساسة وعنكم زادة نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا" .

وأنهى زياد برنامجه السياسى هذا بقوله :" واعلموا أنى مهما قصرت عنه فانى لا أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابسا رزقا ولاعطاء عن ابانه ، ولا مجمرا لكم بعثا" .

وبعد ذلك يقول : " فادعو الله لائمتكم فانهم ساستكم المودبون ومتى تصلحوا يصلحوا . وختم زياد خطابه مهددا بقوله ان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل أمرئ منكم أن يكون

من صرعاى " .

وبفضل ارادة زياد الحديدية تمكن من ان يقر السلطان الحكومى فى منطقة البصرة وكان قد تزعزع من قبل تماما وتمكن بعد قليل من الوقت من اتباب الأمن الذى لم يكن قد عرفته المنطقة وذلك حتى قلب الصحراء واتخذ زياد فى سبيل ذلك اجراءات عنيفة يمكن أن تشبه بما يسمى بالأحكام العرفية فى أيامنا هذه اذ أنه حرم الخروج ليلا وامر صاحب الشرطة بقتل من يجده ويبلغ من شدته أنه اخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وكان من نتائج ذلك " أن رهبه الناس وخافوه حتى أحب بعضهم بعضا وحتى كان الشىء يسقط من يد الرجل والمرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ".

ولكى يؤكد زياد سلطانه ولكى يتفادى ما يمكن أن يقع عليه من محاولات للأغتيال اتخذ حرسا خاصا يتكون من خمسمائة رجل كانوا يرابطون فى المسجد وحوله لا يفارقونه كما أنه كان يسير محروسا خلفه الرجال يحملون العمد والحراب .

وعندما توفى المغيرة بن شعبة وذلك فى سنة ٥٠ هضم زياد ولاية الكوفة الى عمله وقسم عمله بين البصرة والكوفة فكان يقيم فى كل منها ستة أشهر واستعمل زياد مع أهل الكوفة نفس سياسة الحزم التى اتبعها مع أهل البصرة وذلك على عكس مافعله

المغيرة الذى كان يحب العافية كما قلنا .

وتقول النصوص انه عندما خطب زياد خطبته الأولى فى مسجد الكوفة حصب أى القيت عليه الحصا فقبض على أكثر من ثلاثين رجلا وقطع أيديهم . ومنذ ذلك الوقت اتخذ المقصورة فى المسجد وذلك كما فعل معاوية بالشام بعد محاولة اغتيالهوكان الشيعة شيعة على قد طمعوا بسبب لين المغيرة ورأفته فكانوا يجتمعون فى المسجد علانية عندما يشتم على ويذم ويترحم على عثمان من أعلى المنبر ذلك الأمر الذى أصبح تقليديا منذالفتنة ولقد فعل ذلك زعيم الشيعة فىالكوفة واسمه حجر بن عدى الكندى واحتج على زياد عدة مرات وكان المغيرة يكتب بتحذيره دون اتخاذ اجراءات عنيفة ضده ولكن زياد وقف موقفا شديدا ازاء حجر الذى كان قد انتهز فرصة غياب زياد بالبصرة وتجرأ على نائبه حتى قامت ثورة مسلحة فانتهز زياد هذه الفرصة لكى يبين لأهل الكوفة منهاجه الحازم فقبض على حجر وحبسه ثم أرسله الى معاوية الذى رفض ان يطلقه رغم شفاعة بعض الفقهاء (مالك بن هبيرة السكونى) انتهى الأمر بأن أمر معاوية بقتل حجر وبعض أصحابه .

وكما كانت عادته نجح فى اسكات المعارضين بفضل المال فلقد أرسل الى مالك بن هبيرة مائة ألف درهم فرضى بها هذا الأخير وسكت . وكان قتل معاوية لحجربن عدى من الـ آخذ التى

أخذها عليه كبار مفكرى الاسلام ومنهم الحسن البصرى الـذى أخذ عليه قتل حجر وأصحاب حجر وقال : فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر.

وبعد أن قضى زياد على حركة العصيان العلوية دون صعوبة كبيرة أعلن حل المنظمات العسكرية التى كانت فى قبائل الكوفة وكون أربع جماعات عسكرية جديدة فقسم الكوفة الى أربعة أرباع ، ربع لأهل المدينة وربع تميم وهمذان ، وربع ربيعة وكنده ،وربع مذحج وأسد وعهد بقيادة كل جماعة منها الى رجل من ثقاته ووجه زياد الى أهل الكوفة والبصرة الذين عرفوا بمعارضتهم للدولة ضربات شديدة وذلك أنه هجر عددا كبيرا بلغ خمسين ألف بعبالاتهم الى خراسان وذلك ليقيموا هناك وليقوموا بالغزو مع القوات العربية وكان هذا الأمر من أسباب انتشار الأفكار الشيعية فى ايران فى بلاد فارس منذ ذلك الوقت المبكر وأخذ زياد يحكم من البصرة كما لو كان أميرا مستقلا له السيادة المطلقة على كل الأجزاء الشرقية من الدولة العربية وكان يدخل فى حكمه خراسان وسجستان والهند والبحرين وعمان ويقال أن معاوية بن أبى سفيان عند ما وجد نجاحه هذا رأى أن يعهد اليه أيضا بحكم الحجاز ويقول البعض أن ذلك كان من الأسباب التى أدت الى وفاة زياد بعد أن دعا عليه عبد الله بن عمر، وأكد زياد بن أبيه سلطان معاوية فى المشرق بالفتح والغزو

وهو مستقر فى دار الامارة بالبصرة هذا فى الوقت الذى اهتم الخليفة نفسه وهو معاوية بأمور المغرب وبذلك حقق زياد كل الثقة التى وضعها فيه معاوية بن أبى سفيان وحق للكتاب أن يقولوا أن معاوية فكر فى أن يعهد اليهّ بولاية العهد وذلك الى أن توفى فى الكوفة سنة ٥٣ هـ .

وأعمال زياد بن أبيه أعمال عظيمة معروفة فهو من الناحية السياسية أقر الأمور فى البصرة ثم فى الكوفة وفى العراق وواصل الفتوحات فى المشرق كما كان معاوية بوجه انظاره نحو المغرب فكان أشبه ما يكون بشريك لمعاوية فى الدولة وهذا الأمر له أهمية لانه يبين ان اتجاه الدولة الاصيل اتجاهها الأول كان نحو المغرب وبعد وفاة زياد استفاد معاوية من خدمات ابنائه فعهد اليه بالولايات فاستخدم عبيد الله بن زياد على خراسان فى سنة ٥٤ وثم انه عهد اليه بعد ذلك بولاية البصرة أى ولاية والده زياد فى سنة ٥٥ هـ .

وذلك يعنى كل مشرق الدولة ولكنه فصل منه ولاية الكوفة ثم فصل بعد ذلك عنه ولاية خراسان فى سنة ٥٦ هـ واستعمل عليها سعيد بن عثمان بن عفان ثم عبد الرحمن بن زياد فى سنة ٥٩ هـ وفى مدينة البصرة اعاد ابن زياد سيرة والده من حيث الشدة والعنف مع ثوار العراق وكذلك مواصلة الفتوح فى خراسان والحقيقة انه رغم ما قلناه من ولاة الكوفة والبصرة الاشداء

وكيف انهم كانوا قد تمكنوا من السيطرة على العراق الا أن هذا لايعنى استكانة كل العراق تماما فبرغم ضعفهم وانقسامهم الى شيعة ينادون بأن يكون الأمر وراثيا فى أبناء على والى خوارج ينادون بمبدأ الشورى وسيادة الجماعة أى بما يمكن أن يشبه بمبدأ الجمهورية الشعبية الانتخابية التى يكون فيها الأمر أو رياسة الجماعة لاصلح الناس الا أن هذا الضعف لم يمنع كلا من الفريقين من اظهار سخطه على النظام الجديد وكانت تلك المعارضة صامتة فى بعض الأحيان كما انها كانت علنية عنيفة فى أحيان آخر وأول ما نلاحظ على حركات الشيعة انها اتصفت باللين والميل الى المصالحة فأنصار العلويين كانوا يعطفون على آل البيت ولكنهم لم يكونوا على استعداد للدخول فى المغامرة الى نهايتها وسيكون ذلك دأب الشيعة فيما بعد على أيام الحسين بن على وزيد بن على زين العابدين فيذكر الكتاب أن الشيعة كانوا يكتفون بحصب الولاة وهم على المنابر أو يحتجون عليهم عندما يسبون عليا ويترحمون على عثمان وكانت أخطر ثوراتهم تلك التى راح ضحيتها حجر بن عدى كما سبق أن قلنا .

ولقد عرف الأمويون كيف يستفيدون من النزاع بين الخوارج والشيعة فاستخدموا بعضهم ضد بعض والذى نلاحظه على حركات الخوارج انها اتصفت بالعنف الشديد والمعروف

أن الخوارج أهل ايمان راسخ وعقيدة ثابته وتعصب شديد ولقد خرج تعصبهم فى بعض الأحيان حتى بلغ درجة التطرف المذموم كما نرى عند الازارقة الذين كفروا غيرهم من فرق المسلمين ولكنه يؤخذ على حركات الخوارج أنها كانت تنقصها التكتيل والتجميع أى القيادة الموحدة والتوجيه الرشيد فبدلا من أن يتحد الخوارج نرى أنهم ينقسمون الى فرق متعددة ولا غرابة فى ذلك فالتقسيم والتفتت كان آفة ذلك العصر . وقبل أن يعترف العلويين بخلافة معاوية كان هناك فريق من الخوارج قد اعتزلوا أى وقفوا موقف الحياد من النزاع بين أهل الشام وأهل العراق والى اعتزالهم هذا يفسر أصل فرقة المعتزلة وهم أهل الكلام فى الاسلام فلما تم الصلح بين الحسن ومعاوية رأوا الخروج من عزلتهم وقالوا قد جاء الآن ما لا شدة فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه ونجح هؤلاء فى هزيمة أهل الشام الذين أرسلهم اليه معاوية وذلك بالقرب من مدينة الكوفة وهنا رأى معاوية أن يضرب أعداءه فعرض على الكوفيين قتال أخوانهم الخوارج ونجح الكوفيون فى القضاء عليهم واشتدت ثورات الخوارج فى الكوفة وفى البصرة واشترك فى هذه الثورات عدد من السودان من ذلك خروج رجل أسود يعرف بأبى ليلى ويوصف بأنه كان رجلا أسود طويلا آخذ الرجل بعضا دتى مسجد الكوفة وفيه عدة من الاشراف وحكم بصوت عال فلم يعرض له أحد فخرج وتبعه ثلاثون رجلا من الموالى هؤلاء جذبتهم

أفكار الخوارج السياسية وأهمها فكرة الدولة ذات النظام الانتخابى الذى يمكن أن يشبه بجمهورية شعبية .

ثورة المستورد بن علقمة :

وأشهر ثورات الخوارج هى الثورة التى قام بها المستورد بن علقمة وذلك أنه بعد أن أوقع على بالذين خرجوا عليه فى النهروان سار فريق منهم الى كسرى فى فارس ومكثوا هناك حتى بلغهم مقتل على فحمدوا الله وأقبلوا الى الكوفة و كان واليها هو المغيرة بن شعبة الذى يتبع سياسة اللين و حب العافية كما ذكرنا . واجتمع الخوارج فى حوالى ٤٠٠ رجل وجعلوا عليهم المستورد و عندما شعر المغيرة بن شعبة بما يدبره الخوارج فى الخفاء هاجم بعض اجتماعاتهم و نجح فى القبض على المجتمعين وحبسهم مدة تقرب من العام .

وأخيرا قرر المستورد الثورة و كما كانت العادة أنذر المغيرة المتآمرين واتخذ بعض الاجراءات الوقائية منها انه طلب الى رئيس كل قوم أن يكفية شرهم وأخيرا اندلعت الثورة و سار أصحاب المستورد الى خارج الكوفة و من هناك اتجهوا نحو المدائن على بعد حوالى ٤٠ كم من بغداد الحالية .

و هنا طبق واليا الكوفة و البصرة نفس الخطة العسكرية

التى اتبعها معاوية من قبل والتى تتلخص فى ضرب الاعـــداء بالاعداء فسير المغيرة الى الثوار رجلا من شيعة على هـــو معقل بن قيس على رأس ثلاثة آلاف رجل بينما أرسل عبد اللـــه بن عامر والى البصرة رجلا آخر من شيعة على هو شريك بـــن الاعور على رأس ثلاثة آلاف رجل من الشيعة ووقعت مساجلات بيـــن الفريقين أثبتت شدة الخوارج رغم قلة عددهم وانتهت المعارك بمقتل كل من معقل بن قيس والمستورد بن علقمة قتل كل منهما صاحبه و هما يتبارزان .

و قضى على معظم الخوارج فلم ينبح منهم الا القليـــل حوالى خمسة أو ستة رجال فقط . رغم عنف زياد و شدته فـــى تتبع الخوارج لم تنقطع ثورتهم فى العراق . و تشير النصوص الى عدد من ثوراتهم بالكوفة فى سنة ٥٨ هـ . و كذلك فى البصرة على أيام عبيد الله بن زياد الذى سار معهم سيرة أبيه فقتـل كثيرا منهم وتورد النصوص الكثير من قصص البطولـــة و طلب الاستشهاد فى سبيل المبدأ التى قام بها كثير من الخوارج.

و هكذا لم تهدأ بلاد العراق طوال عهد معاوية اذ ظلـــت مضطربة رغم شدة الولاة و عنفهم مما يتطلب كل قسوة و عنـــف الحجاج فيما بعـــد .

هذا من موقف بلاد العـــراق .

أما عن بلاد الشام فقد كانت مركز الحكم بعد أن خرجت الخلافة من الحجاز و هناك فرق بين أحوال العراق و أحوال بلاد الشام و ذلك أنه بينما كانت الغالبية من أهل العراق لم يخرجوا من الجزيرة جزيرة العرب الا حديثا عقب ظهور الاسلام و خروج العرب و قيامهم بفتوحاتهم الكبيرة لاحظ أن العرب فى بلاد الشام كانوا قد استقروا هناك منذ أزمان بعيدة و كانوا قد اعتادوا على الخضوع للحكم و للنظم الادارية التى تعرفها الدولة الحضارية وساعد على ذلك اتصالهم بالكنيسة المسيحية - ولهذا السبب اعتبر العرب فى الشام معاوية وكأنه الوريث لاسرة الغساسنة و طالما عاش معاوية لم يسبب له العرب فى الشام آية مصاعب خطيرة و ذلك على عكس ماسيحدث على أيام خلفه اذ ستكون النزاعات القبلية بين العرب من أسباب ضعف وانهيار الاسرة الاموية • والحقيقة انه كانت توجد فى بلاد الشام عصبيتان كبيرتان أحداهما عصبية الكلبيين بنو كلب و هؤلاء كانوا اكثر قبائل العرب عددا فى الشام و أقدمهم استقرارا فى تلك البلاد و هم ينتسبون الى عرب الجنوب أى الى عرب اليمن او القحطانية •

أما العصبية الثانية فكانت عرب القيسيين نسبة الى جدهم قيس و أصلهم من عرب شمال الجزيرة او وسطها و على ذلك فهم من العصبية العدنانية او النزارية و اشهر جماعاتهم هى

التى كانت تنسب الى مضر ، و فى أول الامر استعان معاوية بقبائل كلب و تزوج منهم آمرأة هى التى ولدت له ابنه يزيد و بفضل هذه المصاهرة توثقت الرابطة بين يزيد بن معاوية وبين اخواله الكلبيين و على ذلك فهو يتزوج منهم هو الاخر و على هذا الاساس يمكن أن يفسر وقوف القيسية ضد الامويين ضد بنى سفيان بعد وفاة يزيد كما ستشير بعد ذلك.

و من الميزات الاخرى التى يتميز بها عرب الشام هى أنهم كانوا يقطنون فى المدن الكبيرة فى بلاد الشام و فى هذه المدن عاشوا وسط النصارى وكانوا علىاتصال مستمر بهم وبلغ الامر الى درجة انهم شاركوهم فى دور العبادة و هذا ما لم يحدث له نظير فى بلاد العراق التى سكن فيها العرب فى مدن بعيدة اشبه ماتكون بالمستعمرات (المدن) التى بنيت خصيصا لهم كما حدث فى الكوفة وفى البصرة و على ذلك عاشوا منفصلين الى حد ما عن أهل البلاد .

وبفضل هذا الاتصال الوثيق بين العرب و أهل الشام اتخذ معاوية بن أبى سفيان الاساليب الادارية الراقية التى كانت مطبقة فى الولاية الرومانية القديمة . ولم يكن من الغريب أن تستمد الدولة هذه الاساليب فتطبقها فى جميع الاقاليم .

أمدت بلاد الشام معاوية بالرجال اللازمين للقيام بأعمال

الادارة و كان أغلب هؤلاء من أهل الشام المسيحيين الذيـــن اخذوا اكبر المناصب فى الدولة من ذلك أن الرجل الذى استقل بادارة اموال منطقة دمشق عندما دخلها العرب والذى فـــاوض العرب الى جانب اسقف المدينة من أجل التسليم و هو سرجـــون بن منصور ظل يشغل منصب المشرف على جباية الضرائب كما عهـد اليه أيضا بالاشراف على ديوان الجيش (حسابات الجيش) ٠وكان هذا الرجل قريبا من معاوية حتى أنه كان أشبه مايكون بكبير لامنائه و ظل يحظى بتلك الثقة من الخلافة حتى أيام يزيد بـن معاوية و بطبيعة الحال كان هؤلاء الموظفون مع أهل الشـــام يستعملون اللغة الاغريقية فى الدواوين وسجلات الدولة هذا كما أن النقود التى كانت مستخدمة فى ذلك الوقت ضربت على شكـــل النقود البيزنطية حتىيقال انها كانت تحمل علامة الصليـــب البيزنطى ٠ ولقد و جدت عينات او بعض النقود التى ضربت فـى العصر الاموى من دنانير و دراهم والدنانير تضرب من الذهـب بينما يضرب الدرهم من الفضة و كان الدينار يحمل على و جهـــه نفس النقش الذى يحمله الدرهم ففى وسط الدينار أو الدرهـــم كان ينقش لا اله الا الله وحده لاشريك له فى ثلاثة أسطر و حـول هذا النقش و فى شكل دائرى كان ينقش محمد رسول الله أرسلـــه بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ٠ أما من الخلـــف فى وسط الدينار نقرأ فى ثلاثة أسطر الله أحد الله السطرالثانى:

الصمد لم يلد السطر الثالث ولم يولد . وحول هـــذه الاسطر الثلاثة و فى شكل دائرى باسم الله ضرب هذا الدينار سنة كذا ولايوجد فى الدينار الحلقات الدائرية التى تحف بالطرة أما عن الدرهم الذى وجد من العصر الاموى فوجد عليه من وجه فــى الوسط لا اله الا الله وحده لاشريك له فى ثلاثة أسطر وحولهــا باسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا فى سنة كذا .

ولوحظ أن كثير من هذه الدراهم تحيطها دوائر فى شكل حلقات صغيرة حول الطرة أما من خلف ففى وسطه أربعة أسطـــر مكتوب فيها الله أحد الله فى السطر الثانى الصمد لــم يلـد والسطر الثالث لم يولد ولم يكن السطر الرابع له كفوا أحد . وحول هذا محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

و تتلخص أهمية النقود العربية هذه التى وجدت فى أماكن متفرقة فى أنها تمدنا بمعلومات عن الاحوال الاقتصادية للدولة العربية و أهمية الاتصالات التجارية التى كانت بين العـــرب وبين العالم الخارجى وخاصة مع أوروبة الشمالية والشرقيـــة حيث يوجد الكثير من النقود العربية و كانت مستعملة فى تلك البلاد الى اوائل القرن الحادى عشر الميـــلادى .

لكن النوع الذى ذكرناه هو من نقود أواخر ايام العصر

الاموى بعد أن تعرب النقد و أصبح الدينار والدرهم لهما طابع عربى أصيل .

و فيما يتعلق بالشئون المالية قام معاوية باصلاحات هامة من ذلك أنه أقر الضرائب التى كانت تدفعها الولايات المختلفة الى بيت المال و أشرف عليها اشرافا دقيقا ورفع عن كاهل بيت المال كثير من الاعباء المالية و خاصة من الارزاق التى كانت تصرف على كثير من الناس و منع الولاة من الاحتفاظ بالاموال فى خزائنهم الخاصة او بيوت أموال الاقاليم حتى لايكون ذلك سببا من أسباب اضطراب العسكر و حاسب عماله حسابا دقيقا واهتم معاوية بن أبى سفيان بأحوال الحجاز و شجع الزراعة بفضل اعماله العمرانية و التى كانت تهدف الى أحياء الارض الموات و توفير الماء اللازم بانشاء المصانع و هى خزانات المياه ورغم ماعرف عن معاوية من استبداده بالملك و بالحكم الا أنه لم يحكم بشكل مستبد بل انه كان أشبه ما يكون بشيخ قبيلة فهو يستقبل زعماء القبائل دون حجاب و يغدق عليهم الهدايا والاعطيات كما انه اعتاد أن يجتمع بالناس فى المسجد الجامع ليشرح لهم سياسته حتى قال بعض الناس انه جعل من المنبر منصه خطابة اكثر منه مكان للوعظ والارشاد و كل هذا يدل على مقدرة معاوية و يبرز الصفة الكبرى التى تميز بها وهى التى قلنا انها كانت تسمى بالحلم و المقصود بالحلم هنا

هو الهيبة اللطيفة و التحكم فى النفس و التغافل عن الهفوات الصغيرة و هى أهم الصفات التى ينبغى ان يتحلى بها الزعيم.

و بذلك نكون قد انتهينا من الكلام عن الأحوال السياسية الداخلية على أيام معاوية .

السياسة الخارجية لمعاوية :

نتكلم عن السياسة الخارجية و هذه تتلخص فى العلاقة مع الامبراطورية البيزنطية و الصراع ضد الروم و كذلك فى توسيع حدود الدولة أى الفتوحات سواء فى الشرق أو فى الغرب وأول ملاحظة نلاحظها هى أن معاوية بن أبى سفيان اعتبر الحرب ضد بيزنطة من أهم واجباته بصفته رئيس الدولة العربية والحقيقة أن معاوية كان قد خبر تلك الحرب منذ ولايته على الشام من أيام الخليفة عمر فتذكر النصوص أنه منذ السنة الخامسة و العشرين للهجرة قام معاوية بنفسه على رأس حملة و عبر جبال طوروس اى منطقة الثغور - والثغر تعنى الحد بين دولة الاسلام والدولة المعادية و ذلك لان جبال طوروس تفصل بين الشام وآسيا الصغرى التى كانت تسمى فى ذلك الوقت أرض الروم . و أشرف على مدينة عمورية لاول مرة و فى ذلك الوقت كانت المدن الفينيقية الشامية الموجودة على الساحل بين ايدى البيزنطين

ولم يكن معاوية يستطيع انتزاعها منهم الاعلى ايام عثمان وسيكون ذلك من الاسباب التي دعت معاوية الى العمل على انشاء الاسطول العربي ورفض عمر أن يسمح له بذلك ولكن معاوية سيحقق أمنيته هذه على ايام عثمان وبفضل نشاط معاوية في الميدان البحري سيتمكن العرب من بناء الاسطول وسيادة البحر في برهة وجيزة حتى انهم سيغلبون على كل البحر المتوسط الذى لم تعد تسبح للنصرانية فيه ألواح كما يقول ابن خلدون . ففي صيف سنة ٢٨ هـ استطاع معاوية أن يهاجم جزيرة قبرص و بعد ذلك ببضع سنوات كان يستطيع أن يبعث بأسطول نحو مدينة القسطنطينية نفسها ولكنه رغم ذلك فان العرب لم يستطيعوا ان يحققوا اهدفهم في الاستيلاء على العاصمة البيزنطية رغم انهزام الامبراطور البيزنطي على ساحل أسيا الصغرى ستسمح الظروف بعد ذلك لبيزنطة ان تحقق فترة من الهدوء و ذلك بعد قيام الفتنة عندما اضطر معاوية الى أن يشترى سكوت امبراطور القسطنطينية لكي يوجه كل نشاطه ضد علي ولكنه بعد فترة الازمة عاد معاوية الى سياسته السابقة ضد بيزنطة واستمرت الحرب رتيبة في كل حالة في شكل حملات تسير الى أرض الروم كلما سمحت الظروف الجوية بذلك خاصة ابتداء من فصل الربيع و في فصل الصيف مما سيعطى لهذه الحملات اسم الصوائف و في بعض الاحيان كان الامر يتطلب بقاء هذه الصوائف في أرض العدو أو قيام حملات جديدة في اثناء فصل الشتاء و في هذه الحالة كان يطلق على هذه الحملات اسم

الشواتي و مفردها شاتية و تذكر الحوليات التاريخية حملات مستمرة لمعاوية فى أرض الروم و ذلك ابتداء من سنة ٤٠ هـ • أما أهم قواد هذه الحملات فهم بسرين ارطأة أو ابن ابى أرطاة وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد و مالك بن هبيرة السكوني وسفيان بن عوف • و من أهم هذه الصوائف صائفة سنة تسع و أربعين و ذلك انه بعد أن قضت الحملة الشتاء فى أرض الروم أى فى آسيا الصغرى ،وجه اليها معاوية جيشا كبيرا و كانت الفرصة مواتية اذ استنجد بالعرب احد ثوار الارمن الذي يسمى سابرز يقوس ولكنه عندما وصل العرب الى قلعة ملطية كان الامبراطور قد قمع الثورة ولكن ذلك لم يمنع العرب من الوغول فى البلاد و فى هذا الوقت أرسل معاوية ابنه يزيد الذى كان يعيش حتى ذلك الوقت عيشة لينة سهلة لايهتم الابلذاته فقط وذلك ليلحق بالجيش •

وتقول النصوص أن يزيدا تثاقل واعتل ولكن معاوية أجبرة باللحاق بالناس وجعل فى صحبته كبار أبناء الصحابة مثل ابن عباس وابن عمروابن الزبير و بعد ان شتى المسلمون أى بعد آن أمضوا الشتاء فى أرض الروم تقدموا نحو القسطنطينية ولكنهم اضطروا الى رفع حصارهم هذا فى الصيف والعودة الى الشام واستمرت الحملات السنوية المنتظمة و كانت حملة سنة خمسين برية وبحرية معا و فى سنة ٥٣ شتى عبد الرحمن بن أم الحكم

بأرض الروم فى البحر قام القائد جناده بن ابى امية الازدى بفتح جزيرة رودس التى احتلها المسلمون الى وفاة معاوية ثم انهم رجعوا بأمر يزيد .

و فى سنة ٥٤ هـ الموافقة سنة ٦٧٤ م قام معاوية بمحاولة كبرى لضرب الامبراطورية الرومانية فى موقع القلب و ذلك عندما ارسل اسطولا عظيما بقيادة جنادة ابن ابى امية نجح هذا الاسطول فى الرسو على جزيرة قريبة من القسطنطينية يسميها الكتاب العرب جزيرة ارواد و هى فى الحقيقة جزيرة كزيكوس على الضفة الجنوبية للبوسفور . وذلك ان ارواد يطلق على جزيرة قريبة من الساحل الشمالى بالقرب من انطاكية والاسكندرية وبعد تلك الجزيرة استمر معاوية لمدة سبع سنوات يحاصر البوسفور و يضغط على العاصمة البيزنطية و لكنه لم يتمكن من تحقيق مأربة فى الاستيلاء عليها بسبب اسوارها المنيعة و قلاعها الحصينة و بفضل استخدام البيزنطيين فى الحرب لسلاح جديد هو الذى يطلق عليه اسم النار اليونانية او النار الجرجوارية نسبة الى جريجوار و هى عبارة عن مركب بترولى مختلط بكبريت ينسب اختراعه الى رجل اسمه جالينكوس يقال انه كان من أهل الشام ولو آن بتلر فى كتابه عن فتح مصر يرى أنه ربما كان مصريا بفضل هذه النيران انقذت واحترقت كثير من مراكب الاسطول العربى الذى انسحب بعد أن غرق عدد كبير من المسلمين

و تقول بعض الروايات ان الامر انتهى بعقد معاهدة مـــع
الباسيلوس و يقال أن معاوية هو الذى تعهد بدفع مبلغ مـــن
المال الى الامبراطور البيزنطى ولم يمنع حصار القسطنطينية
هذا الذى استمر سبع سنوات كما قلنا من استمرار غارات العرب
على الاراضى البيزنطية و ذلك فى سنوات ٥٥ ،٥٦، ٥٧ هـ . ولكن
هذه الغارات و ذلك الحصار انتهى بدون نتائج كبيرة كمـــا
قلنا حتى سمى بعض الكتاب الافرنج هذه الحرب حرب العظمـــة
بمعنى أن هذه الحرب لم تكن ضرورية و أنه فى ظروف دوليـــة
غير تلك التى كانت سائدة فى ذلك الوقت كان يمكن الاتفـــاق
بين العرب و بين بيزنطة فى سبيل تنمية المصالح الاقتصادية
أما فى ذلك الوقت كان الغرض من هذه الحرب هو أن تظهر دولة
العرب والمسلمون لدولة الروم قوتها وعنفوانها و تعمل فـــى
كل عام على اظهار سطوتها بتوجيه تلك الحملات السنوية .

الفتوح فى بلاد المغـــرب :

واذا كان العرب لم يحققوا فى هذا المجال مالم يستحق
الذكر نرى أنهم حققوا انتصارات اخرى على دولة الروم وذلـك
فى الجبهة الغربية فى بلاد المغرب و هى شمال افريقيـــة
والحقيقة أن العرب وجهوا انظارهم نحو المغرب بعد فتح مصر
كما سبق أن أشرنا فقد توجه عمرو بن العاص منذ سنة ٢٢ هـ .
وفتح برقة وطرابلس و فزان و تقول الروايات انه طلب مـــن

الخليفة عمر بن الخطاب ان يقوم بفتح افريقية و في ذلـــك الوقت كانت افريقية ولاية رومانية خاضعة للقسطنطينية ولكنها كانت مستقلة عن الدولة عندما ثار واليها على الامبراطـــور و هذا الحاكم يعرفه العرب باسم جرجير فلم يوافق عمر فـــى ذلك الوقت على التوسع فى افريقيـــة .

العرب بدأوا ذلك على ايام الخليفة الثالث عثمان بـــن عفان عندما سار من مصر عبد الله بن سعد ابن ابى سرح فلقـــد دخل ابن سعد هذا الى افريقية و نجح فى هزيمة الحاكم البيزنطى جرجير فى وقعة مشهورة تعرف باسم سبيطلة حدث ذلك فى سنـــة ٢٧ هـ ولكنه بعد مقتل الوالى البيزنطى عاد ابن سعد الى مصر وتوقف النشاط العسكرى ضد الروم اثناء الفتنة ولانجد ذكـــرا للوقعة البحرية الشهيرة المعروفة بذات الصوارى و هى التـــى حطم فيها الاسطول العربى المصرى بقيادة ابن سعد نفسه الاسطول البيزنطى و ذلك بالقرب من شواطىء الاسكندرية كما تقول بعـــض الروايات فى سنة ٣٤ هـ . و توقف القتال ضد الروم الـــــى أن خلص الامر الى معاوية كما قلنا فعادت فتوح العرب فى المغرب قوية من جديد فىافريقية و تتمثل ذلك فى الحملة التى قـــام بها معاوية بن حديج الذى سار الى افريقية فى سنة ٤٥وانتهز فرصة انقسام القواد البيزنطيين على انفسهم و تمكن من تحقيق انتصار كبير فى موضع يعرف بجلولاء . اما اهم الفتوحات التـــى تمت على أيام معاوية فى المغرب فتتمثل فى الحملة التى قـــام

بها عقبة بن نافع الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للفتح العربى فى بلاد افريقية و ذلك عندما بنى مدينة القيروان فى سنة ٥٠هـ لتكون مدينة عربية فى بلاد البربر و ذلك جريا على السياسة التى بداها العرب فى المشرق و بفضل مدينة القيروان استقر العرب فى بلاد المغرب .

و بعد بناء القيروان و فى أيام معاوية عاد من جديد فى خلافه يزيد و ذلك فى سنة ٦٢ هـ لكى يقوم بحملة كبرى اجتاح فيها كل بلاد المغرب و من ادناها الى اقصاها ووصل الى البحر المحيط و عمل على نشر الاسلام بين القبائل المغربية ولكن حملته الكبرى هذه انتهت باستشهاده و هو فى طريق العودة ذلك فى موضع قريب من مدينة بسكرة فى جنوب بلاد الجزائر الحالية ويعرف الموضع الآن باسم سيدى عقبة .

هذا عن الفتح فى بلاد المغرب .

الفتوحات فى المشرق :

يبقى الكلام عن الفتوحات فى المشرق اننا قد رأينا أن المسلمين وصلوا فى فتوحهم فى المشرق على أيام عمر الى مشارق خراسان فلقد خرجت الجيوش العربية من الكوفة والبصرة و ساحت فى فارس و كرمان و سجستان (عاصمتها مدينة زرنج)

و خراسان من أشهر مدنها مرو وهرات و نيسابور واضطر يـزد جرد الى عبور النهر واستنجد بملك الترك و ظل طوال ايام عمر ببلد الترك بعد محاولة فاشلة لمواصلة القتال ضد العرب فى خراسان و تقول النصوص ان قائد خراسان العربى وهو الاحنف بن قيس عندما كتب الى عمر بالفتح كتب اليه الخليفة أن يقتصر على مادون النهر (بمعنى انه نصحه الا يعبر النهر) ولم يكن هذا يعنى تمام الفتح واستقرار المسلمين فى البلاد و ذلك ان العرب عندما حققوا هذه الانتصارات السريعة صالحوا البلاد المختلفة وتركوا حكمها لاهلها من الامراء المختلفين الذين عرفوا بالمرزبانات والدهاقنة اوالدهاقين ومفردها دهقان على أن يدفعوا للعرب ماكانوا قد اتفقوا عليه من الاموال و على ذلك لم يكن من الغريب ان ينقض اهل البلاد هذا الفتح بعد وفاة عمرو كان على عثمان أو على على ولاته أن يعيدوا الفتح ويقروا الامور فى البلاد من جديد فأرسل الجيوش من الكوفة الى آرمينية و آذربيجان و كذلك الى طخارستان و جرجان و تم فتح هذه الجهات التى لم تكن قد فتحت من قبل سنة ٣٠ هـ ـ كذلك سارت الجيوش من البصرة الى فارس (الولاية) و من فارس الى خراسان حيث تم الصلح مع المرزبان على أموال عظيمة و خلال هذه الحملات يزد جرد الثالث سنة ٣١ هـ . وسار قائد القوات العربية الاحنف بن قيس

الى خوارزم (تقع على الضفة الغربية لمصب نهر جيحـون) ولكنه لم يستطع فتحها و تمت كل هذه الفتوحات أيام ولاية عبد الله بن عامر البصرة الذى خرج من نيسابور محرما لعمرة شكر الله على ماحققه له من الفتوح ٠ و فى بلاد فارس و فى ثغور خراسان بدأ العرب يتعرفون على الترك و بعد مقتل عثمان اضطربت البلاد فثارت فارس و كرمان و بعث على يزيد بن أبيه الذى استطاع ان يضبط هذه الاقاليم و كان من أسباب اضطراب تلك الاقاليم جماعات الخوارج التى لجأت و خاصة فى سجستان حيث اضطربوا سنة ٣٦ هـ ٠ و أفسدوا فيها وسار على لحربهم بنفسه و بعد انقضاء الفتنة واستتباب الامن لمعاوية بدأت حركة الفتوح قوية من جديد فسار المسلمون حتى بلاد السند سنة ٤٢ هـ كما أن زياد بن أبيه سير فىسنة ٥١ هـ الربيع بن زياد الحارثى و سير معه خمسين ألف أسرة من أهل الكوفة والبصرة كما سبق ان ذكرنا فسكنوا خراسان ـ و غزوا اقليم بلخ (على نهر جيحون) وعلى ايام معاوية بدأت المحاولات الاولى لعبور نهر جيحون والاستقرار فى بلاد ماوراء النهر وعندما استعمل معاوية عبد الله بن زياد على خراسان سنة ٥٤ هـ سار اليها فقطع النهر الى جبال بخارى فكان أول من قطع جبال بخارى فى جيش كما تقول الرواية و تم له فتح بعض أعمال بخارى مثل كش و نسف و غنم منها غنائم كثيرة واستمر ابن زياد فى ولايته سنتين و قطع سعيد بدوره النهر و سار حتى بلغ سمر قند

الفصل الثامن

خلافة يزيد بن معاوية

و هذا يعنى أنه توغل الى أبعد من بخارى أى الى أبعد مما وصل اليه ابن زياد و حاصر. المدينة حتى صالحه أهلها على فدية (طبول تسمى فدية) ثم ان معاوية استعمل عبد الرحمن بن زياد بعد ذلك على خراسان سنة ٥٩ هـ . و تقول الروايات انه كان ضعيفا مريضا لم يغز غزوة واحدة الى سنة ٦١ هـ .

و هذا يعنى أن الغزو فى بلاد ماوراء النهر كان قد اصبح سنة لايحسن الاخلال بها وبطبيعة الحال كانت هذه الحملات ضعيفة مثلها مثل الحملات على حدود الدولة الغربية فكانت تبدأ عندما تتحسن الاحوال الجوية مع دخول فصل الصيف وينتهى قبل هجوم فصل الشتاء و كانت قاعدة العمليات فيما وراء النهر هى مدينة مرو . و بعد وفاة معاوية استعمل ابنه يزيد على خراسان سلم بن زياد سنة ٦١ هـ . ووجه مسلم حملة بقيادة المهلب بن أبى صفرة الى اقليم خوارزم فحاصرها و تم الصلح على أن يدفع المحاصرون الفدية و توغل سلم فيما وراء النهر حتى بلغ سمرقند .

خلافة يزيد بن معاوية :

توفى معاوية فى دمشق فى شهر رجب من سنة ٦٠ هـ الموافق شهر ابريل من سنة ٦٨٠م و كان قد بلغ من العمر الخامسة والسبعين بعد خلافة دامت حوالى عشرين سنة ظهر خلالها بمظهر

السياسى الموهوب فهو كما يقول الكتاب داهية من دواهـــى العرب بمعنى السياسى المر الصعب المنال فينسب الى عمـــر بن الخطاب انه عندما ذهب الى الشام قال تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية • والى معاوية ينسب الكتاب نقلـــه الدولة العربية الاسلامية من طور السذاجة والبساطة الى طـور التمدن والتحضير فمعاوية حسبما يختم ابن الاثير كلامه عنـــه اول خليفة بايع ولده فى الاسلام واول من وضع البريد وأول من سمى الغالية التى تتخذ من الطيب غالية وأول مـــــن عمـــل المقصورة فى المساجد ويحيط بالمقصورة الحرس فى المساجـــد وأول من خطب جالسا فى قول بعضهم وتولى الخلافة بعد معاوية ابنه يزيد الذى كان قد بويع له فى حياة والده فى سنـــــة ـــة وخمسين بويع له بولاية العهد وكان ذلك الامر حدثــــــا خطيرا فى الاسلام اذ أنه يغلب مبدا الوراثة الملكى على مبدأ الانتخاب الشورى الجمهورى مما آثار ثائرة المحافظين مـــن المسلمين وفى ذلك ينسب الى الحسن البصرى انه قال:"أربـــع خصال كن فى معاوية لو لم يكن فيه الا واحدة لكانت موبقـــة انتزاؤه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشـــورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة واستخلافه بعده ابنـــه سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابيـــر " •

ولكنه يظهر ان التجارب التى مرت بها الجماعـــــة

الإسلامية فى الفترة السابقة و هى التجارب الدامية التى ترتبت على النزاع على منصب الخلافة كانت السبب الذى املى على السياسى الداهية معاوية اتخاذ هذا الاجراء والحقيقة أن تعيين ولى للعهد كان يحقق لمعاوية هدفين فى وقت واحد الاول احتفاظه بزعامة الدولة الاسلامية لعقبه من بعده •

والثانى هو تفادى الاضطرابات عند وفاته فمكن القول ان ولاية العهد كانت تهيىء للدولة ملكين أو خليفتين فى وقت واحد فاذا ما مات أحدهما لم يشغل المنصب ولم تكن هناك حاجة الى البحث عن أمير جديد اذ كانت الامور تنتقل الى ولى العهد اى الى يزيد ولم يكن يلزم لذلك الا اجراء شكلى يتمثل فى تجديد البيعة •

ويقال ان الذى أوصى الى معاوية بهذا الامر هو المغيرة بن شعبة ولو أنه يقال أن المغيرة فعل ذلك من أجل غرض انانى اذ أنه أراد ان يتفادى العزل من الولاية ويقول النص أن المغيرة قال لمعاوية أن ذلك يمنع سفك الدماء اذا ماحدث وهناك مايدعو الى الظن فى أن معاوية بن أبى سفيان كان يرى أن زياد ابن ابيه كان هو الشخص الجدير بالقيام بالامر بعده وانه فكر فعلا فى أن يعهد اليه ويمكن أن يستشف ذلك بأن معاوية لم يقرر تعيين ابنه يزيد الا بعد وفاة زياد. و على كل حال قام معاوية باستشارة كبار أعوانه و ذلك قبل سنة ٦٠ هـ

وزين له البعض اتخاذ هذه الخطوة الجريئة بينما نصحه البعض بالتروى و كان منهم زياد وطلبوا اليه أن يبدأ بنصح يزيد حتى يترك ماينقمه الناس عليه حتى تستحكم الحجة له و عندما قرر معاوية البيعة لابنه رأى أن ذلك لن يتم دون معارضة لعمل على اقناع من يمكن ان تأتى منهم المعارضة و هم أبناء المهاجرين والانصار واستعمل معاوية فى اقناعهم اساليبه المعتادة من الترهيب والترغيب فلقد أرسل الى عبد الله بن عمر الذى كان يتمتع بسمعه والده العظيمة والذى كان مرشحا كما قلنا لتولى الامر اثناء محادثات دومه الجندل مبلغا كبيرا من المال يقدر بمائة ألف درهم و تقول الرواية أن ابن عمر قبل المال دون تفكير ولكنه عندما علم أن ذلك سيكون ثمنا لشراء بيعته امتنع .

أما من زعماء اهل المدينة فانهم وافقوا على مبدأ تعيين ولى العهد عندما سمعوا أن معاوية يرغب فى تعيين ولى للعهد واتفقوا على ذلك ولكنهم رفضوا أن يكون المرشح هويزيد بن معاوية فلقد قال عبد الرحمن بن أبى بكر لمروان بن الحكم عندما عرض هذا الامر كذبت والله يامروان و كذب معاوية ما الخيار اردتما لامة محمد ولكنهم تريدون أن تجعلوها هرقلية مات هرقل قام هرقل "وأنكر كذلك الحسين بن على وعبد الله بن الزبير البيعة ليزيد . ولكن معاوية لم يهتم لهذه المعارضة

فجمع وفود أهل العراق فى الشام وحسب طريقته فى السياسة رأى الاثير الامر بنفسه بل عهد به الى أحد اتباعه فتقول الرواية أن معاوية قال للضحاك بن قيس لما اجتمعت الوفود عنده انى متكلم فاذا سكت فكن انت الذى تدعو الى بيعة يزيد و تثنى عليها " و فعلا قام أحد الحاضرين خطيبا وقال هذا أمير المؤمنين واشار الى معاوية فان هلك فهذا - وأشار الى يزيد و من أبى فهذا و أشار الى سيفه فقال له معاوية اجلس فانت سيد الخطباء • وبعد بيعة اهل العراق وأهل الشام رأى معاوية ان يسير الى الحجاز وأن يتفقد المعارضين من أبناء المهاجرين و الانصار بنفسه و تقول الروايات : أنه التقى فى المدينة بالحسين بن على فأغلظ له و كذلك فعل مع عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن الزبير فاضطروا الى الخروج الى مكة غاضبين • ولكن معاوية تبعهم و حاول أن يكتسبهم باللين ولكنهم لم يلبثوا وقبل أن يرحل معاوية جمعهم وكلمهم فى البيعة ولكن ابن الزبير تكلم نيابة عنهم و طلب الى معاوية ان يفعل كما فعل النبى و أبو بكر ولم يجد معاوية بدا من استخدام العنف فهددهم بضرب رقابهم أن عارضوه و أعلن معاوية فى حضرتهم وامام جمهرة الناس والحراس وقوف على رؤسهم بالسلاح وقال ان سادة المسلمين و خيارهم هؤلاء بايعوا يزيد فبايع الناس وعاد معاوية الى الشام وهو غاضب

على بنى هاشم فلحق به عبد الله بن العباس وحاول استرضاءه
حدث ذلك فى سنة ٥٧ هـ ومات معاوية فى سنة ٦٠ هـ و طالب
يزيد الخليفة الجديد بتجديد البيعة وخاصة من زعماء ابناء
المهاجرين والانصار هؤلاء فكتب الى واليه بالمدينة الايرفق
بهم واستشاروا والى المدينة وهو مروان بن الحكم الذى كانت
له امرة الحجاز على ايام معاوية فنصحه مروان باجبارهم على
البيعة وكان ابن عباس متساهلا من البداية فوافق على البيعة
و كذلك فعل ابن عمر اما ابن الزبير والحسين فانهما ماطلا
اول الامر ثم انهما خرجا الى مكة بعيدا عن سلطان الوالى
(الوليد بن عقبة) و عندما بلغ أهل الكوفة نبأ مسير الحسين
الى مكة تراءى لهم أن يحاولوا التخلص من الحكم الاموى
فراسلوه واستدعوه ليتولى أمرهم .

حركة الحسين بن علـــى :

و هناك نص الخطاب الذى وجهه اهل الكوفة الى الحسين يقولون فيه " أما بعد فالحمد لله الذى قسم عدوك الجبار العنيد الذى انتزى على هذه الامة ثم قتل خيارها واستبقى اشرارها وانه ليس علينا امام فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير فى قصر الامارة لسنا نجتمع معه فى جمعه ولاعيد ولو بلغنا اقبالك الينا اخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله تعالى والسلام عليك " .

و تحت هذا الالحاح الشديد وافق الحسين على المسير اليهم و لكنه رأى أن يستطلع الاحوال فبدا بارسال ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة وطلب اليه ان يكتب بمارآه هناك ووصل الداعية العلوى الى الكوفة وعلم به النعمان بن بشير ولكن النعمان اكتفى بتحذير الناس وانذارهم اذ كان حليما ناسكا يحب العافية كما يقول النص ولفت أنصار الخليفة نظرة الى ضعف اولين أو تضاعف واليه و تدخل سرجون بن منصور و نصح يزيد بأن يضم ولاية الكوفة الى عبد الله بن زياد ففعل ذلك وسار ابن زياد الى الكوفة فرغب المطيعين و هدد العصاه وبدأ التفتيش عن اوكار المتآمرين فطلب الى العرفاء كتابة اسماء الغرباء والطلبة والحرورية و هدد المهملين من العرفاء تهديدا شديدا بالصلب والغاء العرافة من العطاء و بفضل هذه

الاجراءات عرف مخبأ مسلم ابن عقيل و كان لاجئا لدى أحد زعماء العرب ورفض الزعيم العربى تسليم ضيفه رغم ما أصابه من الضرب الشديد والتهديد . لكنه وافق فى آخر الامر على ان يخرجه من داره ورأى مسلم انه لامخرج له من هذا المأزق الا اعلان الثورة فجمع انصاره واعوانه ورتبهم واتجه نحو القصر حيث تعقبه ابن زياد و كان فى امكان مسلم ان يسيطر على الامر ويقضى على ابن زياد واتباعه لولا أن حماس أهل الكوفة لم يذهب الى أبعد من توجيه الشتائم والسباب الى ابن زياد ثم التخاذل والتفرق عندما اشرف عليهم بعض زعماء الكوفة من أعلى سطح القصر ووعدوا أهل الطاعة وتوعدوا أهل المعصية ووجد الداعية الحسينى نفسه وحيدا فهام على وجهة فى المدينة الخالية فى وقت الغسق وانتهى به الامر الى الالتجاء الى دار امرأة و فى الصباح عرف مكانه وقبض عليه فانهار باكيا لكن مسلم اعتذر بأنه بكى لاهله المنقلبين اليه واعتقل مسلم فوق سطح القصر حيث ضربت رأسه و ظهر مسلم بمظهر الثائر المثالى فقد كان آخر وصاياه عندما طلب اليه ان يوصى ان يدفع أحد اصدقائه دينا كان قد استدانه بالكوفة قدره سبعمائة درهم و فى السوق ضربت راس الزعيم الذى كان قد اجاره وأرسلت الرأسان الى يزيد الذى بعث الى ابن زياد يشكره ويقول انه بلغه مسير الحسين الى العراق ويوصيه بوضع المراصد والمسالح وحراسة الطرق .

أما عن الحسن فانه اغتر بالرسائل التى جاءته من العراق و خاصة ذلك الكتاب الذى أتاه من مسلم يقول فيه " انه بايعه من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل ويحثه على الحضور" و علم أهل مكة بما ينوية الحسين فمنهم من نصحه بعدم الخروج مثل عمر بن عبد الرحمن بن الحارث الذى قال له: " ان الناس عبيد الدينار والدرهم " وعبد الله بن عباس الذى سأله " اتسير الى قوم قتلوا أميرهم أم أن أميرهم عليهم قاهر " الظاهر ان بعض الناصحين دفعتهم مصالحهم الانانية الى تشجيع الحسين على القيام بالمغامرة الخطيرة وبمكن أن نفهم أن ابن الزبير كان من هؤلاء اذ يقال ان عبد الله بن الزبير قال للحسين " لو كان لى بها مثل شيعتك لما عدلت عنها " . وتقول الروايات " ان ابن عباس قال للحسين عندما قرر المسير لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز" ورغم معرفة الحسين بحقيقة الموقف الذى كان يتلخص فى أن قلوب الناس معه وان سيوفهم مع بنى أمية كما قال الفرزدق الشاعر المعروف فانه قرر الخروج الى العراق ولم ينتصح بنصيحة والى مكة الذى أعطاه الامان وطلب اليه العودة . وعلم ابن زياد بمسير الحسين فحرس العراق وأرسل صاحب شرطته وهو الحصين بن نمير يترقب الحسين . وعندما قرب الحسين من الكوفة أرسل رسولا يأتيه بالاخبار فأخذوا الرسول وقتل ثم انه

الكوفه فكان الحر يرده نحو الطريق . وحاول الحسين أن يستنجد ببعض زعماء العرب ولكنهم رفضوا نجدته اذ يقال أن عبيد الله بن الحر عندما طلب منه الحسين أن ينصره ردعليه قائلا : ماخرجتم من الكوفة الاكراهية ان يدخلها الحسين و أنا بها والله ماأريد أن أراه ولايراني . و أثناء الطريق وصلت أوامر ابن زياد الى الحر بأن ينزل الحسين بعيدا عن الماء و فى كربلاء (غربى الفرات و على بعد حوالى مائة كيلو متر تقريبا جنوبى غرب بغداد) . أحاط الحرس الاموى بالحسين و أصحابه على حدود الصحراء فى الثانى من محرم من سنة ٦١هـ/ ٢ أكتوبر سنة ٦٨٠ م . و ذلك على أمل ان يرغم العطش الحسين على الخضوع و فى اليوم التالى و صل ابن الصحابى المعروف سعد بن ابى وقاص وهو عمر بن سعد على رأس أربعة آلاف رجل ومعه اوامر ابن زياد باستصحاب الحسين الى الكوفة وتقول النصوص انه دارت مفاوضات بين الحسين وبين ابن سعد وقيل أن الحسين عرض ان يعود الى الحجاز او ان يبايع يزيد أو أن يسير الى أى ثغر من ثغور المسلمين ولكن عروضه هذه رفضت و فى اليوم العاشر من شهر المحرم وجه عمر بن سعد الى الحسين انذارا أخيرا ولكنه رغم أن الحسين كان لاينتظر أى معونة من أتباعه فى الكوفة فانه رفض الاستسلام و عندما رأى تحرش خصومه به عزم على المقاومة مع أصحابه الذين بلغوا حوالى سبعين رجلا مابين فارس وراجل ولكنه حاول محاولة اخيرة

علم بعد ذلك بمقتل مسلم ابن عقيل وتأكد من خذلان شيعته لـه وزغم نصح الناصحين له بالعودة فانه رفض رغم أنه صحب معه اهله واقاربه من نساء واطفال و تقدم الثائر المثالى نحو مصيره التعس و هو يظن انه مهما كان من امر فان حرمته بصفته حفيد النبى لايمكن أن تنتهك و هذا مالم يكن رأى اصحاب الامر . ولايتردد المؤرخون فى امدادنا بالمعلومات الدقيقة عن نهاية الحسين و أصحابه ويصورون ذلك بصورة المأساة الدامية التى تثير الاسف والشفقة فالحصين بن النمير أرسل ألف فارس على رأسهم الحر بن يزيد التميمى التقوا بالحسين الذى حاول ان يجتذبهم الى جانبه دون جدوى . فتقول الروايات أنه خطب هذه الجماعة فقال ايها الناس انها معذرة الى الله واليكم انى لم اتكم حتى آتتنى كتبكم ورسلكم أن أقدم الينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى فقد جئتكم فان تعطونى ما اطمئن اليه من عهودكم اقدم مصركم وان لم تفعلوا او كنتم بمقدمى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى اقبلت منه".

و طلب الحر من الحسين ان يسير معه الى الكوفه لدى ابن زياد ولكنه رفض وخاطب حراسة من جديد ويبين قرابته للنبى واحقيته فى الامامه و جرح الامويين ورماهم بالعسف و الجور واظهر استعداده للاستشهاد اذ الزم الامر . و حذره الحر وأخبره بأنه سيقتل اذا قاتل لكن الحسين حاول أن يبتعد عن طريق

باشة لاستدرار عطف الجند الاموى فبعد أن تدهن بالمسك وركب دابته دعى بمصحف وضعه امامه و جعل اصحابه بين يديه في هيئة القتال ثم أخذ يخطب فيهم مذكرا بحرمته ولكن خطبته هذه لم تكن بأجدى من خطبة السابقة وعندئذ تعالت اصوات نسائه واخواته بالبكاء و النحيب وبدا عمر بن سعد الرمى بالسهام ثم تبعه اصحابه و كان من الطبيعى ان ينتهى اليوم بمـ حة مروعة يروح ضحيتها اولئك الثوار الذين يطلبون الاستشهاد و هناك تفصيلات دقيقة عن المبارزات الفردية و عن مقتل كل رجل بل و عن كل طعنة تلقاها من امام او من خلف وفى بداية القتال عقرت خيول اصحاب الحسين فأصبح الجميع رجالة و عند الظهر توقفت المذبحة لاداء الصلاة ثم عادت من جديدولم يبق الا بعض رجال الحسين يقاتلون ويقتلون بين يديه .

و تحدد الروايات موعد استشهاد الطالبين و كان اول من لقى مصرعه على الاكبر ابن الحسين وبعد ذلك يأتى مقتل بنى عقيل و بقى الحسين والمهاجمين يترددون فى طعنه واخيرا تجرأ رجل من كنده فضربه بالسيف على رأسه وقطع البرنس وأدمى رأسه وتبالغ الروايات و هى الروايات العباسية والعلوية من غير شك فى ايراد تفصيلات قصصيه مثيرة فالحسين الجريح يدعو ابنه الصغير و يجلسه بحجرة فيرمى رجل الطفل الصغير فيذبحه و هو فى حجر أبيه و يأخذ الحسين دم الطفل الصغير فيصبه فى الارض

ويقول ربى ان تكن حبست عنا النصر من السماء فابعث عنامما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين واستبد العطش بالحسين فدنا من الفرات ليشرب فرماه الحصين بسهم وقع فى فمه وحال الخصوم بينه وبين الماء فقد كان لايقوم الا ليقع و لايقع الا ليقوم و مع ذلك فالرواية تصوره وهو مخضب بالوشم فى جبهة الوشى فهو فى ذلك الموقف التعس يحمل يمينا وشمالا فتنكشف الرجالة عن يمينه وشماله انكشاف المعزى اذا شد فيها الذئب . و انتهى الامر بأن حمل عليه الرجال من كل جانب وكانت آخر طعنه فانها طعنة رجل قضت عليه .

واحتزرأس الحسين وانتهبت امتعته وأرسلت الرأس واقتيد النسوة و الاطفال و فيهم على بن الحسين (زين العابدين) فى موكب جنائزى الى ابن زياد الذى قال انه حمد الله الذى أظهر الحق واهله و نصر امير المؤمنين يزيد و حزبه و أرسل ابن زياد الرأس والموكب التعس الىالخليفة الذى أسف اسفا شديدا فيقال انه دمعت عيناه . وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين .

و تقول الرواية أن يزيدامر باعادة العلويين الذين نجوا من المجزرة الى المدينة و عاملهم بلطف اثار اعجابهم حتى أن سكينة منهم كانت تقول مارأيت كافرا خيرا من يزيد ابن معاوية . سألهن عما أخذ منهن فاضعفه لهن . والظاهر

ان الامويين اعتبروا ان مقتل الحسين نوعا من الاخذ بالثأر لمقتل عثمان قريبهم وذلك انه عندما وصل الخبر الى المدينة و نعى للعلويين قتيلهم قال والى المدينة " ناعية كناعية عثمان " و قتل الحسين بن على وله من العمر حوالى خمس وخمسون سنة .

و سنلخص اهمية مقتله فى النتائج السياسية والفكرية البعيدة المدى الى ترتبت عليه فمن الناحية السياسية سيعمل مقتل الحسين على تكتيل وتوحيد صفوف الشيعة فى سبيل الثأر لحفيد النبى الشهيد .

و من الناحية الفكرية سيكون مقتل الحسين من العوامل التى عملت على تقدم الافكار الشيعية و ذلك أن الحسين أصبح فيما بعد المحور الذى تدور حوله كل الميول ذات الاتجاه المناهض للعروبة و للعرب ومقام الحسين فى موضع كربلاء يعتبر حتى اليوم من أقدس الاماكن التى يحج اليها الشيعة وخاصة الفرس منهم و حتى اليوم يحتفل الشيعة بيوم العاشر من محرم يوم عاشوراء وهو يوم مقتل الحسين احتفالا حزينا مهيبا يذكر بالالام التى اصابت الحسين فى ذلك اليوم .

و الظاهر ان ذلك العيد الحزين التعس كان من الاسباب التى دعت أهل السنة الى الاحتفال بعاشوراء احتفالا مخالفا

اذ انه اعتبر من الايام السعيدة ايام المواسم مثل رأس السنة الهجرية والمولد النبوى ومثل النصف من رجب وما شابه ذلك من الاعياد .

هكذا تخلص يزيد من أشد خصومه وهو الحسين ابن على ولكنه رغم ذلك لم تنتهى معارضة أهل الحجاز فقد كان هناك عبد الله بن الزبير الذى كان يتحدى الخليفة منذ حوالى عام وهو فى مكة وكان ابن الزبير فى حقيقة الامر اكثر خطورة على الامويين من الحسين ففى الوقت الذى كان يعلن فيه انه مستجير بالبيت كان يبايع لنفسه سرا و من مكة كان يثير أهل المدينة الذين كانوا يطمعون فى استعادة ماسلبهم أهل الشام من سلطان والذين استنكروا اراقة دم حفيد النبى ايما استنكار، و لقد حاول يزيد ان يكتسب أهل الحجاز الى جانبه فقرر اتخاذ اجراءات عنيفة ضدهم بعد أن فشل اللين وسياسة المداراه وبدأ يزيد بعزل عامله على مكة وهو عمر بن سعيد بن العاص الذى اتهم رغم شدته و عنفه بأنه كان يدارى و يرفق بابن الزبير وعهد يزيد بالولاية الى الوليد بن عتبه الذى اشتد فى طلب ابن الزبير و كان عبد الله بن الزبير سياسيا يعرف كيف يخفى نواياه و كاد للوالى أى للوليد اذ كتب للخليفة يبين له أن واليه أحمق وانه لو أرسل رجل غيره فربما امكنه التفاهم معه وظهر يزيد بمظهر المتساهل الذى يرغب فى اقرار السلم

فعزل واليه جعل الولاية لاحد ابناء عمومته وهو عثمان بن محمد بن أبى سفيان ، وأراد الوالى الجديد ان يكتسب اهل الحجاز الى جانب يزيد فأرسل و فدا منهم الى الشام وأكرم الخليفة ذلك الوفد اكراما بالغا فغمروهم بالهدايا ولكن هذه الزيارة أتت بنتيجة عكسية فقد عاد امراء الوفد وهم يسخطون على الخليفة الذى اتهم فى دينه وبأنه يشرب الخمر و يضرب بالطنابير و يعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده اللصوص .

و ترتب على هذه الدعاية السيئة ان ثار أهل المدينة و خلعوا يزيد و تزعم هذه الثورة عبد الله بن حنظله الذى كان من زعماء الوفد والذى اكرمه يزيد اكراما بالغا وبدأ أهل المدينة بطرد واليهم عثمان بن محمد ولم يستمعوا الى نصحه ثم انهم بعد ذلك حصروا من كان فى المدينة من الامويين الذين لجأوا الى دار زعيمهم مروان بن الحكم و كان الامويون حوالى ألف رجل و أجبر أهل المدينة الامويين على الخروج من ديارهم بعد أن عاهدوهم على الانضموا الى قوات أهل الشام والايدلوهم على عورات المدينة . و أرسل يزيد الى الامويين قوات من اثنا عشر ألف رجل من أهل الشام بقيادة مسلم بن عقبة الذى كان له خدماته المعروفة على أيام معاوية .

وقعه الحرة فى ذى الحجة سنة ٦٣ هـ :

واتجه الجيش الشامى نحو المدينة ووصل بالقرب منها حيث التقى بجماعة الامويين المطرودين بموضع يعرف بوادى القرى و تقول الروايات انه بفضل عبد الملك بن مروان اتخذ مسلم بن عقبة طريق الحرة (والحرة هى السهل البركانى المنبسط فى شرق و شمال شرق المدينة) وستنسب الواقعة الى هذا الموضع الذى عسكرت فيه قوات اهل الشام فى أواخر سنة ٦٣هـ فى شهر ذى الحجة و أنذر مسلم أهل المدينة و أمهلهم ثلاثة أيام لكى يستسلموا ولكى ينضموا الى جانبه ضد ابن الزبير و لكن المدة انقضت ورفض المدنيون الخضوع لاهل الشام و بدلا من أن يمكثوا فى مدينتهم ويقفوا موقف الدفاع تقدموا نحو مسلم وشنوا عليه حربا شديدة انتهت بالقضاء على كثير من شباب قريش من الانصار . وحسب الاوامر التى كان قد امر بها يزيد استباح مسلم بن عقبة المدينة لمدة ثلاثة ايام يقتلون الناس و يأخذون المتاع حتى أفظع ذلك الامر الرهيب من كان بها من الصحابة ثم ان مسلم تقبل بعد ذلك خضوع أهل المدينة وبيعتهم ليزيد بعد أن قتل كثيرا من الناس و النصوص تبالغ فى الاجراءات العنيفة التى اتخذها مسلم بن عقبة الذى كان مريضا فى ذلك الوقت من ذلك : انه دعا الناس الى البيعة ليزيد على انهم خول له يحكم فى دمائهم واموالهم واهليهم

من يشاء فمن امتنع من ذلك قتله " كذلك هناك بعض النـــاس الذين كانوا يقولون نبايع على الكتاب والسنة هولاء كانـــت ترفض بيعتهم ويقتلون بعض الامويين الذين رفضوا الخـــروج مع بنى أميه واسمه عمر بن عثمان كان من العلويين فـــى المدينة يرفض الخروج فنتف مسلم لحيته وقال هذا خبيث ابـن الطيـــب .

نتائج واقعـــة الحـــرة :

و كان من نتائج الواقعة خروج كثير من الصحابـــــة والتابعين الى المغرب حيث انضموا الى الجيش العربى الافريقى وساروا فى قوات الى المغرب ونحو بلاد الاندلس وسيكون لكثيـر من هؤلاء المدنيين شأنهم فى اخبار بلاد الاندلس وماقام فيهـا من النزاع بين العصبيات العربية و بين أهل الشام و أهـــل الحجـــاز .

حصار الحصين بن نمير لمكـــــة :

و كان مسلم بن عقبة مريضا وهو يضرب الحصار علـــى المدينة كما قلنا ولكنه رغم مرضه توجه نحو مكة فمات فـي الطريق بعد أن عهد بقيادة قواته الى الحصين بن نميروووصل الحصين امام مكة فى اواخر شهر المحرم سنة ٦٤ هـ و كـــان أهلها قد بايعوا ابن الزبير واعلنوا الثورة و خاصة عندما وصلهم المنهزمون من أهل المدينة و خرج عبد الله بن الزبير الى لقاء أهل الشام ولكنه لم يستطع الوقوف امامهم فاعتصم بمكة التى ضرب عليها الحصار مدة شهر تقريبا و خلال هذا الحصار احترق البيت الحرام اثر ضربه بالمنجانيق . هذا ولو أن هناك رواية تقول انه احترق من نار كان يوقدها اصحاب عبد اللـه حول الكعبة واشتد الحصار واحسنت مكة بشدة وطأته و ذلـــك عندما وصلت ابناء وفاة يزيد بن معاوية وعندئذ فاوض الحصين بن نمير الذى كان يعرف الانقسامات فى صفوف اهل الشام عبـد الله بن الزبير و عرض عليه ان يعترف به خليفة اذا تعهـــد باعلان العفو العام وشريطه ان يسير معه الى بلاد الشام حتى تظل مركز الدولة . وبطبيعة الحال لم يوافق عبد الله بـــن الزبير على الشرط الاخير و تدل تفصيلات المفاوضات علـى أن عبد الله بن الزبير كان مثاليا فى ثورته وانه لم يكن سياسيا و تقول الروايات أنه عندما عرض عليه الحصين البيعة كـــان

يتكلم سرا وهو يجهر ويقول والله لاأفعل حتى استاء الحصين و قال له " قبح الله من بعدك بعدذائبا وآيبا كنت أظن أن لك رأيا و أنا أكملك سرا و تكلمنى جهرا وأدعوك الى الخلافة و أنت لاتريد الا القتل والهلكة ".

وانتهى الامر بأن رفع الحصين الحصار و عاد فى طريقه الى بلاد الشام .

موت يزيد بن معاوية فى شهر ربيع الاول سنة ٦٤ هـ :

و توفى يزيد بن معاوية فى شهر ربيع الاول من سنة ٦٤ هـ بعد خلافة لم تدم الا أقل من أربع سنوات لم يعمل خلالها الاعلى التمتع بتركه و الده وقد عرف بحبه للشعر و الخمور والغناء والنساء والرياضة و هذا مالم يكن ينبغى أن يحدث فى الدولة الناشئة التى لم تكن قد استقرت الامور فيها بعد ولهذا السبب كان يزيد فى نظر المؤرخين من أصحاب الميول العباسية والعلوية أسوأ خلفاء بنى أميه كذلك يأخذون عليه انه لم يستمر فى سياسة معاوية القوية فيما يتعلق بمواصلة الحرب ضد بيزنطة بل انه وضع حدا لهذاالصراع عندما امر القوات العربية بالعودة من حصار القسطنطينية ولكنه رغم ذلك تنسب الى يزيد بن معاوية القيام بعدد من الاصلاحات من ذلك اصلاحات تتعلق بالادارة المالية واصلاحات خاصة بشئون الرى والزراعة منها الاهتمام بغوطة دمشق.

الفصل التاسع

معاوية الثاني (بن يزيد)

معاوية الثانى (بن يـــزيـــد)

و بعد وفاة يزيد بويع لابنه معاوية الثانى وذلك رغم صغر سنه اذ لم يكن له فى ذلك الوقت الا حوالى عشرين أو واحد و عشرين سنة مما يؤكد ان نظام الوراثة ثبت بشكل نهائى ولم يقدر لمعاوية الثانى هذا ان يمكث فى الخلافة طويلا اذ أنـــه توفى بعد حوالى ثلاثة أشهر فقط فى بعض الروايات اقل مـــن شهرين وذلك فى وباء كان قد حل بالشام فى ذلك الوقت وهـــو طاعون شديد راح ضحيته معاوية بن يزيـــد .

وكانت وفاة معاوية بن يزيد نذيرا بقيام صراع مريـــر بين العصبيات العربية فى بلاد الشام والحقيقة ان هذا الصراع العصبى كان قد بدأ فى الشام قبل وفاة يزيد ولم يتوقـــف هذا النزاع بين القبائل العربية طوال العصر الاموى وسيكـون من أسباب الضعف التى ستودى بالدولة فيما بعد . فمجموعـــة القبائل التى تنتسب الى عرب الشمال أى الى النزارية و خاصة من قبيلة قيس و بطونها المختلفة مثل قبائل غطفان و مضـــر و غيرها هى التى كانت قد استقرت فى بلاد الشام و فى الجزيرة و كذلك فى العراق كانت ساخطة على السياسة الاموية و ذلك منذ بدأ معاوية يحابى عرب الجماعة الاخرى من عرب الجنوب وهـــم الكلبية . و على ذلك انتهزت قبائل القيسية فرصة وفـــــاة

معاوية الثانى واعترفت بخلافة ابن الزبير وذلك فى شمـــال الشام وسار القيسية تحت قيادة زعيمهم زفر بن الحارث الكلابى وطردوا والى قنسرين الكلبى .

و بعد وفاة معاوية الثانى اعترف والى حمص وهـــو النعمان بن بشير بخلافة ابن الزبير هو الاخر اما الضحاك بن قيس الذى كانت له السلطة فى دمشق فقد وقف موقفا مائعـــا فيقال " أنه كان يصلى بالناس و يقيم لهم آمرهم حتى يجتمع الناس و هو يدعو الى ابن الزبير سرا " و أظهر مروان بـــن الحكم الذى كان رئيسا للبيت الاموى فى ذلك الوقت ميله الى التنازل عن حقوقه فى الخلافة لمصلحة ابن الزبير و الظاهر أنه أراد أن يخرج عن مجال التفكير فى هذا الامر الى حيز التنفيذ لو لا أن وصل عبيد الله ابن زياد من العراق فاقنعه بالعدول من موقفه وبين له أن - الموقف لم يكن ميئوسا منه تمامـــا و أنه يمكن تقويمه وعلى ذلك لم يبق مع الامويين الا الاردن - حيث كان حسان بن مالك خال يزيد يعرف موقف الضحاك بن قيـــس المتردد فكتب اليه بدمشق لكى يعلن أنه الى جانب الامويـــين كما كتب الى بنى امية يدعوهم الى الاتحاد والضغط على الضحاك ولكن الامر انتهى باضطراب العاصمة الاموية فقامت بها المناوشات بين الكلبية الذين أرادوا ترشيح خالد بن يزيد و بين القيسية خصومهم و أعلن الضحاك انفصاله تماما عن الامويين وانضمامـــه

الى جانب ابن الزبير ثم إنه عادو اعتذر لبنى أمية .

- عقد مؤتمر الجابية سنة ٦٤هـ .

- مسير الضحاك الى مرج راهط :

و أخيرا تم الاتفاق بين ألضحاك وبين حسان بن مالك والامويين على عقد مؤتمر الجابية (منطقة قريبة من دمشق) لاختيار رجل من بنى امية ولكن الضحاك غير رأيه وهو فى الطريق الى الاجتماع وسار الى موضع يعرف بمرج راهط (شمال دمشق) حيث نزل باصحابه القيسية وطالت المفاوضات بين الامويين فى الجابية فكان أخوال يزيد يتمسكون باختيار خالد بن يزيد الذى كان صبيا صغيرا بينما مال الحصين بن نمير و عبيد الله بن زياد الى مروان وبعد أخذ ورد انتصر حق :لاسن ورجحت كفة مروان واقتنع الكلبية بأحقيته فى الخلافة ولكن بعد أن تم الاتفاق على أن تكون ولاية العهد لخالد بن يزيد و كذلك أمرة حمص و اتفقا على أن يكون عمر بن سعيد بن العاص واليا ثانيا للعهد بعد خالد .

الفصل العاشر

مروان بن الحكم

بيعة مروان بن الحكم للخلافة فى ذى القعدة سنة ٦٤ هـ:

وبذلك تمت بيعة مروان فى شهر ذى القعدة من سنة ٦٤ هـ الموافق لشهر يونية سنة ٦٨٤ م وتقدم الخليفة مروان ومعه حسان بن مالك زعيم الكلبية وصاحب القوة المادية فى ذلك الوقت بصفته واليا للأردن وصار مروان نحو دمشق فى طريقه الى مرج راهط حيث عسكر الضحاك بن قيس ومعه رجاله من القيسية وما وصله من الامدادات من حمص وقنسرين وفلسطين • أما عن مروان فاجتمعت عليه قبائل كلب وغسان والسكون وكان على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد فبدأت المناوشات بين الطرفين وطالت الى حوالى عشرين يوما وصلت أثناءها أنباء عن استيلاء المروانية على دمشق واخراج عامل الضحاك عنها واعلان خلافة مروان الذى بدأت تتدفق عليه الأموال والرجال والسلاح •

وأخيرا تقدمت القيسية لملاقاة مروان فى أوائل سنة ٦٥ هـ فى شهر المحرم يوافق شهر أغسطس وانتهى القتال بانهزام القيسية أمام اليمنية هزيمة منكرة فقتل الضحاك ، وقتلت قيس مقتله لم يقتل مثلها فى موطن قط بمعنى أن المعركة كانت معركة دامية خطيرة • وترتب على تلك الهزيمة أن انفرط عقد القيسية فهرب النعمان بن بشير الى حمص ولكنه أخذ وقتل واستعبدت أمرأته الكلبية وهرب زفربن الحارث من قنسرين ولكنه

أخذ فى شرقها كذلك هرب ناتل بن قيس من فلسطين وسار الى مكة وكان ذلك يعنى نجاح مروان فى استخلاص كل بلاد الشام وفى دمشق أخذ البيعة لنفسه .

والذى يلاحظ على معركة مرج راهط هذه هو أنه رغم أنها ثبتت حكم مروان وبنيه أى حكم الأمويين بشكل نهائى فى الشام الا أنها أثارت حروبا دموية بين العصبيتين العربيتين الكبيرتين ولقد عملت تلك الحروب على زيادة الكراهية بين الجماعتين مما عمل على أضعاف العنصر العربى وأدى فى نهاية الأمر الى سقوط الدولة الأموية ولم يطل حكم مروان بن الحكم الا أقل من عام ولكنه رغم ذلك يعتبر مرحلة هامة فى تاريخ الدولة الأموية فمروان كان له من العمر ما يقرب من اثنين وستين عاما فى ذلك الوقت .

لكننا نلاحظ أن مروان كان أمويا من فرع غير فرع معاوية ولهذا السبب سيطلق على بنيه اسم المروانيين والظاهر أنه بسبب وجود مروان فى الحجاز لمدة طويلة لم يكن يتمتع كثيرا بعطف أهل الشام وعلى هذا الأساس يمكن أن نفسر كيفية ارغامه على العهد من بعده لخالد بن يزيد . ولكن مروان لم يف بذلك الوعد وكان وجود خالد الى جانبه يهدد مركزه ثم انه عمد الى الزواج من أم خالد حتى يوازن بين نفوذ الكلبية التى تنتسب

اليهم أم خالد وبين القيسية الذين هزموا فى مرج راهط وذلك بامكانه التدخل فى أمر ولى العهد . الى جانب ذلك عمد مروان الى التنازل للقيسية عن بعض الأشياء وذلك فى محاولة لارضائهم بعد أن انتقم منهم ذلك الانتقام الشديد وتوطد مركز مروان بفضل الحملة الناجحة التى قام بها الى مصر والتى انتهت باستيلائه عليها حيث كان عبد الرحمن بن جحدم يدعو لابن الزبير هذا فى الوقت الذى نجح ولاته فى دفع هجوم كان قد قام به مصعب بن الزبير فى فلسطين وعند ماتوطد مركز مروان بهذا الشكل تمكن من اقناع خالد بن يزيد بالتنازل عن ولاية العهد لولدى مروان وهما عبد الملك ثم عبد العزيز الذى سيعطى ولاية مصر. وهكذا قدر لخلافة دمشق الأموية أن تستمر فى حكم الدولة العربية وذلك رغم أنها غيرت سلسلة الخلفاء فآل الأمر الى المروانيين بعد السفيانيين ولكن المروانيين سيعيدون أمجاد معاوية وستعرف الدولة العربية على أيامهم فترات من الرخاء والازدهار.

وفاة مروان بن الحكم :

توفى مروان بن الحكم فى شهر رمضان سنة ٦٥ هـ يقابل شهر مايو سنة ٦٨٥ م، وذلك فى وباء للطاعون كان قد ظهر من جديد فى الشام . هذا ولو أن بعض الروايات تقول انه مات بتدبير ام خالد بن يزيد التى أرادت أن تنتقم لخلع ابنها من ولاية العهد

ولكن أغلب الظن أن هذه الرواية لا أساس لها من الصحة ثم انه ورث الخلافة الى ابنه عبد الملك بعد أن عزل ولي العهد السفياني .

الفصل الحادى عشر

خلافة عبد الملك بن مروان

خلافة عبد الملك بن مروان

(٦٥ - ٨٦ هـ)

وبوفاة مروان تبدأ خلافة عبد الملك بن مروان الذى يسمى أبو الملوك لأنه سيلى الخلافة بعده أربعة من بنيه واستمر عبد الملك فى الخلافة مدة عشرين سنة من (٦٥-٨٦ هـ/ ٦٨٥ - ٧٠٥م) ويمكن أن يقال أن عبد الملك انتزع خلافته بشىء من الصعوبة وأنه خلال فترة العشرين عاما التى تولى فيها الخلافة تمكن هو ومعاونيه من تحقيق وحده الدولة العربية الاسلامية الشاسعة .

الاحوال الداخلية فى الدولة عند تولى عبد الملك الخلافة :

ففى الوقت الذى ولى فيه عبد الملك كان زعيم قيسية الفرات زفر مستمرا فى ثورته كما أن بقية الولايات كانت تقف الى جانب ابن الزبير وتعرضت بلاد الشام نفسها وخاصة الأقاليم الشمالية منها خلال العامين الأولين من خلافته لغارات قام بها البيزنطيون الذين حرضوا سكان الأقاليم الجبلية الشمالية والذين يسميهم الكتاب العرب باسم الجراجمة على الثورة .

أما عن بلاد العرب أى مهد الاسلام فانها ظلت ثائرة هى الأخرى فرغم الهزائم التى لحقت بابن الزبير فانه ظل يسيطر على الحجاز بل وأكثر من هذا اتخذ لقب أمير المؤمنين ولم يكتف ابن الزبير بذلك بل فرض سلطانه على مكة حيث كان قد أعاد بناء

الكعبة التى التهمتها النيران كما سبق أن أشرنا بل انــــه نجح فى مد نفوذه وسلطانه على كل الجزيرة أى كل بلاد العرب بينما كان ابن الزبير يسيطر على بلاد العرب كان أخوه مصعب ينوب عنه فى البصرة ويحكم باسمه بلاد العراق . معنى هذا انه كان على عبد الملك أن يقوم بمجهودات عظيمة لتهدئة تلــــك الأقاليم واعادتها الى حظيرة دمشق وعلى ذلك بعد أن أكــــد عبد الملك الهدوء فى شمال بلاد الشام أخذ يوجه نشاطه ضــــد مصعب اخى عبد الله بن الزبير وكان مصعب فى ذلك الوقت يلقى كثيرا من الصعوبات فالعلويون ظلوا هادئين عقب مقتل الحسين لعدم وجود زعماء أكفاء يدبرون أمرهم .

حركة التوابين :

قامت عقب مقتل الحسين حركة بين الشيعة نادت بأن الشيعة أخطأوا خطأ كبيرا عندما دعوا الحسين ثم تركوا نصرته ورأوا انه لايغسل عارهم هذا الا قتل قتلته وعلى ذلك اجتمع عددا من زعماء الشيعة فى الكوفة ودعوا الى جهاد الخاشعين الى التوبة من الذنب العظيم ولهذا السبب عرفهم الكتاب باسم التوابيـــن أى الذين تابوا من ذنبهم فى مقتل الحسين ووجد الشيعة زعيمهم المنشود فى شخص المختار ابن ابى عبيد الثقفى وقد نشأ هـــذا الرجل وتربى فى كنف عمه الذى كان والى لعلى على المدائـــن ووصل المختار الى الكوفة بعد موت يزيد بستة أشهر ويصـــف

المستشرق الهولندى دوزى المختارفيقول انه يجمع بين المتناقضات فهو جرىء مرن فى نفس الوقت وهو عنيف خبيث ، شهم شرير، ويقول بعد ذلك وهو عند الغضب نمر مفترس وعند التروى ثعلب مخادع .

والحقيقة ان المختار مر بمعظم الأحزاب الاسلامية التى ظهرت فى ذلك العصر من خوارج وسنة وزبير بين وشيعة وكان قد اشترك فى ثورة مسلم بن عقيل وقبض عليه وضرب وسجن حتى قتل الحسين . وتقول بعض الروايات ان عبد الله بن عمر ابن الخطاب هو الذى شفع لدى يزيد فى أمر المختار فأطلقه من سجن ابن زياد وبعد خروجه من السجن لجأ الى ابن الزبير بمكة وبايعه على أن لايقضى الأمور دونه بمعنى آن أصبح مستشارا لابن الزبير وقام المختار عند الزبير وشهد معه قتال الحصين بن نمير وبعد ثلاث سنوات ظهر المختار فى العراق كما يقال كسفير لابن على الأصغر وهو محمد الذى يعرفه الكتاب باسم امه فهو ابن الحنفية وقالوا انه لم يمت بل هو موجود فى جبل رضوى . واتخذ المختار طريقا جديدا فى دعوته وذلك انه أخذ يدعو لمذهبه فى شعر غامض المعنى الى قرب ظهور المهدى الذى يمحو الظلم من الأرض ويملأها عدلا الى آخر الزمان . ونجح المختار فى اجتذاب كثير من الأنصار وخاصة من طبقة الموالى الفرس الذين دخلوا فى الاسلام ولم يعاملهم الامويون معاملة الموالى أو الأخوة كما تقضى بذلك الاسس الاولى للاسلام التى لا تفرق بين عربى وعجمى

الا بالتقوى وعهد المختار بقيادة اتباعه الى ابراهيم بنمالك الاشتر وهو ابن قائد على المشهور فى صفين وتمكن بفضل حركة جريئة من انتزاع مدينة الكوفة من ابن الزبير ومنها اخـذ ينتشر نفوذه فى كل العراق والولايات الشرقية للدولة وهـى الولايات التى كان يضيق أهها ذرعا بالحكم الاموى .ولكن المختار لم يستطع أن يكتسب قلوب أهل الكوفة الذين انتهزوا غياب الأمير الذى كان قد عبأ كل قواته ضد عبد الملك وهاجمـوا المختار وناوم موقف المختار لولا عودة قواته التى تمكنت من انقاذه وعند شد أنزل بأعدائه عقوبات دامية بحجة اشتراكهم فىمقتل الحسين .وبعد ذلك تمكن ابن الاشتر من الايقاع بجيش عبيد الله بن زياد وهو المسئول الأول عن مقتل الحسين وذلك على نهر الزاب وهو أحد روافد دجلة بالقرب من مدينة الموصل ولقى ابن زياد مصرعه فى ذلك اليوم . واحتفل المختار بذلك النصر احتفالا غريبا اذ أنه أقام عرشا خاليا اعتبره عرش على وكان يطالب جنده بحمايته . ولكنه أعقب ذلك الانتصار الكبير انهيار المختار وذلك ان مصعب ابن الزبير الذى كان يحـارب الخوارج حتى ذلك الوقت فى البصرة سار اليه وحاصره فى قلعة الكوفة بعد معركتيندا ميتين وأخيرا سقط المختار قتيلا أثناء هجوم يائس قام به وذلك فى شهر شوال من سنة ٦٦ هـ الموافـق ابريل سنة ٦٨٧ م . بعد أن دافع عن القلعة طوال أربعة أشهر وانتهى المختار ولكن مذهبه عاش بين الشيعة رغم الاجـراءات

العنيفة التى اتخذها معصب بن الزبير ضد اتباعه ونجح معصب بن الزبير فى القضاء على عدد من الحركات الاموية التى لم تهدده كثيرا ولكنه فى سنة ٧١ هـ ظهر عبد الملك بنفسه على رأس جيشه في العراق وفى ذلك الوقت كانت قوات معصب بن الزبير تقاتل الخوارج تحت قيادة المهلب بن ابى صفرة وتقدم معصب بنفسه للقاء الخليفة بالقرب من مسكن او باخمرا (باخمرا هذه على الضفة الغربية لدجلة شمال بغداد) ولكن قواد معصب لم يظهروا ثقة بالنفس وانضموا الى جانب عبد الملك الذى نجح فى أغراشهم بالوعود الجذابة وعرض عبد الملك ولاية العراق على معصب شريطة أن ينضم الى جانبه وبطبيعة الحال رفض معصب أن يخون أخاه وعندما قيل له أقبل أمان أمير المؤمنين قال أمير المؤمنين بمكه بمعنى أنه لايعترف الا بأخيه وانتهى الأمر بأن هجر معصب معظم أصحابه ودارت معركة حامية وبعد قتال مرير مجيد سقط معصب فى ميدان القتال وذلك فى شهر جمادى الأخره .

القضاء على ابن الزبير :

وبذلك لم يبق أمام عبد الملك سوى عبد الله بن الزبير الذى كان مقيما بمكة لائذا أى معتصما بالحرم . فأرسل اليه عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفى والحجاج ثقفى من مدينة الطائف مثله فى ذلك مثل ابن زياد وكان الحجاج بن يوسف قد اكتسب ثقة عبد الملك خاصة أثناء الحملة التى قام بها عبد الملك ضد مصعب وسار الحجاج على رأس ثلاثة آلاف رجل من أهل الشام فى شهر جمادى الأول سنة ٧٢ هـ ولم يتجه نحو المدينة بل انه صار الى الطائف واتخذها قاعدة لعملياته ومن الطائف تقدم نحو مكة فوصلها فى شهر ذى القعدة ولم يحترم الحجاج ما كان للمدينة المقدسة من تبجيل وتكريم فأخذ يرميها بالمنجنيقات من أعلى جبل" ابى قبيس " وظل عبد الله بن الزبير يقاوم طوال سبعة أشهر وهو معسكر حول الكعبة وأخيرا انتهى الأمر بمقتله فى جمادى الثانية سنة ٧٣ هـ أكتوبر سنة ٦٩٢ م أثناء هجمة قوية كان قد قام بها ولكن بعد أن هجره معظم أصحابه حتى أبنائه وبموت عبد الله بن الزبير عادت الوحدة من جديد الى الدولة العربية وكافأ عبد الملك قائده المنتصر الحجاج بأن ولاه الحجاز واليمن واليمامه . وبعد أن ظل الحجاج فى منصبه هذا مدة سنتين نجح خلالهما فى أن يقر النظام اذ بعثه الخليفة

ليخلف أخاه بشر بن مروان الذى كان قد توفى تاركا ولاية البصرة أى ولاية العراق وكان معه أثناء ولايته هذه موسى بن نصير كمستشار له استدعى عبد الملك الحجاج وعهد اليه بولاية العراق وافتتح الحجاج ولايته فى العراق فى مدينة الكوفة بخطبة سياسية مشهورة فى الأدب العربى مثلها مثل خطبة زياد بن أبيه . وبعد أن تخلص عبد الملك من منافسة بدأ بسرعة الحرب ضد بيزنطة وكانت هذه الحرب قد توقفت منذ حوالى خمسة عشر عاما وذلك عندما اضطر عبد الملك نفسه الى شراء السلم بدفع الأموال للباسيلوس .

الصراع ضد بيزنطة فى المغرب :

وكان الصراع ضد بيزنطة فى الميدانين الأفريقى والآسيوى جميعا ففى المغرب وبعد مقتل عقبة بن نافع بالقرب من مدينة بسكره تمكن الثائر كسيله البربرى من الاستيلاء على القيروان وبعد ذلك أصاب الضعف النشاط العسكرى للدولة العربية بسبب الصعوبات التى واجهها يزيد بن معاوية ثم معاوية الثانى وبعد ذلك مروان وخاصة خلال الفترة التى طالب فيها عبد الله بن الزبير بالخلافة ولكنه بعد موت ابن الزبير بعث الخليفة عبد الملك بقائد من كبار قواده هو حسان بن النعمان على رأس أربعين ألف رجل وهذا يعنى أن جيش حسان كان أكبر جيش اسلامى دخل البلاد، ولم يلتق العرب البربر ولكنهم بدأوا البيزنطيين ايضا كانوا قد انتهزوا فرصة توقف العمليات العسكرية لكى ينشروا نفوذهم من جديد على جزء مهم من أفريقية وعلى ذلك اتجه حسان نحو قرطاجنة العاصمة القديمة للبلاد ودخلها عنوه بعد صراع عنيف وكان لسقوط قرطاجنة صداه القوى فى القسطنطينية التى أرسلت اسطولا ظهر أمام قرطاجنة من جديد والظاهر أن هذا الأسطول تمكن من احتلال المدينة بسهولة بقيادة البطريق يوحنا ولم يستطع العرب مواجهة البيزنطيين فى ذلك الوقت لأنهم كانوا قد شغلوا بقيام تحالف بين عدد من قبائل البربر تحت قيادة امرأة تعرف باسم الكاهنة والظاهر انها أطلق عليها هذا اللقب

لأنها كانت ماهرة فى السحر والتنبوء وتمكنت هذه المرأة بفضل قبيلتها جراوه من هزيمة العرب هزيمة منكرة حتى اضطر حسان الى الانسحاب الى ما وراء طرابلس .ثم انها قامت بعد ذلك بعمل غريب وهو تخريب البلاد تخريبا منظما من احراق الزروع وهدم الحصون حتى لايفكر العرب فى العودة من جديد ولكن العرب عادوا مرة أخرى بعد أن وصلت الى حسان الامدادات من الخليفة وبعد أنقام الانقسام فى صفوف رجال الكاهنة لعدم رضاهم عن سياسة التخريب التى اتبعتها ونجح حسان فى استعادة قرطاجنة من جديد كما تخلص من الكاهنة التى قتلت أثناء المعركة متنبئة بنهاية مقاومة البربر وبانتصار الاسلام .

الحملات السنوية فى آسـيا الصغرى :

أما عن الحملات السنوية فى آسيا الصغرى فعلى عكس ما حققته الخلافة من الانتصارات الهامة فى الميادين البعيدة نجد أنها اصطدمت بعقبات شديدة ليس فى آسيا الصغرى نفسها بل وفى شمال بلاد الشام كما سبق أن أشرنا . فلقد عاد عبد الملك الى تسيير الحملات الموسمية (الصوائف) عبر آسيا الصغرى ولكن هذه الصوائف لم تحقق نتائج جديه . ولم يقف الأمر عند عدم تقدم المسلمين فى أرض الروم بل ان البيزنطيين هددوا من جانبهم بلاد الشام وشجعوا سكان الجبال فى تلك الاقاليم وهم الذين يعرفون بالجراجمة عند الكتاب العرب بالغارات على البلاد . هذا رغم أن سكان الجبال هؤلاء لم يكونوا يعترفون بسلطان امبراطور القسطنطينية ولكن هذا الأخير كان يمدهم بالرجال و الأموال كما كان يطلب معونتهم فى بعض الأحيان ولقد اشتد عنف هؤلاء الناس وبدأوا يسببون للدولة الأموية المتاعب خاصة عندما عرفوا ذلك الصراع القائم بين عبد الملك وابن الزبير فقد قاموا بغارات على أقاليم الشام الشمالية وكانت تساعدهم بعض جماعات الخيالة البيزنطية ولقد تحصنوا فى بعض الأحيان فى جبال لبنان وانضمت اليهم بعض عصابات المغامرين من أهل البلاد ولقد كانت الغالبية الكبرى من الثوار من العبيد من أسرى الحروب وكان بالشام عدد عظيم منهم

يقومون بفلاحة الأرض أو يحترفون مختلف المهن لحساب العرب وكان منهم من دخل فى الاسلام ومنهم من ظلوا على مسيحتهم وكانت ثورتهم هذه تهدد الدولة العربية تهديدا خطيرا وعلى ذلك كان لابد من شراء حياد صاحب القسطنطينية عن طريق وعده بدفع بعض الأموال السنوية وبفضل هذا العمل الذى قد لايكون مجيدا بالنسبة للعرب نجحت الخلافة فى القضاء على أهل جبال الحدود هؤلاء بعد أن حرموا من معونة القسطنطينية هذا عن الموقف فى المغرب والسهول الشمالية .

الجبهة الشرقية :

أما عن الجبهة الشرقية فكنا قد رأينا أن المسلمين وصلوا على أيام معاوية الى بلاذ ما وراء النهر وانهم وصلوا الى بخارى وسمرقند ولكن المدينتين لم تقعا بين أيدى العرب وعلى أيام يزيد بن معاوية ولى خراسان سلم بن زياد ووصل سلم هذا الى سمرقند ويقول الكتاب انه كانت معه امرأته وكانت أول امرأة تعبر النهر . كما أنه أرسل المهلب بن ابى صفره الى خوارزم واستولى عليها ويذكر للمهلب بن ابى صفره هذا جهاده ضد الخوارج وذلك بفضل الحجاج الذى أمره بالسيرلحربهم وأرغم الناس على السير معه وهددهم بالقتل .

ثورة ابن الاشعث :

وفى سنة ٧٨ هـ. ضم عبد الملك خراسان وسجستان للحجاج فأعطى الحجاج خراسان وسجستان للمهلب الذى بقى هناك حتى وفاته سنة ٨٢ هـ . كما أنه أعطى سجستان لعبد الرحمن بن الاشعث ومعه جند الكوفة والبصرة وسيستمر الحجاج فى سياسة العنف والرغبة فى الغزو فأخذ يلح على عبد الرحمن بن الاشعث فى غزو بلاد الترك وعندما كتب اليه عبد الرحمن بن الاشعث يرجوه السماح له باتباع سياسة التريث والحذر رد عليه الحجاج ردا عنيفا فكتب اليه " ان كتابك كتاب امرىء يحب الهدنة ويستريح الى الموادعه . وختمه بقوله فأمض لما امرتك به من الوغول فى ارضهم والهدم لحصونهم". وتوالت كتب الحجاج على ابن الاشعث تؤنبه وتحثه على العزو حتى وجد ابن الاشعث الا مخرج له من هذا المأزق الا بالتمرد والثورة والقاء التبعة على الحجاج .

أسباب ثورة عبد الرحمن بن الأشعث :

ويختلف الكتاب فى أسباب ثورة عبد الرحمن بن الأشعث هذه فيقول البعض ان سببها هو طموح الموالى فى العراق الذين كانوا يطلبون المساواة ولكنه ربما كان الأقرب الى الصحة هو

أن تلك الثورة كانت نتيجة لسياسة الحجاج التى لاتعرف [illegible] ومن أهم أسباب تلك الثورة الاجحاف [illegible] [illegible] الحجاج ضد الموالى وعنفه فى تطبيق سياسة [illegible] لاتحقق المساواة بين المسلمين ، من ذلك أن الحجاج بن يوسف لم يعف الموالى أى الداخلين الجدد فى الاسلام من دفع ضريبة الجزية هذا كما أنه فرقهم على القرى ومنع اقامتهم فى المدن الكبرى وفى سبيل ذلك اتخذ اجراءا غريبا وهو ان يوشم على راحة يد كل واحد منهم اسم القرية التى يقيم فيها حتى لايبرحها . ربما كانت هذه السياسة العنيفة هى التى دعت أهل العراق الى الانضمام الى ثورة ابن الاشعث . فالنص يقول كان " أكثر من قاتله وخلعه وخرج عليه الفقهاء والمقاتلة والموالى من أهل البصرة فلما علم أنهم الجمهور الأكبر والسواد الاعظم أحب أن يسقط ديوانهم ويفرق جماعتهم حتى لايتألفوا ويتباعدوا فاقبل على الموالى وقال انتم علوج وعجم وقراكم أولى بكم ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب وسيرهم كيف شاء ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التى وجهه اليها "

وقرر عبد الرحمن بن الاشعث المسير نحو العراق لخلع الحجاج ، ولخلع الحجاج كان لابد من خلع عبد الملك وهذا

مافعله الثوار فعلا . و سار الثوار نحو العراق وتمكنوا من دخول البصرة فى أواخر سنة ٨١هـ و نزل الحجاج فى احدى ضواحى البصرة خندق بها وصمم على أن يهلك اذا لزم الامر دون أن يتراجع واستمر القتال مدة شهر بين أهل العراق الذين انضموا الى الثوار وبين الحجاج ومعه أهل الشام وانتهت الحرب بانهزام أهل العراق و انسحب بن الاشعث الى الكوفة و هناك عسكر أهل العراق فى موضع يعرف باسم " دير الجماجم " وذلك فى شهر ربيع الاول من سنة ٨٢ هـ و تقول الروايات أن عدد أهل العراق بلغ مائة ألف رجل معهم مثلهم من مواليهم . واستمر القتال عدة شهور حاول عبد الملك أثناءها رضاء أهل العراق وابن الاشعث فعرض عليهم خلع الحجاج و لكنهم لم يرضوا و على ذلك استمر القتال وانتهى الامر بهزيمة ابن الاشعث فى جمادى الثانية من سنة ٨٢ هـ و نادى الحجاج بن يوسف بالامان و رجع الى معسكره بعد أن منع جند الشام من مطاردة المنهزمين و انسحب ابن الاشعث نحو المشرق فسار الى سجستان وهناك قبض عليه ولكن أميركابل الذى يعرف عند الكتاب العرب بالرتبيل اضطر آخر الامر ازاء تهديد الحجاج الى قتله .

نتائج ثورة ابن الاشعث :

و كان من نتائج ثورة ابن الاشعث هذه بناء الحجاج لمدينة واسط و ذلك فى سنة ٨٣ هـ حتى تكون حصنا له اذا ما تعرض من جديد لمثل هذا الخطر . و بقى الى جانب الحجاج فى المشرق المهالبة الى سنة ٨٢ هـ حينما توفى المهلب ولكنه رغم التنافس بين الحجاج و بين المهالبة الا انه لم يتمكن من التخلص منهم الا سنة ٨٥ هـ حينما عزل يزيد بن المهلب عن خراسان . و بعد المهالبة آل المشرق الى قتيبة بن مسلم الذى يرجع اليه الفضل فى توطيد الفتوحات الاسلامية فى بلاد ماوراء النهر .

بعد القضاء على ثورة عبد الرحمن ابن الاشعث عهدالحجاج بأمر المشرق الى يزيد بن المهلب و طلب من يزيد ان يستمر فى الفتح والغزو ورأى يزيد أن الامر فوق طاقته فاعتذر بأنه من الاصلح ان يتأنى فى الفتح حتى يختبر البلاد . ورد الحجاج على ذلك بأن عزل يزيد بن المهلب و عهد بالولاية الى أخيه الفضل بن المهلب و طلب منه أن يستمر فى سياسة الفتح والغزو و قام الفضل فعلا خلال فترة ولايته القصيرة بجهود كبيرة ضد اقاليم نهر جيحون ووجه الفضل نشاطه على وجه الخصوص ضد بقايا الثوار من أصحاب عبد الرحمن بن الاشعث وابن هذا الاخير وهو موسى على وجه الخصوص كان قد لجأ الى طرخون سمر قند .

الاعمال المعمارية التى قام بها عبد الملك :

أشهر هذه الاعمال المعمارية التى بقيت لنا تتمثل فى قبة الصخرة والمسجد الاقصى ببيت المقدس و هذان الاثـــــران يعتبران اقدم أمثلة للفن الاسلامى و ذلك أن الاعمال المعمارية التى تمت فى الحرمين مسجد مكة ومسجد المدينة و خاصة ماقام به عثمان بن عفان غير معروفة لنا تماما ولايمكن الاعتمـــاد عليها من الناحية التاريخية ولهذا السبب ينسب الى أبـــام الامويين أقدم امثلة الانتاج الفنى الاسلامى و بناء هذيـــن المسجدين يرجع الى الفترة التى اشتد فيها الصراع بين عبــد الملك وبين عبد الله بن الزبير وذلك حينما اقتطع ابن الزبير الحجاز فيظن أن عبد الملك أراد أن يعوض الناس كانوا يرغبون فى الحج والزيارة كما كان يخشى عودة الحجاج من الحجـــاز بأفكار قد لاتكون فى صالحه أوقد تضعف موقفه فى بلاد الشام و على ذلك عمل عبد الملك على العناية ببلاد الشام وأراد أن يجعل من بيت المقدس ما يمكن أن يشبه بمدينة منافسة لمكة .

================

الاحوال الحضارية على أيام عبد الملك بن مروان :

اول مايتنسب الى الخليفة عبد الملك بن مروان فى هذا الميدان هو تعريب الدواوين وتعريب الدواوين هذا لايعنـــى تعريب الدواوين فقط بل يعنى تعريب البلاد نفسهاوهذا تأتـــى عن طريق تعريب الدواوين فالذى عرفناه هو أنه بعد أن دخلت الامصار المفتوحة فى نطاق الدولة العربية و عندما بدأتنظيم الدولة لم تتغير النظم الادارية تماما بل ان عمر بن الخطاب حافظ عليها مع العمل على أن تخضع تنظيماتها لتعالم الاسلام و الحقيقة أن الدواوين ظلت بين أيدى أصحابها من أهل البلاد و من أهل الذمة ففى الشام فى مصر و كذلك فى فارس ظـــل الموظفون القدماء يشغلون نفس الوظائف التى شغلوها من قبل و من أشهر من ذكرناهم من أهل الذمة هؤلاء سرجون بن منصـــور الذى شغل منصب مستشار معاوية بن أبى سفيان و بطبيعة الحال كان هذا الامر غريبا فرأى عبد الملك أن يقوم باصلاح و يضـع الامور فى نصابها ولم عبد الملك فى الاستغناء عن خدمات هؤلاء الموظفين من أهل الذمة بل تركهم فى مناصبهم ولكنه طلب أن يسجلوا دواوينهم باللغة العربية بعد أن كانوا يسجلونها باللغات الوطنية من الفارسية واليونانية والقبطية وبطبيعة الحال لم يكن مثل هذا الاصلاح ليتم دفعة واحدة بل انه تحقق مع مرور الوقت . والظاهر انه لم يصبح عاما الاعلى أواخـــر أيام الامويـيـــن .

كذلك قام عبد الملك باصلاح مالى أو نقدى، و ذلك انه ضرب النقود أيضا وهناك رواية لانعرف مدى صحتها تقول أن النقود البيزنطية من الذهب كانت متداولة فقط حتى ذلك الوقت فى الدولة العربية و تقول هذه الروايات أن النقود التى كانت تضرب فى البلاد كانت تحمل نقوشا يونانية و يقال انه فى نظير ذلك كان البيزنطيون يأخذون ورق البردى" القراطيس " اللازمة لهم من مصر حيث كان يصنع فى المصانع الوطنية لحسابهم وكان هذا الورق يحمل هو الاخر كتابة او نقوشا مسيحية وكذلك شارة الصليب . ولكن الخليفة عبد الملك امر فاستبدلت هذه النقوش المسيحية بنقوش اسلامية و قرر امبراطور بيزنطة أن يرد على ذلك بأن ينقش عبارة جارحة على الدينار الذهبى البيزنطى الذى كان يتداوله العرب ولهذا السبب قرر عبد الملك ان تضرب نقودا عربية فى دمشق تحمل نصوصا عربية . واتبع ذلك الحجاج بن يوسف الذى ضرب هو الاخر النقود العربية فى الكوفة .

و فيما يتعلق بتنظيم شئون القصر ادخل عبد الملك بعض التنظيمات الجديدة وذلك انه بينما كان لسلافه يظهرون و كأنهم زعماء للقبائل العربية مثل معاوية بن ابى سفيان عمل عبد الملك على أن يظهر بمظهر الملك صاحب السلطان المطلق . ولكن عبد الملك لم يستأثر بالسلطة المطلقة فقد عرف الرجل بفقهه

و كان عالما بأمور الدين ولهذا السبب أعطى للفقهاء ورجال الدين سلطات كبيرة كما انه كان يمارس واجباته الدينية بضمير حي ولم يمنعه ذلك بطبيعة الحال من العناية بالشعر و غيره حتى انه اجتذب الى قصره الشاعر الاخطل المسيحي وهو من قبيلة تغلب و كان قد خدم يزيد بن معاوية من قبل ولهذا السبب يعتبر الاخطل شاعر الاسرة الاموية .

و أكد عبد الملك سلطانه في الولايات وذلك باقامة الولاة من أسرته في كل الاقاليم عدا العراق فمصر والمغرب كانتا لاخيه عبد العزيز بن مروان الذي كان قد أكد لعبد الملك من قبل ولاية العهد و لقد حاول عبد الملك بعد أن يجعل عبد العزيز يتنازل عن ولاية العهد لابنه الوليد ولكنه لم ينجح في ذلك الى أن ساعدته الظروف فتوفي عبد العزيز قبله و بذلك نجح في أن يورث الخلافة لابنه الوليد الذي اعتلى عرش الخلافة دون معارضة في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م .

الفصل الثاني عشر

خلافة الوليد بن عبد الملك

خلافـــة الوليد بن عبد الملك

٨٦ – ٩٦ هـ

الخلافة ابنه الوليـ و أهم احداث عصره فتح الاندلـــس .
والفتوحات فيما وراء النهر.

فتـح الاندلـــس

=========

الأندلس كانت تعتبر حتى ذلك الوقت الجزء الغربى مـــن بلاد المغرب . ولقد اشرنا الى القرابة القريبة بين طبيعـــة بلاد المغرب و طبيعة بلاد الاندلس ،هذا التشابه يجعل المضيـق الصغير الذى يعرفه الكتاب العرب باسم الزقاق . و هــــذا المضيق لايعتبر فى الحقيقة فاصل بين العرب و بين الاندلس .

و الحقيقة أن أسبانيا فى ذلك الوقت كانت تعانى ضعفـا شديدا نتيجة لضعف الملكية القوطية و سنلاحظ أن فتح العـــرب للاندلس لن يستغرق اكثر من بضع سنوات ،و هذا الامر يحيـــــر المؤرخين كما يحيرهم موضوعات الفتوحات العـربية بشكل عـام ولكن الحقيقة هو أن الاندلس كانت تشكو الكثير من العلل منها ضعف ملوك القوط ،والصراع بين الفرسان والامراء والاضطرابـات الدينية والانشقاق فى داخل الكنيسة ،ثم تدخل رجال الكنيســة فى شئون الحكم و كل هذا جعل اسبانيا القوطية فى حالة مـــن الضعف يجعلها فريسة سهلة لاى غزو يأتى من الخارج .

و على أيام لذريق هذا نزل العرب الى الإندلس • وعن الاسباب المباشرة لنزول العرب فى اسبانيا نجد روايات يغلب عليها الطابع الاسطورى من ذلك قصة البيت المقفول الذى كان فى قصر الامراء فى قرطبة و الذى لم يكن يفتح فتجرأ لذريق وفتحه فوجد فيه صورة العرب •

و بعد ذلك قصة ابنه الامير يليان صاحب سبته• والحقيقة أن شخصية الامير يليان هذه يكتنفها الغموض • فالنصوص العربية تشير الى أن هذا الرجل كان على ولاية سبته منذ حوالى سنة ٦٠ هـ على أيام عقبة بن نافع •

و تقول بعض الروايات العربية أن هذا الرجل كان عجميا او من تجار العجم ،و آنه كان يختلف من الاندلس الى بلاد البربر و يجلب الى لذريق عتاق الخيل والبزاة هذه الرواية غير صحيحة ،وانما المعروف انه كان والى مدينة سبته • ولكن اختلفت الاراء فى هل كان الرجل قوطيا ام كان روميا يعنى بيزنطيا • وحاول بعض الكتاب الاسبان المحدثين ان ينفوا آن يكون الرجل قوطيا او روميا فقيل أنه بربرى الاصل و آن حقيقة اسمه هى اربان او البان • ويقول اصحاب هذا الرأى آنه من قبائل غمارة وهم يريدون بذلك أن ينفوا عن أحد الوطنيين أو عن أحد المسيحيين فكرة الخيانة او فكرة التآمر ضد الملكية

القوطية . ولكن هذا الرأى مردود ،فالرجل لم يكن بربريا ولكن الاقرب الى الحقيقة انه كان روميا و أن قلعة سبته كانت آخر معاقل بيزنطة فى أرض المغرب . والحقيقة أن أبناء هـــذا الرجل و نسله كان لهم شأن فى الاندلس و كان منهم كثير مـــن القضاة والفقهاء فى القيروان و خاصة فى القرن العاشر أيـــام ازدهار العاصمة الاندلسيـــة .

و كان موقف يليان البيزنطى يحتم عليه بطبيعة الحـــال انيكون على علاقة طيبة بملك الاندلس القوطى ،كما كان ينبغـــى عليه أن يكون ايضا على علاقة حسن الجوار بالبربر فى الداخل حتى يضمن لمدينته الميرة والمئونة . وهذا مايفسر تلـــــك الرواية الغريبة التى تقول انه كان تاجرا يختلف من الاندلس الى بلاد المغرب و القصة تقول أنه كانت له ابنه فى بلاط الملك لذريق و هذا امر محتمل فكانت العادة فى تلك العصـــور أن يستضيف الملك أبناء الامراء ليتربوا فى بلاطه و يتشبعوا بحب الملكية و حسن الخضوع للدولة . وتقول الرواية العربيـــة أن الامير يليان أرسل ابنته الى بلاط قرطبة لتتأدب أدبا ملوكيـــا ولكن الملك القوطى اعجب بالفتاة ،ولم يحترم آداب الضيافـــة فبلغ به الامر الى أن اغتصبها . و أن الفتاة كتبت الى والدها بذلك فذهب الى طليطلة واستعاد ابنته واقسم بالانتقام لهـــذا العدوان .

قلنا أن هذه القصة رغم طابعها الإسطورى الا آنها تحوى فى ثناياها شيئا من الحقيقة و ستصبح إبنه يليان هذه موضوعا من موضوعات الادب الاسبانى ،فستعرف فى هذا الادب باسم فلورندا و هناك تفصيلات من كيفية رؤية الملك لها و هى تسبح فى نهر قرطبة و كيف آخذها الملك و فى النهاية ستلقى هذه الروايات الادبية مسئولية دخول العرب الى أسبانيا و ضياع استقلال البلاد على رأس الفتاة التعسة و سيطلق عليها بعض الاسماء الثابية .

و تقول الراوية انه بعد عودة يليان من طليطلة سارع بالذهاب الى أفريقية حيث قابل موسى بن نصير و دعاه الى فتح أسبانيا و جين لهسهولة هذا الامر كما وضح له النتائج العظيمة التى سيحصل عليها العرب من هذا الفتح ،ورافق موسى يليان على ذلك شريطة أن يقوم أمير سبته بعملية إستكشاف او استطلاع على الساحل الاندلسى . و فعلا نزل يليان فى قوة صغيرة علي ساحل الجزيرة الخضراء مقابل سبته . و نجح يليان فى الاستيلاء على بعض الغنائم والاسرى التى عاد بها الى سبته ،. و أخبر موسى بن نصير بهذا الامر ،و كان ذلك من الاسباب التى شجعت موسى على محاولة الفتح .

و يظن أن غارة يليان هذه حدثت فى أواخر سنة ٩٠ هـ .

ولم يستطع موسى أن يقدم على الفتح الجديد بسبب وجود البحر (مضيق أو بحر الزقاق) فأرسل يستشير الخليفة الوليد في الامر • ولم يوافق الخليفة بسهولة بل انه طلب الى موسى أن يبدأ بعملية استكشافية فقال له : خضها بالسرايا حتى تختبر ولاتغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال ،و عندما قال له موسى انه ليس ببحر متسع وانما هو خليج يبين ماوراءه كتب اليه " اختبرها بالسرايا وان كان الامر على ماحكيت " •

و على ذلك بدات الحملات العربية الاولى في الاندلس في شكل قوات صغيرة كانت تهدف الى الاستطلاع والاستكشاف •

و أولها تلك الحملة التي قام بها طريف بن ملوك في رمضان سنة ٩١ هـ صيف يوليه سنة ٧١٠م ،مع حوالي أربعمائة رجل منهم مائة فارس ،و نزل هؤلاء الى الساحل الاسباني في أربعة مراكب كانت للامير يليان • ونزلت القوة في جزيرة صغيرة مقابلة لطنجة أعطى لها اسم القائد فسميت بجزيرة طريف و قامت السرية العربية بغارات في ساحل الجبل الذي سيعرف بجبل طارق عما قليل • واستولت على مغانم و سبي جميل• وكان لموسى بن نصير وهو في القيروان نصيب من المغانم من هذا السبي " الذي لم ير موسى مثله ولا أصحابه " •

و هكذا كان ذلك النجاح بداية لعملية الفتح الحقيقية

و كان على طارق بن زياد نائب موسى بن نصير على طنجه القيام بأولى العمليات الكبيرة . وطارق بن زياد هذا بربري من غير شك ،هذا رغم مايقوله بعض الكتاب من أنه فارسي الاصل و أنـه من همذان . و تم الاتفاق على أن يصحب الامير يليان طارق بـن زياد لمعرفته بالمنطقة . وتقول رواية الرقيق - التى يرجع سندها الى الواقدى : فجعل يليان يحمل البربر فى مراكـب التجار التى تختلف الى الاندلس ولايشعر بهم أهل الاندلـس ولايظنون الا أنها تختلف بمثل ماكانت تختلف به من معايشهـم و متاجرهم ،ينقلهم فوجا فوجا الى الاندلس . وقد تقدم يليـان الى أصحاب المراكب الايعلموا بهم ،وقال لقومه .: انى توثقـت لكم ،فاعلموا انها دولة العرب ،وهم يملكون الاندلس ودعاهـم الى أن يأخذوا نصيبهم منها ،فأعجبهم ذلك ورغبوا فيه ،وكتب لهم طارق بالامان ومن بقى معه ،فجاز الى أصحابه ،فنزل بهـم جبلا من جبال الاندلس حريزا منيعا فسمى ذلك الجبل من يومئـذ جبل طارق ،فلا يعلم الا بـه .

وهناك رواية فى كتاب " أخبار مجموعة " تقول أن مراكب الامير يليان وهى المراكب الاربعة هى التى قامت بنقل رجـال طارق الى الساحل الاسبانى ،ولما كان هذا العدد من السفـن غير كاف لحمل الامدادات فشرع فى بناء سفن جديدة . وتم اختيـار وقت مناسب لنزول طارق و ذلك أن الملك لذريق كان مشغولا فـى

منطقة بنبلونة بحرب بعض الثوار فى أقصى الشمال فى اقليم البشكنس . و عبر طارق بن زياد واعتصم فى سفح الجبل المواجه لمدينة سبته وهو الذى سيعرف باسمه (أى جبل طارق) وذلك حتى تم نزول كل رجاله و ذلك فى شهر رجب أو فى شهر شعبان سنة ٩٢ هـ ابريل او مايو سنة ٧١١م. و تقول النصوص ان رجال طارق بن زياد لم يزيدوا عن سبعة آلاف رجل . و هذا امر غريب ان يحاول جيش صغير فتح بلد كبير مثل الاندلس ،و لكن يمكن أن يفسر ذلك بأن العرب كانوا على علم بضعف الملكية القوطية و أنها لن تستطيع الوقوف أمام أى فاتح أجنبى . كما يمكن أن يفسر ذلك على أن الكتاب العرب حاولوا التقليل من القوة العربية حتى يبينوا كيف تمكنت قوتهم الصغيرة من تحقيق تلك الانتصارات العظيمة .

و كان معظم رجال طارق من البربر ليس معهم الاعدد قليل من الموالى و من العرب الخلص . وهذا امر له أهميته أيضا اذ تبين مشاركة المغاربة أهل البلاد المفتوح مع العرب و مساعدتهم للعرب . بمعنى أن الناس أقبلوا على الاسلام بسرعة و بلغ هذا الاقبال الى درجة الحماس و الاندفاع نحو نشر الاسلام و طلب الإستشهاد فى سبيله . وسار طارق على رأس رجاله واستولى على مدينة قرطاجنة التى تقع فى منتصف خليج جبل طارق عند مصب وادى الرقة . وبعد ذلك اتجه طارق ابن زياد نحو

المغرب و أخذ يحصن موضعا ليكون ملجأ له فى حالة اذا ما اضطر الى الانسحاب و اتخذ ذلك الموضع فى مواجهة الجزيرة الخضراء و عهد للامير يليان بالاقامة فى هذا الموضع لحماية انسحاب العرب اذا مالزم الامر . وعلم لذريق بنزول العرب على الساحل الاسبانى فاتجه نحو الجنوب بسرعة وتوقف فى قرطبة بعض الوقت حيث جمع قواته التى كانت هناك . ولم يتقدم طارق بن زياد بل انه اتخذ موقفا دفاعيا وأرسل الى موسى بن نصير يطلب منه النجدة والمدد ،وأجابه موسى فأرسل له خمسة آلاف رجل معظمهم من البربر أيضا ،وبذلك بلغت قوة طارق بن زياد حوالى اثنى عشر ألف رجل . ويظن أنه انضم اليه فى ذلك الوقت بعض الساخطين على لذريق من أعوان الملك غيطشة والظاهر أن هذا هو الذى جعل بعض الكتاب يقولون أن أبناء غيطشة ساروا الى المغرب والتقوا بطارق بن زياد .

و بعد أن قويت قوى جيش طارق أخذ يسير نحو الغرب وذلك فى الموضع الذى توجد فيه المستنقعات المعروفة حاليا باسم مستنقعات ألينда والتى يمر بها نهر صغير يعرف باسم وادى برباط واستقر طارق فى هذه المنطقة و أتى جيش لذريق من قرطبة نحو الجنوب عن طريق مدينة شذونة و فى هذه المنطقة تم اللقاء الفاصل بين لذريق و طارق . وتقول النصوص العربية ان قوات لذريق ،بلغت حوالى مائة ألف رجل . ويظن أن هذا العدد

مبالغ فيه من غير شك • وتمت هذه الموقعة فى أواخر شهـــر رمضان سنة ٩٢ هـ والموافق لشهر يولية سنة ٧١١ م •

وتقول الروايات العربية أن قيادة القوات القوطيـــة كانت الى بعض أبناء غيطشة وان هذا كان السبب الرئيسى فـــى انهزام القوات القوطية ،والنص يقول : " هذا ابن الخبيثـــة قد غلب على سلطاننا وليس من أهله وانما كان من سفالنــــا وهؤلاء قوم لاحاجة لهم بابطان بلدنا انمايريدون أن يملـــوا أيديهم ثم يخرجون فانهزم بنا بابن الخبيثة اذا لقينا القـوم فأجمعوا لذلك و كان لذريق قد ولى ششبرت ميمنته وابه ميسرته وهما أبناء الملك غيطشة الذى كان ملكا قبله وهما رأى مـــن أدار عليه الانهـــزام " •

بمعنى أنهم اتفقوا على الانهزام وأن هذا سيخلصهم مـــن لذريق ،بينما يرجع العرب من جديد الى الساحل الافريقى اذا ماتفاهموا معهم • وهذا ماحدث فعلا اذ فرأعوان غيطشة ورغـــم ذلك حاول لذريق الثبات فى القلب ولكنه اضطر فى النهايـــة الى الانسحاب امام ضغط القوات العربيةولايعرف على وجه التحقيق ان كان لذريق قد قتل فى هذه المعركة وان كان قدفر ،ويقـــول بعض الكتاب الاسبان المحدثين ان الملك القوطى تمكـــن مـــن الخلاص من المعركة بصعوبة وأنه لن يقتل الا فيما بعد و علـــى يدى طارق بن زياد أيضا فى أقصى الشمال فى منطقة استوريش •

هذا وهناك تفصيلات جديدة وجدها الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى فى الجزء الذى قام بتحقيقه ونشره من كتاب " الإكتفاء فى تاريخ الخلفاء " لابى مروان عبد الملك بن الكردبوسى الخاص بتاريخ الاندلس ،و أيضا فى الجزء الخاص بوصف الاندلس لمحمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى التوزرى (توفى فى سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢ م) .

فنص ابن الشباط يقول " ... ثم زحف طارق بجميع اصحابه حتى نزل قريبا من عسكر لذريق فتلاقوا يوم الاحد لانسلاخ شهر رمضان ،فاقتتل المسلمون والمشركون ثمانية ايام قتالا شديدا و صبر الفريقان جميعا صبرا عظيما ،ثم أنزل الله عز و جل نصره على المسلمين ،فانهزم أبناء الملك بأهل الميمنة وأهل الميسرة من عسكر لذريق فقتل العجم قتلا ذريعا ،و قتل أبناء الملك ولم يغن عنهما كيدهما ،و أفلت لذريق الى موضع يقال له السواقى ،فقيل انه قتل وهو لايعرف ،وقال أيضا أنه أراد الاستتار بسار الوادى فغرق فيه وهلك . ووجد فى ذلك المكان خف منظوم بالدر واليا قوت قد سقط من رجله و أصاب المسلمون من السبى مالاعهد لهم بمثله . وكان يعرف اشراف العجم فى القتلى بخواتيم الذهب توجد فى أصابعهم و من دونهم بخواتيم الفضة والعبيد و أمثالهم بخواتيم الصفر . و كانت الوقيعة على المشركين يوم الاحد لسبع خلون من شوال وليومين مضيا من

تشرين الاول . و جمع طارق الغنائم فاخذ منها الخمس ،وقسم غيرها على تسعة آلاف سوى العبيد ،ثم تقدم طارق حتى نزل باهل مدينة شذونة .

وكما يقول الاستاذ الدكتور حسين مؤنس " هذا نص عظيم القيمة ،يقول ابن الشباط نفسه انه نقله عن " مختصر تاريخ الطبرى " ويذهب العبادى الى أن المراد بذلك " ذيل تاريخ الطبرى " لعريب بن سعد القرطبى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م و معنى هذا أن نص ابن الشباط يعطينا قطعة من ذيل تاريخ الاندلس لعريب ابن سعد ،وهذا فى حد ذاته امر عظيم القيمة و نلاحظ منه أن عريبا اعتمد على تاريخ احمد بن محمد الرازى فيما أكمل به تاريخ الطبرى ،و ذلك يزيد فى قيمتها فى نظرنا ،فهى تعطينا فقرات من الصورة العربية لنص الرازى الذى لم يعثر عليه الا فى ترجمته البرتغالية والاسبانية.

ويرى الاستاذ الدكتور مختار العبادى ،أن هذه المعركة التى توقف عليها مصير اسبانيا فى يد المسلمين ،كانت أكبر و أعظم من أن تحدد بمثل هذه الاماكن المحدودة الضيقة. لقد كانت معركة واسعة النطاق بدأت طلائعها منذ نزول طارق الى أرض اسبانيا و حشد فيها ملك القوط كل مايستطيع حشدة من مال و رجال وسلاح لدرجة روعت طارق وأزعجته ..ولاشك ان معركة بمثل هذه الحشود الكبيرة و هذا الهدف الخطير و هذه المدة

الطويلة التى استغرقها فى صراع وطراد ومتابعة ،ولابـد أن تكون معركة عظيمة تليق بمكانة هذا الفتح العربى العظيم معركة لم تقتصر رحاها على جنوب شذونة او شمالها بل شملت جميع أنحاء هذه المنطقة ،فهى معركة كورة شذونة بأسرها وليست معركة مدينة شذونة قاعدتها . ومن هناك جاز لنا أن نقول بأن ماورد فى كتب التاريخ من تسميات لهذه المعركة مثل البحيرة ،ووادى بكة ،ووادى البرباط ،ووادى لكة ،وشريش والسواقى ،ماهى فى الواقع الا تسميات لتلك الاماكن التى دارت و تشعبت عندها تلك المعركة الكبيرة فى أراضى كورة شذونة .

هذه الموقعة كانت الفاصلة فى غزو العرب للاندلس اذفتحت ابواب البلاد أمام طارق .

و تختلف النصوص فيما كان ينبغى على طارق بن زياد أن يفعله بعد ذلك فبعضها يقول انه لم يكن ينبغى عليه أن يتهور فى داخل الاندلس بل كان ينبغى عليه أن يتوقف حتى تأتيه اوامر أخرى من موسى بن نصير . و لكن طارق لم يكن ليستطيع أن يفعل ذلك ،فالنصر يدفع الى النصر كما يقال ،ثم ان حماسة من أجل الجهاد الى جانب تشجيع الامير جليان (يليان) له و كذلك خصوم لذريق من أتباع الملك غيطشة . كل هذا دفع طارق الى التقدم نحو الامام ،و كان هدف طارق بن زياد هو مدينة قرطبة عاصمة

الجنوب ،ولكن كان عليه أن يعبر نهرا صغيرا فى طريق قرطبة هو نهر وادىاستجه ،و كانت هناك قلعة اسمها استجه ،فاستولى العرب عليها وكان قد لجأ اليها بعض الفارين من القوط وانضم الى طارق عدد كبير من أهل البلاد الذين سخطوا على الحكم القوطى ورحبوا بالعرب فى سبيل تحسين احوالهم الشخصية والاجتماعية ،و خاصة طبقة رقيق الارض . هذا كما أن اليهود فى الاندلس الذين ساموا يقنون تحت ضغط القوط واضطهادهم رحبوا بقدوم العرب وقدموا لهم ،بكثير من المعونة والمساعدات على ذلك قرر طارق بن زياد ،أن يتجه مباشرة نحو عاصمة القوط و هى طليطلة . وعلى ذلك بعث بحملة صغيرة على رأسها احد موالى الامويين واسمه مغيث الرومى للاستيلاء على مدينة قرطبة ،بينما اتجه هو نحو الشمال نحو مدينة طليطلة . وت مغيث من الاستيلاء على قرطبة فى أوائل سنة ٩٢ هـ .

وهناك بعض الروايات العربية التى تقول أن أقاليم شرق الاندلس سقطت هى الاخرى بين أيدى قواد طارق بن زياد مثل غرناطة وقلعة مرسيـة .

ولكن الحقيقة هو أن أقاليم شرق الاندلس هذه لن يتم فتحها الا على أيام عبد العزيز بن موسى بن نصير ،ولم تقاوم عاصمة القوط طليطلة أية مقاومة ،وذلك أن اهلها كانوا قد تركوها و خاصة بعد أن هجرها كبار رجال الكنيسة واستولى

طارق ابن زياد على قصور طليطلة و أخذ الكثير من المغانـــم: و الذخائر من هذه القصور ،و كذلك من كنائس المدينة ، وكانت هذه المغانم موضوعا من الموضوعات التى أثارت خيال الكتـــاب العرب ، والمثل لذلك تلك المائدة العجيبة التى يسمونهـــا مائدة سليمـــان .

استمر طارق بن زياد فى المسير على طول نهر تاجـــه ويقال انه بلغ الى وادى الحجارة ولكن عند حلول فصل الشتـاء عاد من جديد الى طليطلـــة .

و بذلك انقضت حملة طارق الاولى و بدأت الحملة العربية الكبرى التى قادها والى المغرب بنفسه وهو موسى بن نصيـــر .

=================

حملة موسى بن نصير

===========

اختلفت الاراء في الاسباب التي دعت موسى بن نصير الى القيام بنفسه في الفتح في الاندلس و من هذه الاسباب مايرجع الى حسد موسى بن نصير لقائده ومولاه الذي حقق كل هذه الامجاد لنفسه ورغبة موسى في أن يكون له فخر فتح هذه البلاد . وربما كان ذلك العامل الشخصي صحيحا الى حد ما ولكن هناك أسباب عامة من ذلك طلب طارق بن زياد للمدد ،فهناك بعض النصوص التي تقول أن طارق هوالذي استدعى موسى و أنه كتب اليه " ان الامم تداعت الينا من كل ناحية فالغوث الغوث ،فسار اليه موسى . وبطبيعة الحال هذا السبب ربما كان هو الاقرب الى الصحة ،فالقوات التي كانت مع طارق لم تكن لتكفي فتح البلاد واقامة حاميات في الاقاليم المختلفة .

ترك موسى القيروان قاعدة افريقية وسار على رأس قوة بلغت حوالي ثمانية عشر ألف رجل واختلفت هذه القوة عن قوة طارق من حيث أنها كانت قوة عربية في معظمها اشتركت فيها معظم القوات العربية الموجودة في بلاد المغرب . وصحب موسى بن نصير عدد من التابعين وهم الطبقة التي تلي طبقة الصحابة و كانت في قوات موسى بعض القبائل اليمنية ،و كذلك بعض القبائل القيسية واستخدم موسى ابن نصير في العبور نفس المراكب التي استخدمها طارق بن زياد و هي مراكب الامير يليان الى جانب المراكب التي كان قد بدىء في انشائها في طنجة وفي سبتة .

وتم نزول موسى بن نصير على الساحل الاندلسى فى شهر رمضان من سنة ٩٣ هـ ،والذى نلاحظه هو أن موسى بن نصير لم يسر مباشرة الى عاصمة القوط طليطلة حيث كان طارق بن زياد بل انه رأى أن يقوم بفتوح خاصة به وهذا جعل البعض يفسر حملة موسى بأنها كانت من أجل اغراض شخصية . وبدأ موسى بالاستيلاء على مدينة شذونة و من شذونة اتجه مباشرة نحو مدينة اشبيلية و استطاع ان يستولى على قلعتين قريبتين من اشبيلية قبل ان يضرب الحصار على المدينة نفسها . والظاهر ان مدينة اشبيلية لم تقاوم مقاومة شديدة ،اذ دخلها العرب وانسحب القوط نحو الغرب الى مدينة لبلة . ومن اشبيلية اتجه موسى الى مدينة ماردة . ولم تستسلم مدينة ماردة بسهولة و ذلك أن القوط كانوا قد لجأوا اليها ،فاضطر العرب الى ضرب الحصار عليها طوال الشتاء واخيرا استسلمت فى شهر شوال سنة ٩٤هـ/ يونية ٧١٣م. ووجد موسى بن نصير فى ماردة ذخائر عظيمة . ثم انه تابع مسيرة فى اتجاه طليطلة وأرسل الى طارق يطلب اليه السير للقائه ،وأرسل موسى اثناء طريقه نحو طليطلة ابنه عبد العزيز ليخمد ثورة كانت قد قامت فى مدينة اشبيلية واستطاع عبد العزيز فعلا أن يخمد الثورة ،ثم أنه قد فتح بعض المدن الموجودة فى منطقة الغرب فى جنوب البرتغال الحالية لبلة وباجة واكشنبه واتجه طارق بن زياد

لملاقاة موسى ابن نصير و تم اللقاء بينهما فى موضع طلبيرة على نهر وادى تاجه أسافل طليطلة . ويفهم من النصوص أن موسى بن نصير استقبل طارق ابن زياد استقبالا سيئا و كال اليه الاتهامات و بلغ الامر الى حد ضربه بالسياط .

و يفسر ذلك على أن طارق بن زياد خالف اوامر موسى بن نصير التى كانت تتطلب منه التريث عقب انتصاره على لذريق و عدم المغامرة فى داخل البلاد خشية على المسلمين .

ولكن موسى عاد وصالح قائده الذى اتجه بعد ذلك نحو اقاليم جبل الشارات فى وسط شبه الجزيرة . ويقال ان طارق بن زياد التقى بلذريق هناك على رأس القوط وأنه قتل فى اواخر صيف سنة ٧١٣ هـ .

و بعد ذلك قضى موسى بن نصير شتاء هذا العام فى عاصمة القوط فى طليطلة وسلم هناك طارق الذخائر والنفائس التى استولى عليها . ويقال ان موسى بن تصير ضرب النقود من الا٦٠ فى طليطلة فى ذلك الوقت وذلك فى دار السكة القديمة .

و كانت هذه النقود تحمل الشعارات الاسلامية منقوشة بالحروف اللاتينية بسم الله ـ لااله الا الله . واحد عليم . لم كمثله اله غيره .

وذلك من وجه . وكان منقوشا على الوجه الاخر السنتين الهجرية والمسيحية .

وأرسل موسى بن نصير الى الخليفة يعلمه بما فتح الله على المسلمين فى الاندلس وبين له المغانم والاسلاب العظيمة التى تم الاستيلاء عليها . وسار بهذه الاخبار الى الخليفة احد التابعين وهو على بن رباح اللخمى التابعى و معه أحدموالى بنى أمية وهو مغيث الرومى الذى رأيناه يستولى على مدينة قرطبة .

وعندما تحسنت الاحوال الجوية خرج موسى بن نصير لتكمل فتوح الاندلس حيث استولى على مدينة سرقسطة فى سنة ٩٥ هـ وأقا بها أحد التابعين وهوحنش الصنعانى من صنعاء الشام وليس من صنعاء اليمن . وهو الذى أنشأ مسجد المدينة الجامع .

وأراد موسى بن نصير ان يستمر فى اتجاهه نحوالشمال نحو البرانس فى اتجاه مدينة لاردة التى تقع على الطريق بين سرقسطة وبين برشلونة ولايعرف ان كان موسى بن نصير أراد أن يتجاوز جبال البرانس الى أرض فرنسا . و لكن يفهم من النصو انه توغل فى بلاد غربية على العرب حتى أن بعض العسكر بدأ يتململمن ذلك .

وهناك بعض النصوص التى تشيرالى أن موسى بن نصير ربما فكر فى العودة الى الخليفة عن طريق القسطنطينية ولكن هذه الفكرة خيالية من غير شك ولاأساس لها من الصحة .

فى هذا الوقت رجع رسل موسى بن نصير من عند الخليفة والظاهر أن الخليفة الوليد كان يتعجل لقاء موسى بن نصير ليعرفه بما تم على يديه من الفتوح وليحاسبه على ماوقع بين يديه من المغانم والاسلاب اذ أنه طلب عودة موسى الى دمشق ولكن موسى بن نصير لم يستجيب لامر الخليفة مباشرة بل انه قام ببعض الفتوحات ، اذ حاول تأمين ماتم على يديه من الفتوح و كان تأخره هذا سببا فى اتهامه كما يفهم من النصوص بالخروج على طاعة الخليفة الوليدبن عبد الملك .

قرر موسى بن نصير أن يقوم بحملة فى السفوح الجنوبية الغربية لجبال البرانس فى الاقاليم التى عرفت باسم قشتالة القديمة ،بينما امر طارق بن زياد بالمسير من سرقطه نحو أعالى وادى الابرو والاتجاه من هناك الى بلاد الجلاقة و حقق طارق ابن زياد خلال حملته هذه عددا من الانتصارات فى شمال الجزيرة فتقدم الى مدينة ماية ونهبها ثم سار الى مدينة ليون واسترجه . أما عن موسى بن نصير فانه صعد نحو الشمال الى بلاد استوريش فى اتجاه عاصمة استوريش المعروفة . وتقول النصوص العربية ان أهل البلاد التجأوا الى الاقاليم الجبلية التى اعتصموا بها هناك .

وعندما تمت هذه الفتوح قرر موسى بن نصير أن يسير نحو المشرق للقاء الخليفة فترك الاندلس فى نهاية سنة ٩٥ هـ وترك الحكم لابنه عبد العزيز ،و سار موسى بن نصير فى موكب نصر عظيم يحيط به كبار رجال القوط و كذلك زعماء البربر و معهم المغانم والاسلاب والهدايا التى أثارت خيال الكتاب العرب .

ولكن موسى بن نصير وصل الشام قبيل وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك وربما كان ذلك من الاسباب التى اسخطت الخليفة الجديد عليه وهو سليمان بن عبد الملك الذى أساء معاملته وانتهى امر الفاتح الكبير نهاية غامضة كذلك الحال بالنسبة لطارق بن زياد .

الفتوحات فيما وراء النهر :

أما عن الفتح الكبير الذى تم على أيام قتيبة فانه بدأ بعد وفاة عبد الملك و خلافة الوليد بن عبد الملك و ذلك عندما عهد الحجاج الى والى الرى قتيبة بن مسلم بولاية المشرق و ذلك فى سنة ٨٦ هـ ،و بدأ قتيبة يعمل على اقرار الامور فى الولايات الواقعة على ضفاف نهر جيحون و ذلك فى منطقة بلخ و آخرون و منطقة شومان ، ومما يستحق الذكر هنا هو أن قتيبة بن مسلم استعان بملك صغانيان فى الفتح فكان ذلك بداية استخدام أهل تلك البلاد فى القوات العربية واستمر قتيبة بحملاته السنوية ابتداء من تلك السنة فى بلاد ماوراء النهر ففى سنة ٨٧ هـ ٨٠٦ م اتجه الى منطقة بخارى فعبر النهر (جيحون) عند مدينة آمل واستنجد امراء المنطقة بخاقان الترك كما استنجد بطرخون الصغد و كذلك بملك بخارى ولقى قتيبة ورجاله الكثير من الصعوبات اذا احاط بهم المصاعب من كل جانب وانقطعت أخبارهم عن الحجاج و الخلافة مدة شهرين فكان لاينفذ له رسول ولايصل اليه خبر " وقلت الاقوات وارتفعت الاسعار ارتفاعا شديدا و قلق الحجاج فى العراق قلقا عظيما على جيشه الاموى حتى انه امر الناس بالدعاء له فى المساجد وتمكن قتبية من الخلاصمن هذا المأزق بالسياسة اذ انه راسل ملك الصغد و اقنعه بترك حلفائه وانتهى الامر الى الصلح

فعلا مع ملك سمر قند و أرسل قتيبه حملاته في سنة ٨٨هـ فـــي منطقة بخارى • و في سنة ٨٩ هـ وانتهى الامرباالاستيلاء علـــى بخارى في سنة ٩٠ هـ و ذلك في الحملة الخامسة التي قام بهـا قتيبة و كان ملك بخارى الوطني قد استنجد بقوات سمر قنـــد و كذلك بالترك ولكن قتيبة سبقهم الى المدينة و ضرب عليهـا الحصار و نجح العرب في هزيمة أعدائهم و هزم الترك و جـــرح الخاقان وانسحب ملك سمر قند من المعركة و على ذلك فتحـــت المدينة ابوابها و دخلها المسلمون • وبعد أن نظم قتيبـــة شئونها عاد منها الى خراسان • وشعر قتيبة بقوته وبدايشتـد في معاملته لامراء البلاد حتى خافوه واعلنوا خضوعهم ولكنهـــم عادوا و نكثوا الصلح سنة ٩١ هـ فقام قتيبة بحملة ضد امـــراء بلخ والطالقان و نجح في هزيمتهم ولكنه رغم شدة الحجاج وسطوة قتيبة نجد أن سلطان العرب لم يكن قد استقر تماما في البـلاد التي كانت كما نرى بين أيدى امرائها الوطنيين يحكمونهـــا تحت اشراف العـــرب •

واستمر قتيبة في نشاطه و في سنة ٩٣ هـ حقق نجاحـــا - هائلا وذلك انه فتح خوارزم سمر قند و كان فتح خوارزمنتيجـة لاضطراب امراء البلاد الوطنيين الذين استنجد بعضهم بقتيبـــة فانتهز الفرصة و فتح المدينة • أما عن فتح سمر قند فكـــان نتيجة لعصيان ملكها و نقضه للصلح وعندما سار قتيبة و عبـــر

النهر عارت الى جانبه قوات امير خوارزم وقوات ملك بخـــارى بينما استنجد ملك سمر قند بالترك وبملك الشاش واستعد قتيبة للقاء اعدائه و نصبت لهم الكمائن و نجحت خطته ففاوضوه مـن أجل الصلح و تم الاتفاق على دفع فدية قدرت بمليون درهــــم كما نصت شروط الصلح على ان يقدم امراء تلك البلاد عدداكبيرا من الفرسان للعمل تحت قيادة قتيبة الرواية تقول انهـــــم بلغوا حوالى ثلاثين الف فارس و هناك رواية أخرى تقول انهـم بلغوا مائه ألف ،كما تقرر أن تفتح المدينة ابوابها لقتيبة والايبقى بها أحد من المقاتلة ولكن على أن يبنى قتيبة مسجدا وعلى أن يتغذى ثم يخرج من المدينة ولكن قتيبة بعد أن دخـــل المدينة رفض الخروج منها فكان لهذا العمل اثره بين أهـــل ذلك العصر و خاصة من رجال الدين الذين قالوا بأن قتيبة فتح سمر قند غدرا .

والذى يهمنا من أمر هذه الفتوح بشكل خاص هو أن الصلـح مع أمراء البلاد الوطنيين لم يعد على فدية من المال بل علـــى تقديم عدد من المقاتلة أيضا بمعنى أن أهل هذه الاقاليـــــم أخذوا يساعدون العرب فى فتح ماوراءهم من البلاد و العمـــل على نشر الاسلام فى بلاد الترك و فعلا توغل قتيبة بفضل هـــذه المساعدات الى مواقع لم يسبقه اليها احد اذ انه وصل الـــى فرغانه وعبر سيحون لاول مرة وفتح مدينة طشقند . على أن —

النفوذ العربى آخذ يستقر فى ولايات سيحون و كان ذلك يرضى طموح الحجاج بطبيعة الحال ويثير حماسه و ذلك انه اخذ يوالى الامدادات الى قتيبة و يطلب منه الاستمرار فى تحقيق انتصارات عسكرية فى الشرق والعمل على توسيع حدود الاسلام فى قلب بلاد الترك .

و فعلا صار قتيبة فى سنة ٩٥ هـ نحو المشرق ولكنه عندما بلغ الشاش وصله نبأ نعى الحجاج فكان لذلك اثره الشديد السيىء على معنويات الفاتح الكبير الذى كان لايجهل مايكاد يمزق مركز الدولة من الخصومات السياسية والمنازعات القبلية فكان موت الحجاج نذير أزمة خطيرة فى توسع العرب فى المشرق . ولكن الخليفة الجديد الوليد بن عبد الملك عرف لقتيبة ماله من فضل فعمل على تشجيعه على مواصلة الفتح و كتب اليه يقول " قد عرف امير المؤمنين بلاءك و جدك واجتهادك فى جهاد اعداء المسلمين و أمير المؤمنين رافعك و صانع بك الذى يجب لك فاتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولاتغب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأنى انظر الى بلاءك والثغر الذى انت فيه .

و كان لتشجيع الوليد أثره فى رفع معنويات قتيبة الذى تماسك وواصل الفتح حتى بلغ الى مدينة كاشغر فى السنة التالية أى سنة ٩٦ هـ حيث هزم الحامية الصينية التى كانت

هناك ولكنه قدر لفاتح بلاد ماوراء النهر ان ينتهى نهاية تعسة و ذلك أن الخليفة الوليد توفى فى سنة ٩٧هـ و خلفه آخوه سليمان بن عبد الملك الذى سار على سياسة مغايرة فحابى العصبية الكلبية و ناهض العصبية القيسية مما دعا قتيبة الى الثورة و بفضل تدبير الخليفة انتهى الفاتح الكبير قتيلا بأيدى رجاله الذين طالماقادهم الى النصر و الظفر .

و هكذا استمر سلطان العرب الى حدود الدولة الشرقية و كان قتيبة بن مسلم هو الفاتح الحقيقى لتلك البلاد .

الفصل الثالث عشر

عظمة الدولة الأموية وبداية الأفول

عظمة الدولة الاموية وبداية الافــو ل :

بلغت الدولة الاموية ذروة مجدها و عظمتها فى نهايـــة القرن الاول وبداية القرن الثانى للهجرة - وهو القرن الثامـن الميلادى - " ففى هذا القرن وضعت جميع النظم الاسلامية وبدأت كافة الاتجاهات الفكرية ،حينما اخذت الافكار تتجاوز حدودهـــا الاقليمية الى آفاق أوسع و هو عصر تفتح الروح الاسلامية وسط ثراء مادى غزير و هى كذلك الفترة الى مهدت بعد سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م للدولة العباسية أن تكون مركزا مهما للحياة العقلية(١)

وهناك خلفاء عظام مثل : البوليد وسليمان بن عبدالملك و عمر بن عبدالعزيز تسيدواكبر دولة اسلامية و فى الحقيقـــة أن الفضل فى اتساع الدولة انما يرجع الى كبار العمال من رجال الحرب والادارة الذين خدموا هؤلاء الخلفاء وأغلب الظن أن السبب فى عدم معرفتنا بأعمال خلفاء الامويين الشخصية انما يرجـــع الى أن ماكتب عنهم انما كتب فى العصر العباسى . ولما كـان العباسيون يكنون للامويين حقدا كبيرا كان من الطبيعى أن يصور الكتاب خلفاء الامويين تصويرا قاتما فهم يصفون الخليفة

---

(١) انظر ،جودفروا ديمومبيـــن ،النظم الاسلامية ،ترجمة الدكتور فيصل السامر ،د . صالح الشماع ،دار النشر للجامعييـــن بيروت ١٩٦١ ،ص ٢٦٠

الوليد بأنه مستبد ظالم ،وسليمان شره أكول(١). ولم يسلم من النقد من الخلفاء الامويين سوى الخليفة الورع التقى عمر بن عبد العزيز الذى يعتبره الكتاب خامس الخلفاء الراشدين ورغم الاعتراف بمكانة عمر بن عبد العزيز الذى يرجع اليه الفضل فى منع سب الامام على رضى الله عنه من على المنابر كما انه اعترف له بفضله عندما نظر الى الاسلام نظرة تختلف عن نظرة سابقية فهو يرى ان الدولة عندما اتسعت كانت تهدف الى نشر الاسلام قبل الحصول على المكاسب المادية و أعلن رأيه هذا عندما تضاربت السياسة الدينية مع السياسة الادارية وطولب الداخلون الجدد فى الاسلام بدفع الجزية مثلهم فى ذلك مثل اهل الذمة (غير المسلمين من أهل الكتاب) فأمر عمر برفع الجزية عمن أسلم ولهذا يعتبر عمر نموذجاً للورع والعدل والحكمة . ورغم ذلك نجد ان بعض كتاب العباسيين ينالون منه كما نالوا من أقاربه و ينسب الى المنصور العباسى انه قال عندما ذكر فى مجلسه : " انه اعور وسط عميان " (٢)

وبناء على ذلك نلاحظ ان الفضل فى الاعمال السياسية والعسكرية التى حققها الاسلام على عهد الدولة الاموية انما

---

(١) انظر ،المسعودى ،مروج الذهب و معادن الجوهر ،تنقيح و تصحيح شارل بلا (عن طبعة برية دى ميناروبلفيدى كرتاى) منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية ،بيروت ١٩٧٣ ،ح ٤، ص ١٣٠.

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة .

يرجع الى كبار رجال الدولة مثل : الحجاج بن يوسف الثقفى الذى اشتهر بعنفه وشدته وبطشه حتى أنه غرس كراهية أهل الشام فى قلوب اهل العراق ولكن يرجع الفضل إلى قسوته فى الحفاظ على وحدة الدولــــة .

ونذكر ايضا من الرجال العظام قتيبة بن مسلم فاتح بلاد ماوراء النهر والذى وسع حدود الاسلام حتى مغارب السند ثـــم موسى بن نصير فاتح الاندلـــس .

امتد سلطان الدوله فى المشرق والمغرب ولكنهالم تستطـع أن تفتح القسطنطينية ففشلت المحاولات التى بذلها معاوية بـــن أبى سفيان و خلفائه مثل الوليد وسليمـــان .

اما فيما يتعلق بالسياسة الداخلية فانه فى هذه الفترة التى شهدت فيها الدولة أقصى اتساعها حدثت تغييرات مهمة فـى نظمها الداخلية و كذلك بدأ ظهور العمارات الاسلامية الفخمـــة التى نفخر ونعتز بهـــا .

كذلك ينبغى الاشارة الى المجهودات العظيمة التى قـــام بها الخليفة عبد الملك بن مروان من أجل تعريب الدواوين أى تعريـب الادارة وعمل علىتغلغل هذا التعريب بينأهل الامصـــار و عمل التعريب وانتشار الاسلام علىتكسير الحواجز التى كانـت موجودة بين العرب وبين أهل البلاد وكان ذلك تمهيدا للقيـــام

المجتمع العربى الاسلامى الموحد . واستمر فى هذه السياسة التى بدأها عبد الملك ابنه الوليد و كذلك عمر بن عبد العزيز ويرجع الفضل فى انشاء المسجد الجامع فى دمشق الى الوليد ابن عبد الملك الذى استجلب لبناء هذا الجامع الفنانين من بلاد الروم و كذلك من مصر و أنفق عليه بسخاء حتى أصبح مفخرة من مفاخر الاسلام و نموذجا من نماذج الفن الاسلامى .

وبعد أن بلغت الدولة من الناحية العسكرية أقصى اتساعها بدأ عصر التوقف العسكرى و الاقليمى و كان هذا يعنى بداية عصر الافول و الاضمحلال .

أما فى المشرق فتحركت المسيحية ايضا فانتهى حصار القسطنطينية الاخير بالفشل ثم أن الامبراطورية البيزنطية خرجت من فترة الضعف التى كانت تمر بها و اعتلى عرشها امبراطور قوى هو ليو الثالث الايسورى الذى قام بحملات عسكرية فى آسيا الصغرى و كذلك فى مناطق القوقاز و فى سنة ١٢٢ هـ تذكر الحوليات ان ابن الخليفة هشام بن عبد الملك الذى كان قد توغل فى الاراضى البيزنطية لقى هزيمة مروعة تشتت مقدمة جيشه وقضت هذه الكارثة على حلم الامويين فى القضاء على بيزنطة هذا فيما يتعلق بتوقف الفتح العسكرى .

أما فيما يتعلق بالاحوال الداخلية فى الدولة فانها لم تكن بأحسن حالا من التوسع العسكرى . ففى كثير من الاقاليم ظهرت ميول و اتجاهات انفصالية .

الوضع فى بلاد المغـــرب :

ففى بلاد المغرب بدأ الصراع بين العرب والبربر يظهر بشكل واضح بعد ذلك بقليل حوالى سنة ١١٦ هـ ولو أن بذورهـذا النزاع ترجع الى اواخر القرن الاول الهجرى عندما ولى محمد بن يزيد القرشى افريقية فى سنة ٩٧ هـ . وعلى أيام سليمـــان بن عبد الملك اذ بدأت البلاد تضطرب ولكنه عندما آلت الخلافة الى عمر ابن عبد العزيز بدا ينتهج سياسة الاصلاح والتوفيـــق واسترضاء اهل الامصار ومحاولة معاملتهم معاملة الند للنـــد بالنسبة للعرب فبعد ولاية عمر يقال ان سياسته هذه نجحت فـــى المغرب نجاحا كبيرا بفضل واليه اسماعيل بن عبيد الله بـــن أبى المهاجر الذى يقال انه كان خير أمير وانه بفضل سياسته المتزنة العاقلة اسلم جميع البربر فى البلاد .

ولكن بعد وفاة عمر بن عبد العزيز عادت الامور الـــى ماكانت عليه وبدأ الاضطراب فى المغرب على أيام يزيد بن عبد الملك الذى جعل المغرب الى يزيد ابن أبى مسلم الذى كـــان مولى للحجاج بن يوسف الثقفى و ذلك سنة ١٠٢ هـ . ويقال أن يزيد بن أبى مسلم اساء السيرة فى المغرب و حاول ان يطبق الاجراءآت العنيفة التى طبقها الحجاج فى العراق وبلاد المغرب من ذلـــك انه اعاد تقليدا بيزنطيا قديما كان معروفا فى البلاد فوشـــم

حرسه على أكفهم او على راحتهم فجعل اسم الرجل في كف وكلمة (رسول) في كف آخر فكان ذلك سببا في اثارة السخط بين أهل البلاد الذين أنكروا و تآمروا عليه فقتلوه اثناء اداثه لصلاة المغرب .(١)

وبعد ذلك آلت ولاية افريقية في سنة ١١٦ هـ الى عبيد الله بن الحبحاب القيسي ،أعاد ابن الحبحاب هذا سيرة يزيد بن أبى مسلم فأوصى نوابه في المغرب بمعاملة اهل البلاد دون رعاية . وتقول النصوص ان عامله في طنجة وفي السوس نفذا وصيته و غاليا فيها فطلبوا من البربر الذين دخلوا في الاسلام دفع الجزية و بالغوا في اهانتهم حتى انهم سبوا بناتهم وأخذوهن في الجزية . وكانت هذه الاجراءات العنيفة سببا في اشعال لهيب العداوة والحقد فانتهز أهل البلاد خروج احد ناشبي ابن الحبحاب الى صقلية وهو حبيب بن ابي عبيدبن عقبة بن نافع الفهري، واندلعت ثورة عارمة في المغرب الاقصى . واشترك في هذه الثورة قبائل غمارة ومكناسة وبرغواطة ومطغرة وجعلوا على رأسهم رجلا منهم اسمه ميسرة ويعرفه الكتاب العرب باسم ميسرة الحقير و ذلك و ذلك لانه كان في بداية امرة سقاء بالقيروان فقاد ميسرة الذى أصبح اماما الثورة وتقدم نحو طنجة واستطاع ومن معه الاستيلاء على المدينة في سنة ١٢٢ هـ .

---

(١) انظر ، ابن عذارى ، البيان ،ج ١ ،ص ٥٤٨.

وتتلخص اهمية هذه الثورة فى انها لم تكن ثورة سياسية فقط بل انها كانت ثورة دينية ايضا اذ قامت هذه الثورة علـــى أسس المذهب الخارجى الذى ينادى بالمساواة التامة بين جميع المسلمين لافرق بين عربى ولاعجمى الابالتقوى وهو المذهب الـــذى ينادى بأنه يمكن ان تكون الخلافة اى رياسة الجماعة الاسلامية لاى رجل مسلم طالما يتمتع بالاهلية اى دون أى تفرقة جنسيـــة او عنصريـــة .

دخل هذا المذهب من المشرق و خاصة من العراق من البصرة الى بلاد المغرب ولقى نجاحا كبيرا بين البربر الذين كانـــوا يبحثون عن المذهب الصحيح والذين كانوا يتشككون فى تصرفـــات العرب ازاءهم . تلك التصرفات التى لاتتفق فى كثير من الاحيـــان مع المبادىء الاساسية للاسلام وانتهى الامر بأن اتخذوا المذهب الخارجى شعارا لتغطية امانيهم فى التحرر و فى مقاومة العرب و فعلا سينجح هذا المذهب و سيقيم امارات مستقلة كتاهـــرت فى المغرب الاوسط و فى جبال نفوسة و فى طرابلس حيث لازال المذهب حيا الى اليـــوم .

عندما علم والى أفريقية بسقوط مدينة طنجة بين يـــدى ميسرة واتباعه من الصفرية امر نائبة فى الاندلس وهو عقبـــة بن الحجاج السلولى بالمسير الى الساحل الافريقى والعمل على

استخلاص المدينة و فعلا نزل عقبة الى سواحل طنجة و قتل البربر قتلا ذريعا ولكن لم ينجح في اخماد الثورة .(١)

وقعـــة الاشـــراف :

أما عن ميسرة فتقول الروايات أن اتباعه لم يرضـــوا عن سيرته وعلى ذلك فانهم تخلصوا منه وقتلوه وجعلوا امامتهم الى رجل آخر هو خالد بن حميد الزناتى . وفى اوائل سنة ١٢٣هـ ٧٤٠ م نجح خالد بن حميد هذا ومن معه من الخوارج من البربـــر فى انزال الهزيمة الدامية بالعرب و ذلك فى وسط بلاد الجزائر بالقرب من وادى شلف واستشهد فى هذه الواقعة عدد كبير مـــن شباب العرب ولهذا السبب عرفت هذه الوقعة باسم وقعة الاشراف(٢)

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ،ج ٢ ،ص ٢٩ . أخبار مجموعـــة ص ٢٩ .

(٢) انظر ، الرقيق ،تاريخ افريقية ،ص ١١١ . ابن عـــذارى ، البيان ،ج ١ ص ٥٤ .

رد فعل وقعة الاشراف فى الاندلـــس :

و عندما بلغت انباء هذه الكارثة الى الاندلس حـــدث رد فعل شديد وذلك ان عرب الاندلس ثاروا بأميرهم عقبه بـــن الحجاج السلولى فعزلوه وولوا عبد الملك ابن قطن و كان ابن قطن هذا من أهل المدينة و أهل المدينة يكرهون أهل الشـــام منذ ذلك الصراع الذى حدث بينهم وبين الشاميين عقب وفــــاة معاوية وعلى ايام يزيد و خاصة بعد وقعة الحرة المشهـــورة التى استباح فيها أهل الشام المدينة حتى خرج التابعيـــــن و خرج كثير من أهل المدينة ودخلوا فى الجيش الافريقى كمــــا سبق ان اشرنـــا •

و عن هذا الطريق دخلوا الى الاندلس وهم يحتفظون فـــى قرارة نفوسهم بهذا الحقد والعداء المرير لاهل الشام .• وعلـــى ذلك لم يكن من الغريب ان ينظر ابن قطن بعين الارتياح الـــى الصعوبات التى تلقاها جيوش الشام فى المغرب ولكـــن الــــذى حدث هو أن البربر اضطربوا بدورهم فى الاندلس ويظهر أن العـــرب كانوا قد استأثروا بخيرات البلاد وخاصة الاراضى السهليــــــة الغنية بينما تركوا للبربر الاقاليم الجبلية الفقيرة • ولـــو أن ذلك امر طبيعيا فالبربر اعتادوا السكنى فى الجبال ،كمـــا أن استيطانهم فى المناطق الجبلية كان يحقق لهم نوعا مـــــن الاستقلال الذاتى فى أقاليمهـــم •

وتلقى البربر أبناء انتصارات اخوانهم فى شمال افريقية على الجيوش العربية بفرح شديد وفكروا بدورهم فى زعزعة سلطان العرب فى الاندلس و بدأت الثورة البربرية فى الأندلس فى بلاد الجلاقة و المناطق الشمالية الغربية من الاندلس عند السفوح الجنوبية لجبال و تقدم البربر نحو الجنوب يفاجئون العرب ويقتلونهم و حاول ابن قطن مواجهة الموقف واستقر العرب فى جنوب الجزيرة ولكن جهوده لم تنجح فى اخماد الثورة .

كلثوم بن عياض ووقعتى القرن و الاصنام :

وصلت هذه الانباء الى مركز الخلافة فى المشرق ،وساد دمشق جو من القلق واقسم هشام بن عبد الملك أن يرسل جيوشا جرارة لقمع الثورة تكون اوائلها فى بلاد المغرب بينما يكون اواخرها مازالت في دمشق و فعلا جهز حملة كبرى بلغ تعدادها حوالى ثلاثين الف رجل منهم عشرة آلاف فارس من أهل الشام ووصل على رأس الحملة كلثوم بن عياض القشيرى و كان يصحب كلثوم ابن اخيه بلج بن بشر و ذلك على رأس الخياله التى كانت مقدمة ذلك الجيش(١)و تحقق ماكان قد وعد به الخليفة بوصول اوائل الجيوش الى المغرب بينما يكون مؤخرته فى المشرق

---

(١) انظر ،ابن عذارى ،البيان ،ج ١ ص ٥٤ . وقارن الرقيق ، تاريخ افريقية ،ص١١١ بروفنسال ،تاريخ اسبانيا الاسلامية بالفرنسية ص ٤٣ .

وذلك بانضمام العسكر من البلاد التى كان يمر بها هذا الجيش وذلك فى مصر وفى أفريقية ويظن أن ذلك الجيش الكبير لـــم يكن حسن التنظيم و ذلك انه انهزم فى اواخر سنة ١٢٣هـ/أواخر سنة ٧٤١ م على ضفاف وادى سبو ،ولقى كلثوم حتفه فى الموقعة و ستستمر الخلافة فى مجهوداتها لقمع هذه الثورة و فعـــلا ستنجح قوات الخليفة فى الايقاع بالبربر اذ لحقت بهمهزيمتين داميتين احداهما تعرف بالاصنام و الاخرى تعرف بالقرن وذلـــك غير بعيد عن القيـــروان .

وكان لوقعه القرن هذه صدى عظيما فى الشرق اذ اعتبرها العرب نصرا حاسما ضد البربر حتى قال بعض الكتاب ان عدد من قتل فى الوقعة من البربر بلغ ١٨٠ الف رجـــل (١)

وكان فقيه مصر الليث بن سعد يقول : " مامن غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب الى من غزوة القرن والاصنام (٢)

أما فى داخل الدولة فكان من أهم القلاقل التى أصابـــت الدولة ظهور الخصومات والنزاعات الدينية . فمنذ البدايــــة ظهرت الحركة الخارجية فى مركز الدولة لكن بفضل جهود الحجاج

---

(١) انظر تفصيلات تلك الهزائم فى : الرقيق ،تاريخ افريقيـــة ص ١١٨ — ١٢٢ — وقارن ابن عذارى ، البيان ،جا ص ٥٨ — ٥٩

(٢) الرقيق ،ص ١٢٢ ، ابن عذارى ، البيان ،ج ١ ص ٥٩.

ابن يوسف الثقفى استطاعت الدولة القضاء على الخوارج ولكن، هذا لم يكن يعنى القضاء التام على الحركة اذ انها ظهرت و نجحت فى المشرق و فى المغرب •

و على أواخر ايام الامويين بدا الخوارج يثيرون الاضطراب من جديد فى مركز الدولة منتهزين ضعف الحكومة ففى سنة ١٢٧ هـ ٧٤٥ م حشد الخوارج قواهم فى منطقة الكوفة برياسة ضحاك بن قيس الشيبانى و كذلك فعل الخوارج الاباضية فى جزيرة العرب فجمعوا قواهم برياسة ابو حمزة الخارجى (١)

الى جانب المذهب الخارجى كان الشيعة مصدر قلاقل أيضا للدولة خاصة فى العراق فقد استدعوا احد أحفاد على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو زيد بن على زين العابدين و ذلك على أيام خلافة هشام بن عبد الملك واعلنوا امامته • وباءت جهود الخلافة فى دمشق بالفشل حوالى العام فى القضاء على ثورة العراق • ولكن انتهى الامر بالقضاء على بعض المتآمرين ،وعرف مكان زيد وتتبعته قوات الخلافة وتمكنوا من رميه بسهم فاصاب جانب جبهته اليسرى فثبت فى دماغه • ومات زيد فى صفر من سنة ١٢٢هـ/ يناير ٧٤٠ م•

---

(١) انظر ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ،تحقيق عبد الوهاب النجار طبعة مصر سنة ١٣٥٧هـ ،جـ٤ ، أحداث سنة ١٢٧ ص ٢٨٩•

==

وبذلك خضبت يدى بنى أمية من جديد بدم حفدة الرسول صلى الله عليه وسلم . بل ولم يحترموا جثمان زيد و كان أتباعه قد دفنوه فى ساقية وأجروا عليه الماء خوفا من التمثيل به ولكن القبر نبش واستخرج منه وقطع راسه وصلب ثم امر به فحرق بالنار (١)

والى جانب النزاعات الدينية هذه كانت الخصومات والنزاعات بين القبائل العربية نقطة من نقاط الضعف التى أدت الى انهيار دولة الامويين و من النزاعات بين هذه القبائل العربية ذلك النزاع الذى حدث فى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م بين اليمنية والقيسية (المضرية) والذى انتهى بانتصار اليمنية فى وقعة " مرج راهط " و عمل هذا النصر على زيادة اشتعال نار الفرقة بين العصبيتين المتناهضيتين و كان على الخليفة الاموى ان يسوس كل من الفريقين أو أن يقف الى جانب احدهما حسب الحال.

وكان اهم عمال الوليد بن عبد الملك هم : الحجاج بن يوسف الثقفى و قتيبة بن مسلم الباهلى ،فاتح ماوراء النهر

==(ذكر خروج الضحاك محكما) احداث سنة ١٢٨ ص ٢٩٥ – ٢٩٦(ذكر قتل الضحاك الخارجى) ص٢٩٧ (ذكر خبر ابى حمزة الخارجى مع طالب الحق .

(١) ابن الاثير ،ج٤ ص ٢٤٠ – ٢٤٣ احداث سنة ١٢١ هـ (ذكر ظهور زيد بن على بن الحسين) احداث سنة ١٢٢ هـ ص ٢٤٥ – ٢٤٨(ذكر مقتل زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب) .

وهما من العصبية القيسية وكان هذا يعنى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كان يتبع سياسة موالاة القيسية و عندما خلفه سليمان نهج سياسة مضادة لهذه السياسة فحابى اليمنية وعلى رأسهم يزيد بن المهلب بن أبى صفرة و عصبيته .

و عندما ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز حاول ان يقوم الموقف ان يتبع سياسة محايدة تهدف الى التوفيق بين العصبيتين ولكن سياسته هذه لم تطل لامد طويل اذ أنه سرعان ما اعتمد يزيد بن عبد الملك اعتمادا كليا على القيسية ثم ان هشام بن عبد الملك ذهب الى عكس هذه السياسة ثم عاد اليها ونتج عن ذلك أن اليمنية ثاروا لانفسهم من الخليفة الوليد الثانى فتآمروا على خلعه و كانت هذه الثورة سببا فى عزلة بلاد الشام جميعا.

والى جانب العصبية القبلية نذكر حدثا له مغزاه وهذا الحدث يتمثل فى هجرة خلفاء الامويين بعيدا عن دمشق و سكناهم الصحراء . ويشبه بعض الكتاب هذا الحدث بالانفصال الروحى بين الامويين وبين عصبيتهم من أهل الشام فقد شعر آخر خلفاء الامويين بعدم اطمئنانهم فى بلاد الشام و فى حاضرتهم دمشق فخرجوا الى البادية و كان أول من فعل ذلك هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذى كان يقيم فى بادية الاردن .

و من أهم القصور الصحراوية التى بناها الامويين قصر "الرصافة " فى بادية الشـــام .

وقد استمر الامويون فى سكنى الصحراء ،ويعدد الاثريون بقايا خمسة وثلاثين قصرا من هذه القصور، وكان الخليفة يتمتع فى قصوره الصحراوية هذه برياضة الصيد . كما يعتبر العصـــر الاموى عصر نهضة بالنسبة للشعر العربى، واشتهر كثيرمن أمـــراء الامويين بقول الشعر كما انهم أحاطوا انفسهم بالشعراء وشاعر الامويين كما نعرف هو الشاعر النصرانى . " الاخطل " والىجانب ازدهار الادب والشعر لم تحظ العلوم والفلسفة الا بحظ ضئيل من عناية امراء الامويين . ولكن ينبغى الاشارة الى أن بدايـــة الجدل فى الفلسفة الاسلامية ظهر فى هذه الفترة وبدا الكـــلام فى مسألة القضاء والقدر و ظهور الفرقة التى عرفت باســـم القدرية والتى ستكون نواة لفرقة المتكلمين والمعروفة باسم المعتزلـــة .

وحاول هشام بن عبد الملك أن يوقف تضخم هذه الفرقة وسار على نفس السياسة الوليد الثانى الذى راح ضحية معارضيـــة القدرية الذين ناصروا اعداءه من اليمنية واقاموا الخليفـــة يزيد الثالث ولكن هذا الاختيار لم يرض جميع الناس فســـرت الاضطرابات فى كل أرجاء الشام ،كما ظهر للخليفة الجديدمنافسون فى العراق ،وتوفى يزيد بعد فترة قصيرة لم تزد على خمســـة

أشهر ،وعجز أخوه ابراهيم عن تقويم الموقف ،وتمكن منافس الخليفة فى العراق ،مروان بن محمد ،من التقدم نحو الشام واستطاع ان يكسب القيسية الى جانبه،و فى صفر عام ١٢٧هـ /٧٤٥م استطاع أن يستولى على دمشق .

مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين :

وهكذا تمكن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية القرشى الاموى من انتزاع الخلافة من ابناء عمومته وكان يلقب بالحمار لصبره فى الحروب .

والظاهر أن مروان كان يحن الى العراق وعلى ذلك فهو ينقل مقر الحكم الى حران (١)فى أرض الجزيرة و كان هذا يعنى الانفصال النهائى بين الامويين و بين أهل الشام .

و نشبت الثورات فى كل مكان واضطر مروان أن يهدم تحصينات بعض المدن الكبرى فى بلاد الشام وذلك لكى يخضعها وسرت الثورات ليس فى الشام فقط بل فى العراق والحجاز ايضا.

واستطاع مروان أن يقضى على الثورة التى قام بها سليمان بن هشام بن عبد الملك الذى فر الى حمص ثم الى الكوفة

---

(١) عن انتقال مروان الى حران انظر ، ابن الاثير ، الكامل ،ج ٤ ص ٢٨٦.

واضطر مروان الى هدم اسوار حمص[1] و اتبع ذلك بالقضاء على تحصينات دمشق و بيت المقدس و غيرها من مدن الشام .

و كان على مروان بعد ذلك ان يقضى على القلاقل والاضطرابات التى أثارها الخوارج فى العراق و فى بلاد العرب اذ يفهم من الروايات أن الضحاك ابن قيس الشيباني الخارجي اغتنم فرصة انقسام الامويين بعد مقتل الوليد بن يزيد ،ثم بعد ان عزل مروان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل العراق وولى مكانه النضر بن سعيد الحرشي ،فلم يسلم ابن عمر اليه العمل واعتصم بالحيرة ،عندئذ انتهز الضحاك ذلك و أقبل الى الكوفة فى سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م . وزالت جموعه وألحقوا الهزيمة بالامويين ثم تقدم الضحاك بعد ذلك الى الموصل واستولى عليها وكورها و منها اتجه الى نصيبين و كان معه " مايزيد على مائة الف " وهزم جيشا أمويا بقيادة عبد الله بن مروان بن محمد . ثم ان مروان سار اليه وتمكن من الحاق الهزيمة والقضاء عليه عند ماردين و ذلك فى سنة ١٢٨ هـ[2]

---

(١) انظر ، ابن الاثير ،ج٤ ص ٢٨٦ (ذكر انتقاض أهل حمص)(ذكر خلاف أهل الغوطة) ص ٢٨١ (ذكر خلاف أهل فلسطين) ص ٢٨٧ وما بعدها (ذكر خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد) .

(٢) انظر ، ابن الاثير ، الكامل ،ج ٤ احداث سنة ١٢٨ ،ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، (ذكر قتل الضحاك الخارجي) .

وقام أبوحمزة الخارجي (المختار بن عوف الازدى السلمى البصرى) فى جزيرة العرب ، و كان كما تقول الرواية من الخوارج الاباضية و كان يفد فى كل سنة الى مكة يدعو الناس الى خلاف مروان بن محمد ، ثم تحالف مع عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق فى اواخر سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥م و خرج معه الى حضر موت حيث بايعه على الخلافة ،وفى السنة التالية (١٢٩ هـ / ٧٤٦م) خرج ابو حمزة الى مكة والمدينة و تمكن من الحاق الهزيمة بالحامية الاموية و دخل المدينة واقام بها ثلاثة أشهر ثم سار نحو الشام ، ولكن مروان انتخب من عسكره جماعة جدوا المسير اليها وتمكنوا من الحاق الهزيمة به و القضاء عليه فى وادى القرى ، ثم سار عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدى ،قائد مروان الى المدينة ومنها الى اليمن حيث قاتل عبد الله بن يحيى طالب الحق و قتله و حمل راسه الى مروان بالشام(١).

وقبل هذا الوقت ثار الشيعة فى الكوفة (فى سنة ١٢٧هـ) وأقاموا عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر امامالهم ولكنوالى العراق الاموى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز تمكن من هزيمتهم ، وسار المطالب بالخلافة الى فارس و تغلب عليها فى سنة ١٢٩ هـ/٧٤٦م و كثرت جموعه و أقام بإصفهان ثم اصطخر و مد نفوذه على ولايات خوزستان ،وفارس و كرمان و هاجم و الى

(١) انظر ، ابن الاثير ،الكامل ،جـ٤ ص٢٩٧،٣٠٧ ص ٣٠٨ ،ص٣١٤ — ٣١٦

عراق عبد الله بن معاوية لايرائه الخوارج الذين هزمهـــم
مما اضطر ابن معاوية الى الهرب الى خراسان حيث قتله ابـــى
مسلم لانه كان يشكل خطرا عليــه (١)

و هكذا ظهر مروان بن محمد بمظهر الرجل النشيـــط
الكفوء المدبر القادر على تقويم الموقف واقرار الامـــور
في تهدئتها فى الدولة . ولكن الخطر على الدولة كان يكمـــن
في الشرق فى بلاد خراســـان .

====================

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ – ٢٨٥ ، ص ٣٠٦ – ٣٠٧

الفصل الرابع عشر

الدعوة الشيعية العباسية

ا-الدعوة الشيعية العباسية

أحوال خراسان فى آواخر العصر الاموى :

بدات الولايات الايرانية ،فى الخروج على سلطان الخلافة فى بلاد الشام منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ،و ذلك عندما ظهرت مشكلة الدخول فى الاسلام و دفع الجزية . فكما يفهم من الروايات كان من سياسة عمر بن عبد العزيز رفع الجزية عمن اسلم ،نجح عماله فى نشر الاسلام . ولكن نقص الموارد المالية دفع الدولة الى اتخاذ اجراءات شديدة كانت ترمى الى اثبات الدخول فى الاسلام ثبوتا قاطعا ،كما انها لم تعف الكثيرين من الداخلين فى الاسلام من دفع الجزية و بصفة خاصة على عهد والى خراسان لهشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله السلمى (١٠٩ – ١١١ هـ / ٧٢٧ – ٧٢٨ م) (١)

(١) انظر عن ولاية اشرس ، ابن الاثير ، الكامل ،ج ٤ ص ٢٠٠ ،ص ٢٠٢ – ٢٠٣ ،ص ٢٠٦ ،ص ٢١ – ٢١٩ ،حيث يقول النص (احداث سنة ١١٠ هـ) ،فى هذه السنة أرسل اشرس الى اهل سمر قند و ماوراء النهر يدعوهم الى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية وأرسل فى ذلك ابا الصيداء صالح بن طريف مولى نبى ضبة و الربيع بن عمران التميمى ،فقال ابو الصيداء انما أخرج شريطة أن من أسلم لاتوخذ منه الجزية وانما خراج خراسان على رؤوس الرجال ،فقال أشرس : نعم .. فشخص الى سمر قند و عليها الحسن بن ابى العمرطة الكندى على حربها وخراجها فدعا ابو الصيداء اهل سمر قند ومن حولها الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس فكتب ......

فى ظل هذه الظروف كانت الفرصة مواتية لقيام حركة مناهضة للامويين رغم أن رواية الطبرى تذكر أن الدعوة الشيعية العباسية بدات فى خراسان منذ ايام خلافه عمر بن عبد العزيز فى سنة مائة للهجرة (١)

ولكن هناك رواية اخرى للطبرى تعرف منها ان اول من " لبس السواد فى خراسان - ودعا الى كتاب الله وسنه ونبيه والبيعة للرضا " فى سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م هو الحارث بن سريح . و قبل الحرث عرض والى خراسان عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى أن يكتبا الى هشام يسألانه العمل بكتاب الله وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم فان أبى اجتمعا عليه " . وكان رد الخليفة هو خلع عاصم الهلالى و تقليد ولاية خراسان الى أسد بن عبد الله القسرى و ضمها الى العراق لـ" تكون موادها ومعونتها من قريب لتباعد أمير المؤمنين و تباطىء غياثة " .

== الى أشرس ان الخراج قد انكسر فكتب اشرس الى ابن العمرطه أن فى الخراج قوة للمسلمين وقد بلغنى أن أهل الصغد وأشباهم لم يسلموا رغبة انما أسلموا تعوذا من الجزية فانظر من اختتن و أقام الفرائض و حسن اسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه ثم عزل اشرس ابن العمر طه عن الخراج وصيره الى هانى " بن هانى " فمنعهم أبو الصيداء من أخذ الجزية ممن أسلم فكتب هانى الى أشرس : ان الناس قد اسلموا و بنوا المساجد فكتب اشرس اليه والى العمال خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه فأعادوا الجزية على من أسلم " .

(١) انظر ، الطبرى ، تاريخ الرسل ، والملوك طبعة دار المعارف ==

و ظل أسد فى الولاية من سنة ١١٧ هـ حتى سنة ١٢١ هـ (٧٣٥-٧٣٨م) (١) و بعودة أسد من جديد عادت سياسة الشدة و القمع لقبض أسد على جماعة من دعاة بنى العباس فقتل بعضهم ومثل ببعضهم ،وحبس بعضهم . وواصل القتال ضد الحارث بن سريج .وبعد موت أسد ولى خراسان نصر بن سيار الكنانى الذى كان يعرف " بشيخ مضر فى خراسان " وعلى أيامه " عمرت خراسان عمارة لم تعمر قبلها و أحسن الولاية و الجباية "(٢)فقد عمل نصر على رفع الجزية التى كان يدفعها المسلمون الى غير المسلمين(٣)

ولكن نصر لم ينجح فى ايقاف العداء التقليدى بين العصبية المضرية و العصبية اليمنية ولما كان نصر من العصبية المضرية على عكس أسد ـ الوالى السابق ـ فانه حابى المضرية فى بداية امرته و قلدهم الاعمال ،فالنص يقول : فلم يستعمل أربع سنين الامضرياء "(٤)

= مصر (مجموعة نخائر العرب) ج٧ أحداث سنة ١٠٠ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ،ج٤ ص ١٥٩ (ذكر ابتداء الدعوة العباسية)

(١) ابن الاثير ،ج ٤ ص ٢٣٨.

(٢) ابن الاثير ،ج ٤ ص ٢٣٩.

(٣) ابن الاثير ،ج ٤ ص ٢٤٣.

(٤) ابن الاثير ،ج ٤ ص ٢٣٩.

ولكنه عاد و حاول نهج سياسة متزنة حتى يتألف اليمنية ولكن اليمانية ثاروا بزعامة الكرمانى (جديع بن على الازدى) الذى " اظهر الخلاف لنصر بن سيار " فى سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م) و كان الكرمانى كما تقول الرواية قد احسن الى نصر فى ولاية أسد بن عبد الله ولكن بعد أن تقلد نصر امرة خراسان " عزل الكرمانى عن الرياسة وولاها غيره "(١) ولذلك فقد حدثت جفوة بينهما • وقد افتنم الكرمانى الموقف الذى حدث بين نصر ابن سيار و بين خلافة دمشق بعد مقتل الوليد الثانى و نستشف من الرواية أن الكرمانى كان لايتورع عن سلوك أى السبل من أجل تحقيق اطماعه فالنص يقول " لو لم يقدر على السلطان و الملك الا بالنصرانية و اليهودية لتنصر و تهود "(٢) و قد قام نصر باعتقال الكرمانى و حبسه ولكن الكرمانى تمكن من الهرب من الحبس بمساعدة انصاره و التف حوله الازد •

أما عن العراق فقد عزل الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك واليها منصور ابن جمهور ــ و كان نصر بن سيار قد امتنع من تسليم عمله اليه من قبل ــ واستعمل عليهم عبد الله بن عمر بن عبد العزيز • وقد اقر ابن عمر نصرا على خراسان فغضب الكرمانى لابن جمهور ــ وكان نصر قد عرض به فى خطبته

---

(١) ابن الاثير ج ٤ ص ٢٧٥•

(٢) ابن الاثير ،ج٤ ص ٢٧٥•

و آخر ولاية لنصر (1)

وفى حاضرة الخلافة مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك (يزيد الثالث) و حدثت فتن وقلاقل فى البلاد الى أن خلص الامر لمروان بن محمد (سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤م) ،فاستعمل يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على العراق فى سنة (١٢٨ هـ / ٧٤٥م)(٢) فاقر نصر بن سيار على خراسان و بذلك أضفى عليه صفة الشرعية و أعلن نصر بيعته للخليفة مروان(٣) و لكن الحارث بن سريج الذى كان قد سبق أن حصل له نصر على الامان من الخليفة يزيد بن الوليد ،عاد من بلاد ماوراء النهر ـ و كان متحالفا مع الترك ـ الى خراسان حيث استقر مع اتباعه فى منطقة مرو رفض مبايعة مروان و خرج على نصر الذى أرسل اليه " يدعوه الى الجماعة و ينهاه عن الفرقة و أطماع العدو "(٤) و طلب الحارث من نصر أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه و أن يعزل

---

(١) ابن الاثير ،جـ ٤ ص ٢٧٦ .

(٢) انظر ،خليفة بن خياط ،تاريخ خليفة بن خياط ،تحقيق سهيل زكار ،منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى دمشق ١٩٦٨ ،ح ٢ ص ٥٧٨ .

(٣) انظر ،تاريخ خليفة بن خياط ،ح ٢ ص ٦١٧ ،ابن الاثير ح ٤ صـ ٢٩٢ .

(٤) ابن الاثير ،ح ٤ ص ٢٩٢ .

عماله و يقلد عمالا نزحاء[1] و تمكن داعيته جهم بن صفوان (راس الجهمية) من لم الجموع لـه .

و فى نفس الوقت كان الكرمانى يدعو الى عزل نصر وتعيين والى آخر عوضه فالتقت مصالحهما واتفقا أى الحارث والكرمانى على حرب نصر . وقد حاقت الهزيمة بالحارث الا أن نصرا اضطر بعد تقدم انصار الكرمانى الى الانسحاب الى نيسابور و دخل الكرمانى الحارث مدينة مرو . ولكن وقع الخلاف بينهما و قتل الكرمانى الحارث فى سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م " وصفت مرو لليمنيين"[2] الا أن الكرمانى لم يهنأ طويلا بانتصاره ،فقد بدا نصر يجمع قواته لاعادة استخلاص مرو من منافسه الكرمانى و القضاء عليه .

ولقد كانت كل هذه الظروف فى صالح الدعوة الشيعية العباسية .

---

(١) ابن الاثير ،ج ٤ ص ٢٩٢ .

(٢) انظر ، ابن الاثير ،ج ٤ ص ٢٩٢ — ٢٩٤.

الدعوة العباسية :

المعروف أن الدعوة العباسية شيعية الأصل ، وأن الدعوة الشيعية التى قامت باسم آل البيت والتى نادت بأن العلويين هم الورثة الطبيعيون لخلافة النبى وجدت فى خراسان أرضا لبذر بذورها (١)

والحقيقة أن عرب الفتوح الأولى الذين توغلوا فى خراسان ، التى تمثل كل الهضبة الايرانية حتى بلاد ما وراء النهر كانوا منعزلين فى هذا المشرق البعيد ، مما جعلهم يتميزون عن عرب الأمصار الأخرى بصفات خاصة . ولم يكن المتزوجون منهم قد عبروا الجبال التى تحد ايران ، بل كان غير المتزوجين منهم ، هم الذين وصلوا الى هناك فى جماعات ، وتزوجوا من نساء أهل البلاد ويقدر فلهوزن أن الحد الأقصى لعدد هؤلاء كان لايتجاوز العاشتى ألف رجل ابان الثورة العباسية .

وكان الاندماج تاما بين سكان خراسان حتى يصعب التمييز فى كتب التاريخ ، الا بصعوبة ، بين العرب الذين انصبغوا بالصبغة الايرانية وبين اهل البلاد الذين دخلوا فى الاسلام والذين عرفوا بالموالى وكانوا يحتفظون بذكريات حضارتهم القديمة ، وتراث الأسرة السابقة . وكان هؤلاء الموالى يشعرون بالمساواة مع العرب ، وسنرى أنهم عملوا فى القرن التالى على

(١) أ.د. سعد زغلول ، تاريخ الدولة العربية ، طبع بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ١٦ .

أيام العباسيين على اثبات تفوقهم الفكرى فى كل العلـــــوم التي عرفها العرب .

وكان الخراسانية ، منذ العصر الأموى ،يحاربون فى صفوف الجيش الاسلامى للدفاع عن البلاد ضد الترك ، وكان جميع أهـــل الأقليم يعيشون فى وئام : من العرب الفاتحين الى المـوالـــى الذين دخلوا فى الاسلام بل وأهل البلاد الذين بقوا على ديانتهم المزدكية ،وعلى أيام زياد بن أبيه بدأ تهجير أعداد كبيـــرة من شيعة العلويين من مدينتى العراق الكبيرتين : الكوفة والبصرة الى منطقة بلغ فى أقصى خراسان ،على حدود ما وراء النهـــر واستمرت سياسة نفى العناصر العلوية الى المشرق على أيـــام الحجاج بن يوسف . وفى نفس هذا الوقت أوقفت هجرة أهل الشـــام الى المشرق حيث لم يكونوا يشعرون بالأمن هناك . ولاشـــك أن العلويين وشيعتهم وجدوا فى الأقاليم الايرانية أرضا صالحـــة لنشر أفكارهم عن الأمام المنتظر . وهو المهدى ، وذلك أن الموالى من الفرس كانوا لايزالون يشعرون بالحاجة الى حاكم مطلق يمتلـك من الصفات ما هو فوق مستوى البشر بحيث يكون له التحكم فـــى توزيع الارزاق ، فهو الذى ينشر السعادة بين الناس أو التعاسة، وعن طريقه يكون انتشار الخصب فى الأرض أو القحط .

وكانت العلاقات الوثيقة بين خراسان من جهة وبين البصرة والكوفة ، وهما مركز الاضطراب العلوى من جهة أخرى سببا فـــى

أن اعتنق كل أهل ايران الآراء العادية للدولة العربية التى كان الأمويون يحاولون تنظيمها واقرار تراتيبها، والتى رغم تحولها الى ملكية وراثية فانها ظلت محافظة على طابعها العربى أو البدوى .

كل هذا يفسر النجاح الذى صادفته الدعاية العلوية منذ بدء تنظيمها فى العراق ، وارسال دعاتها الى خراسان، ومنذ مطلع القرن الثانى الهجرى كان دعاة الشيعة يظهرون فى خراسان ما بين الحين والحين ، وبشكل منتظم حسب أوامر الكوفة ، دون أن يعرف لحساب من يعملون (١).

(١) انظر ، أ. د . سعد زغلول ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

عهد أبي هاشم الى محمد بن علي :

تكاد تجمع المصادر التاريخية على أن مطالبه العباسيين بالخلافة وادعاءهم لهاقد انتقل اليهم من أبى هاشم عبد اللـــــه بن محمد بن الحنفية (أحد أبناء على رضى الله عنه)[1]. فـ رواية صاحب " اخبار الدولة العباسية " تقول : " وكان تشيـع العباسية أصله من قبل محمد بن الحنفية والى ذلك دعـــــــا

(١) لقد قالت فرقة الكيسانية من الشيعة بامامة محمد بن الحنفية ، وزعمت أنه لم يبق بعد الحسن والحسين أحـد أقرب الى أمير المؤمنين على عليه السلام من محمد بـن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة ، فهـــو أولى الناس بالامامة ، كما كان الحسين أولى بها بعـد الحسن من ولد الحسن ، فمحمد هو الامام بعد الحسيـــن، وقالوا أن محمد بن الحنفية هو الامام المهدى ، لمـــا مات بالمدينة فى المحرم سنة ٨١ هـ قالوا انه لم يمـت وأنه مقيم بجبال رضوى - بين مكة والمدينـة - وأنه الأمام المنتظر الذى بشر به النبى صلى الله عليـــــه وسلم وآله الذى سيملأ الارض عدلا وقسطا . هذا ولـــو أن هناك فرقة أخرى قالت أن محمد بن الحنفية مات وإن الامام بعده ابنه عبد الله وكان يكنى أبا هاشم .
انظر: النوبختى، فرق الشيعة طبع المطبعة الحيدرية ، النجف ، سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، ص ٢٣ ، ص ٢٦ - ٣٠ .

أبو مسلم ... "(1) وتذكر أيضا أن محمدا بن على أخذ العلم على يدى أبى هاشم وكان محمد يبجله ويجله فكان اذا قام أبو هاشم يركب أخذ له الركاب " فلما مرض أبى هاشم مرضه الذى مات فيه وكان بأرض الشراة من بلاد الشام وذلك عند قفوله من لقاء سليمان بدمشق عدل الى محمد بن على بن عبد الله بن عباس وكان بالحميمة ، وعهد له بحقوقه فى سنة ٩٨هـ / ٧١٧ م (٢) وألقى اليه بأسراره وقال له : " أوصيك بتقوى الله فانها خير ما تواصى بها العباد، ومن بعد ذلك فان هذا الأمر الذى تطلبه وتسعى فيه وطلبه آخرون وسعوا فيه فيك وفى ولدك" (٣).

هذا ما تقوله الرواية العباسية ،أما الشيعة فانهم قالوا : ان أبا هاشم أوصى الى عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب (٤). وهو الذى نادى به الشيعة فى الكوفة. اماما على عهد مروان بن محمد ، وبعد انهزامه أمام المروانية، اتجه الى فارس واصفهان واصطخر ، وانتهى الأمر بمقتله على يدى الداعية العباسى أبى مسلم الخراسانى ، كما سبق القول.

(١) انظر ،مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ،وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدورى، الدكتور عبد الجبار المطلبى، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧١ ، ص ١٦٥ (أخبار الامامة) حيث يقول النص: " قالت الكيسانية بامامة محمد بن على ، وذكروا أن أباه أوص اليه . والكيسانية منسوبون الى المختار بن أبى عبيد وكان يلقب كيسان ، وهو أول من قال بامامة محمد بن على وبها كان يقول على بن عبد الله وولده الى أيام المهدى".

(٢) مؤلف مجهول ،أخبار الدولة العباسية ،ص ١٨٥

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٨٦.

(٤) انظر ، النوبختى ،فرق الشيعة ، ص ٣٢ .

تنظيم الدعوة :

يعتبر محمد بن على العباس أول منظم للدعوة العباسية السرية . أما ابنه ابراهيم الامام فكان المفجر لهذه الدعوة حيث نقلها من دعوة سرية الى علنية ولكنه لم يجن ثمار عمله حيث قتل قبل أن يحقق العباسيون الانتصار فكان أبو العباس عبد الله بن محمد العباس اول خليفة لبنى العباس .

ويمكن تقسيم الأدوار التى مرت بها الدعوة الى :

١ - الدور السرى التحضيرى ويبدأ من سنة ٩٧ هـ / أو سنة ٩٨ أو سنة ١٠٠ هـ على اختلاف الروايات التاريخية وكان مقر الدعوة الحميمة ونشاطها فى الكوفة ثم مرو . ولم تكن تنظيماتها قد تبلورت فى بادىء الأمر وجابهت انتكاسات قوية هزتها مثل حركة خداش والقبض على بعض الدعاة العباسيين .

٢ - الدور العلنى الثورى ويبدأ بارسال الامام ابراهيم أبا مسلم الخراسانى الى مرو سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م حيث أعلن الثورة ضد الأمويين سنة ١٢٩ هـ . بعد أن اختمرت الحركة السرية العباسية . وينتهى هذا الدور باعلان أبا العباس عبد الله نفسه خليفة فى مسجد الكوفة سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م . وعندئذ أعلنت الحركة السرية عن صبغتها العباسية (١)

(١) انظر د.فاروق عمر "طبيعة الدعوة العباسية ٩٨هـ/٧١٦م-١٣٢هـ/٧٤٩م دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها طبع دار الارشاد،بيروت ، طبعة أولى ، سنة ١٩٧٠، ١٥٣.

ويفهم من النصوص انه عندما آلت مقاليد قيادة الحركة الهاشمية (نسبة الى أبى هاشم) الى محمد بن على العباسى - الامام الجديد - بدأت مرحلة أكثر تنظيما من سابقتها فتعرف على حامة أبى هاشم [١] عرفه عليهم سلمة بن بجير، وطلب منه أن يثبت أسماءهم، ليعرفهم ويستظهر بهم على أمره [٢]، فكتب محمد بن على العباس فيهم سجلا، ومن هؤلاء كما تنص الرواية سالم بن بجير - حفص بن سليمان وهو أبو سلمة الخلال - حفص الأسير - ميسرة الرجال - موسى بن سريح السراج، زياد بن درهم الهمدانى، معن بن يزيد الهمدانى، المنذر بن سعيد الهمدانى [٣]

وكما تذكر الرواية فان الأتباع الأوائل كانوا ينتمون الى قبيلة بنى مسلية ومواليها، وكذلك من قبيلة همدان (أى من اليمينية) . وقال لهم الامام : "امسكوا عن الجد فى أمركم حتى يهلك أشج بنى أمية (عمر بن عبد العزيز) .. ولاتكثروا من أهل الكوفة ، ولاتقبلوا منهم الا أهل النيات الصحيحة " (٤) .

(١) انظر ، أخبار الدولة العباسية ، ص ١٨٨ - ١٩٠.
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٠ - ١٩١ .
(٣) أخبار الدولة العباسية ، ص ١٩١ - ١٩٢
(٤) نفس المصدر ص ١٩٣ - ١٩٤ .

وكان لايعرف محمد بن على بنسبه واسمه الاشيعة الكوفة وهم حوالى ثلاثين رجلا ،فاذا سئلوا عن اسمه قالوا : أمرنا بكتمان اسمه حتى يظهر "[١] وكانت دعوتهم الى الرضا من آل محمد [٢].

ثم قرر الامام عملا بنصيحة كبار ثقاته نقل مركز النشاط للدعوة الى خراسان مع الاحتفاظ بالكوفة كنقطة ارتباط بين مرو (خراسان) والحميمة مقرا الامام [٣].

وأرسل الامام أبا عكرمة زياد بن درهم السراج الى خراسان وطلب منه السير على نهج بكير بن ماهان فى تألف الاتباع ،وأوصاه بقوله : " وان دعوت أحدا من العامة فلتكن دعوتك الى الرضا من آل محمد ، فاذا وثقت بالرجل فى عقله وبصيرته فاشرح له أمركم ،وقل بحجتك التى لايعقلها الا أولو الألباب ، وليكن اسمى مستورا من كل أحد الا عن رجل عدلك فى نفسك فى ثقتك به ، وقد وكدت عليه وتوثقت منه وأخذت بيعته ، وتقدم بمثل ذلك الى من توجه من رسلك ، فان سئلتم عن اسمى فقولوا : نحن فى تقية ،وقد أمرنا بكتمان اسم امامنا . واذا قدمت مرو فأحلل فى أهل اليمن

---

(١) أخبار الدولة العباسية ،ص ١٩٤.

(٢) نفس المصدر ص ١٩٤ .

(٣) انظر د. فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ،ص ١٩٧.

وتألف ربيعة ، وتوق مضر ،وخذ بنصيبك من ثقاتهم ، واستكثر من الأعاجم ، فانهم أهل دعوتنا وبهم يؤيدها الله" (١).

هذا ولقد كان اختيار محمد بن على العباس لخراسان كمقر للدعوة موفقا ، لأنها تنفرد بموقف خاص ، دون غيرها من أمصار الدولة العربية الاسلامية ، يتضح ذلك من وصيته لاتباعه من رجال الدعوة حين تباينت الآراء حول المكان المناسب للدعوة .

" أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كاعلاج ومسلمون فى أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فليس يعرفون الا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان ، وعداوة لنا راسخة .. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبوبكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سالمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم تشغلها ديانة ، ولم يقدح فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ، ولافيهم كتجارب الاتباع للسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر . وبعد فكأنى أتفاءل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح هذا الخلق " (٢)

---

(١) أخبار الدولة العباسية ، ص٢٠٤ .

(٢) انظر ، اخبار الدولة العباسية ،ص٢٠٦ – ٢٠٧ .

ونظم بكير بن ماهان ـ الذى قال عنه الامام : اسمعوا منه وأطيعوا وافهموا ... هو لساني اليكم وأميني فيكم فلا تخالفوه ولاتقضوا الأمور الا برأيه ، وقد آثرتكم به على نفسي لثقتي به في النصيحة لكم واجتهاده فى اظهار نور الله فيكم(١) ـ أتباعه السبعين ، فقسمهم الى اثنا عشر نقيبا يرأسهم سليمان بن كثير الخزاعى وذلك سنة ١١٨ هـ . وأكد على وجوب مناصحته أمامهم فى السر والعلانية ،وألا يطلعوا على أمرهم أحدا خافوا ناحيته ولم يثقوا به " (٢)

والنقباء الاثنا عشر هم :

من خزاعة :

١ ـ أبو محمد سليمان بن كثير الخزاعى ثم الأسلمى .

٢ ـ أبو نصر مالك بن الهيثم .

٣ ـ أبو منصور طلحة بن زريق مولى طلحة الطلحات.

٤ ـ زياد بن صالح (مولى خزاعة) .

من تميم :

٥ ـ موسى بن كعب (أبو عيينة) .

٦ ـ عيسى بن كعب .

---

(١) اخبار الدولة العباسية ص٢١٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص٢٢٣.

٧ — لاهز بن قريظة .

٨ — أبو سهل بن مجاشـــع .

من طيء :

٩ — أبو عبد الحميد قحطية بن شبيب الطائى .

ومن شيبان :

١٠ — أبو داود خالد بن ابراهيم الذهلى .

ومن بجيلة .

١١ — أسلم بن ســـلام .

ومن مولى بنى أسد :

١٢ — أبو على شبل بن طهمان .

وفكرة النقباء الاثنى عشر — ونلاحظ أن اكثريتهم كانوا عربا — والدعاة السبعين فيها اقتداء بنقباء بنى اسرائيـــل وبنقباء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيعة العقبة فالنص يقول : " بسم الله الرحمن الرحيم ، ان السنة فى الأوليـــن والمثل فى الآخرين ، وان الله يقول " واختار موسى قومـــه سبعين رجلا لميقاتنا" ثم قال فى آية أخرى :" وبعثنا منهـــم اثنى عشر نقيبا"، وان رسول الله صلى الله عليه وســـلم وافاه ليلة العقبة سبعون رجلا من الأوس والخزرج فبايعـــوه

فجعل منهم اثنى عشر نقيبا (١) .

وهناك (نظراء النقباء) (٢) ، وقد روى أن عددهم أحد وعشرون (٣). وهناك الدعاة ودعاة الدعاة (٤).

ويفهم من الرواية أن أهل الدعوة وشيعة الامام كانوا يرسلون اليه الأموال والحلى حتى يتقوى بها فى "احياء الحق وامالة الباطل " (٥).

موت محمد بن على وولاية ابنه ابراهيم الامامة :

اعلان الثورة :

مات محمد بن على العباسى فى سنة ١٢٥ هـ بالشراة من أرض الشام (٦)، وكان قد أوصى لابنه ابراهيم بالامامة من بعده اذ قال لخاصته : " فلكم فيه خلف صدق منى " . كما أوصى بكير بن ماهان بأن يعهد برياسة الدعوة فى الكوفة الى أبى سلمه حفص بن سليمان الخلال .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ،ص ٢١٤.
(٢) نفس المصدر ، ص ٢١٩ – ٢٢٠.
(٣) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٢٠.
(٤) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٢١ – ٢٢٣ .
(٥) انظر ، اخبار الدولة العباسية ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤، ص ٢٣٧.
(٦) أخبار الدولة العباسية ،ص ٢٢٩ .

وتنسب الرواية الى ابراهيم انه قام باتخاذ السواد شعارا للعباسيين وذلك لأن راية الرسول صلى الله عليه وسلم كانت سوداء ، وكانت راية علي بن أبي طالب سوداء، وهو اختيار يتفق مع ما تورده الملاحم والنبوءات على أن لون الرايات المقبلة من المشرق للقضاء على ظلم الأمويين وانهاء دولتهم (١).

ومن هنا سميت الدولة العباسية بدولة المسودة .

وأمر ابراهيم بكير بن ماهان بالمضي الى خراسان وأن يأمر الشيعة بتسويد الثياب والرايات ، وكتب معه كتابا الى الشيعة . نعى اليهم فيه أباه ووعظهم "(٢)، فبايع الجميع الامام الجديد (٣). ثم قفل بكير وبرفقته بعض الشيعة العباسية الذين التقوا بالامام ابراهيم وتعرفوا عليه وطلبوا منه التعجيل بالثورة وقالوا له :

" حتى متى تأكل الطير لحم أهل بيتك وتسفك دماؤهم: تركنا زيدا مصلوبا بالكناسة وابنه مطردا في البلاد، وقد شملكم الخوف وطالت عليكم مدة أهل بيت السوء" (٤).

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٩.
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ، ٢٤٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

ظهور أبى مسلم فى خراسان :

قرر الامام ابراهيم فى سنة ١٢٨ هـ (١) اختيار مولاه أبا مسلم الخراسانى وذلك بعد أن عرض الأمر على سليمان بن كثير وعلى قحطبة فرفضا (٢) ليمثله فى خراسان . وكتب معه الى شيعته كتابا قال فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم صدق وعد الله لأوليائه ، وحقت كلمة الله على أعدائه ، ولاتبديل لكلمات الله ، لن يخلف الله الميعاد . أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ... أما بعد فقد وجهت اليكم مجد الدهر عبد الرحمن بن مسلم مولاى ،فألقوا اليه أزمة أموركم ،وحملوه أعباء الوزر لها والصدر فى محاربة عدوكم ، وعاهدوا الله على الطاعة وكونوا بحبله معتصمين . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات وليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ،يعبدوننى لايشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " (٣).

وكان تعرف أبى مسلم للمرة الأولى على الدعوة العباسية حينما التقى ببعض النقباء العباسيين الذين زاروا بعض

(١) اخبار الدولة العباسية ،ص ٢٧٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٩ — ٢٧٠ .

العجليين فى سجن الكوفة وهم فى طريقهم الى اداء فريضة الحج وكان أبو مسلم يخدم هؤلاء العجليين (من بنى معقل) فى السجن ، فتوسموا فيه نجابة وعقل وأدب فضموه الى دعوتهم واصطحبوه معهم الى ابراهيم الامام بعد أن استأذن مولاه عيسى ابن ابراهيم السراج (١) وأعجب الامام أخلاقه ومنطقة ورأيه (٢) وغير اسمه الى عبد الرحمن وكناه بأبى مسلم. وظل فى خدمته يستعمله فى حمل رسائله الى الكوفة وخراسان حتى سنة ١٢٨ هـ . حين اشخصه الى خراسان .

وكان ابو مسلم على معرفة بأحوال خراسان - التى كانت الفتنة قد طالت فيها بين نصر بن سيار وعلى بن الكرمانى ومن كان بها من العرب حتى أضجر ذلك كثيرا من أصحابها وجعلت نفوسهم تطلع الى غير ما هم فيه والى أمر يجمعهم فتحركت الدعوة يدعو اليمانى من الشيعة اليمانى والربعى الربعى ، والمضرى المضرى حتى كثر من استجار . وكفوا بذلك من القتال فى العصبية (٣) - حيث اختلف اليها قبل ذلك بأمر من الامام

(١) المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٦ .

(٣) انظر، اخبار الدولة العباسية ،ص ٢٤٨ .

ابراهيم ، وكانت احداها مع أبى سلمة الخلال الذى التقـى بالشيعة وقال لهم :" قد حفر أمركم فأعدوا واستعدوا...."(١).

كما تقول رواية صاحب أخبار الدولة العباسية على لسان أبى مسلم : " أمرنى الامام أن أنزل فى أهل اليمن وأتألف ربيعة، ولا أدع نصيبى من صالحى مضر وأحذر أكثرهم من أتباع بنى أمية وأجمع الى العجم واختصهم " (٢).

ووصية ابراهيم الامام لأبى مسلم تتلخص فى الاعتماد على قبائل العرب من اليمنية فى خراسان ، وكان هؤلاء يمثلون على أواخر أيام الأمويين حزب المعارضة لعرب الدولة ،وأن يتألف ربيعة ، ويحذر ويشك فى العرب من المضرية، وهم عصبية والى خراسان ، نصر بن سيار الا ما صلح منهم.

والحقيقة أن انقسام العرب على أنفسهم في خراسان كان السبب فى نجاح أبى مسلم ، فأثناء الصراع بين نصر بن سيار المضرى والكرمانى اليمنى ،انضم أبو مسلم الى الكرمانى وعندما حذر نصر زعيم اليمنية الكرمانى من خطورة الداعية العباسى وطلب اليه الاتفاق ووافق الكرامانى كان جزاءه أن

---

(١) نفس المصدر ، ص٢٦٧.

(٢) نفس المصدر ، ص٢٨٥.

قتله نصـــــر (١).

اعلان الثـورة :

لما فشا خبر أبى مسلم أقبلت الشيعة من كل فج، وقدم الدعاة بمن وافقهم من اخوانهم ، وتكاثر عددهم يوما بعد يوم (٢). وكان أبومسلم قد نزل فى منطقة مرو (لأنها أصلح مكان لاعلان الثورة) ومن هناك أخذ يرسل النقباء الى مختلف الأقاليم فى طخارستان ومرو الروذ والطالقان وخوارزم ،وحدد أبو مسلم شهر رمضان لاظهار الدعوة ولكنه ترك للنقباء حرية التصرف " . فمن أعجله العدو منهم دون الوقت ،بالأذى والمكروه فقد حل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم ويجردوا السيوف " ،وكذلك من شغله منهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت " (٣).

وترك أبو مسلم مكانه فى فنين ونزل فى قرية سفيذنج " وبث دعاية فى الناس وأظهر أمره " (٤)، فسارعت الأعاجم ،وكثير من أهل اليمن وربيعة الى الدعوة من بين متدين بذلك أو طالب بدخل (ثار) أو موتور يرجو أن يدرك بها ثأره ، وأتاه عدة من ذوى البصائر من مضر" (٥).

(١) انظر ،تاريخ خليفة بن خياط ، ح٢ ص ٥٩٠ (أحدث سنة ١٣٠هـ) ابن الاثير ،الكامل ،ح ٤ ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .
(٢) أخبار الدولة العباسية ،ص ٢٧٧ .
(٣) انظر ، ابن الاثير ،الكامل ،حـ ٤ ص ٣٠٠ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٣٠٠ .
(٥) اخبار الدولة العباسية ، ص ٢٨٥ .

وتقول الرواية أن أبا مسلم بعث الى نصر وفدا .. وكتب معهم الى نصر كتابا يدعوه فيه الى الطاعة والدخول فيما دخل فيه أهل الدعوة ، ويعلمه أن هذه الرايات السود التى أظهرها هى التى لم يزل يسمع بها ،ويحذره من أن يكون من هو عاها(١).

واستعمل نصر ضد شيعة العباسيين دعاية دينية قوية حيث قال : هذه المسودة وهى تدعو الى غير ملتنا ،وقد أظهروا غير سنتنا ،وليسوا من أهل قبلتنا ، يعبدون السنانير،ويعبدون الرؤوس ،علوج وأغنام وعبيد وسقاط العرب والموالى(٢).

وأجابه الناس وظاهروه على حرب ابى مسلم . وكتب نصر الى ابن هبيرة والى العراق يستمده ،فلما استبدت به الأمور كتب الى مروان الحماريشكو له ابن هبيرة ويخبره بعظم الأمر من قبل أبى مسلم ، وكتب اليه .

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب بيدوها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعرى ... أ أ يقاظ أمية أم نيام(٣).
فان يك قومنا أضحوا نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام

(١) انظر ، اخبار الدولة العباسية ،ص ٢٨٦.
(٢) اخبار الدولة العباسية ،ص ٢٩٠ .
(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٤ – ٣٠٥ .

فصرى عن رحالك ثم قولــى على الاسلام والعرب السلام (١)

وكتب يصف له أمر أبى مسلم ، وكثرة الدعوة ، وميـــل اليمانية وربيعة اليه ، ثم بعث للخليفة رسولا . وظل نصـــر ينتظر المدد أن يأتيه ، " وقد فسد عليه أهل خراسان الامـن كان معه من مضر خاصة " وكتب نصر الى ابن هبيرة يستمده فلـم يمده (٢)فكتب الى الخليفة مروان ثانية يستنجد به بقولـــه : " كتبت الى أمير المؤمنين ولم يبق منى شىء أستعين به علـــى عدو أمير المؤمنين لا فى رجالى ولا فى مالى ولا فى مكيدتـــى ، ولو كنت أمددتنى بألف فارس من أهل الشام لاكتفيت بهم ،ولقطعت دابر القوم الظالمين . انى حين كتبت الى أمر المؤمنين قـــد أخرجت من جميع سلطانى ، فأنا واقف على باب دارى ، وان لــم تأتنى مواد أمير المؤمنين ووكلنا الى ابن هبيرة طردت من باب دارى ، ثم لا رجوع اليها الى ملتقى الحشر.... (٣).

ثم ان نصرا كما يقول صاحب " أخبار الدولة العباسية " جمع وجوه أصحابه وأهل الرأى والمشورة منهم ولم يجتمعوا على شىء . وهنا اضطر نصرا الى الاستنجاد بالخليفة مروان ثانيـــة يستحثه على امداده ويستنفره بقوله : " أما بعد فانى ومـــن

(١) أخبار الدولة العباسية ،ص ٣١٠ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٣١٠ - ٣١١ .
(٣) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

معى من عشيرة أمير المؤمنين فى موقع من مرو على مجمع الطريق ومحجة الناس العظمى من مختلف القوافل والرسل والجنود من العراق ، فى حائط قد خندقت فيه على نفس ومن معى ، وعن يمينى وشمالى قرى بنى تميم وسائر أحياء مضر ليس بشوبهم غيرهم الا قرى على حدهم خاملة الذكر فيها خزاعة وفيها حل طاغيتهم أبو مسلم ، فنحن حين كتبت الى أمير المؤمنين فى أمر هائل يتكفأ بنا تكفؤ السفينة عند هبوب العواصف ونحن من أخواننا اليمنية واغنامهم ورعاعهم ،فيما نتوقع من سفههم ، ولما قد شملهم من وراثهم الخبيث ... وأنا معتصم بطاعة أمير المؤمنين وقد أملنا غياث أمير المؤمنين ومواده وورد خيله وفرسانه ليقمع الله بهم كل مصر على فشه وساع فى خلافة ،فلا يكونن مثلنا يا أمير المؤمنين قول الأول :

لا أعرفنك بعد اليوم تندبنى وفى حياتى مازودتنى زادى(١)

ثم قال نصر شعرا يحرض فيه العرب على الهاشمية :

أبلغ ربيعة فى مرو واخوتهم	ليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
ما بالكم تنصبون الحرب بينكم	كأن أهل الحجى عن رأيكم غيب
وتتركون عدوا قد أطاف بكم	فأين غاب الحجى والرأى والأدب
ذروا التفرق والأحقاد واجتمعوا	ليوصل الحبل والاصهار والنسب
أن تبعدوا لأزد منا لا نقربها	أو تدن نحمدهم يوما اذا اقتربوا

(١) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

أتخذ لون اذا احتجنا وننصرهم ليئس والله ماظنوا وماحسبوا[1]

وظهر أبو مسلم وأعلن اسم الامام من أعلى المنبر فى صلاة الجمعة وأسفل المنبر علق علمان أسود ان كان قد بعث بهما الامام من الكوفة أحدهما سمى الظل والآخر السحاب . وكان أبو مسلم وهو يعقد اللواء ين يتلو : اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . وتأول الظل والسحاب فقال : ان السحاب يطبق الارض وأن الأرض كما لاتخلو من الظل كذلك لاتخلو من خليفة عباس الى آخر الدهر[2].

(١) انظر ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ ، وقارن مؤلف مجهول العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، النسخة المصورة بالاوفست ، المثنى بغداد ، عن طبعة بريل ١٨٦٩ ص ١٨٦ حيث يقول النص : " وكانت الراية التى نفذها ابراهيم تدعى السحاب ونفذ لواء يدعى الظل وتأويل هذين الاسمين الظل والسحاب أن السحاب يطبق الأرض وكذلك دعوة بنى العباس وتأويل الظل أن الارض لاتخلو من الظل أبدا فكذلك لاتخلو الارض من خليفة هاشمى أبد الدهر " .

وكذلك لبس أبو مسلم السواد هو وأتباعه ، كما أنه غير في بعض الشعائر . لما حضر عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالشيعة وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير آذان وألا اقامة ، وكان بنو أمية يبدأون بالخطبة قبل الصلاة وبالآذان والاقامة .

وهكذا بدأ أبو مسلم نشاطه في منطقة قبائل خزاعة – كما تقول النصوص – ولكنه عندما اصطدم باتحاد قبائل العرب ضده خرج الى قرية الماخوان وخندق بها . ثم عاد الى نشاطه . ورغم أن أصبح من المشكوك في أمرهم من جانب العرب الا أن هؤلاء كانوا مشغولين بنزاعاتهم ، فلم يستمر اتحادهم طويلا بل ان عرب اليمنية تحالفوا معه عندما أرسل الى ابن الكرماني واستماله الى جانبه . أما من أنصار أبي مسلم فكانوا خاضعين له تماما ، كما كان جنده مطيعين لقوادهم أحسن الطاعة .

سقوط مرو :

وبفضل انقسام العرب على أنفسهم وتماسك حزب أبي مسلم نجح هذا الاخير في الاستيلاء على مدينة مرو عاصمة الاقليم الواقعة على نهر المرغاب ، وكان دخولها بفضل ممالاة اليمنية وعلى رأسهم ابن الكرماني (١) .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٠٩ .

ودخل أبو مسلم مرو من باب قنو شير فتلا هذه الآيـــة
دخل المدينة على حين غفلة من أهلها " الى آخر الآيـــة ،
م سار الى دار الامارة فنزلها ، وعلى بن الكرمانى معه ،ثم
،عوا الناس للبيعة فلم يتخلف عنها أحد من أهل مرو. ثم خرج
على بن الكرمانى وأبو مسلم الى المسجد فصعد على المنبـــر
رجعل أبو مسلم يبايع الناس ،وأقام أبو مسلم ثلاثة أيـــام
يأخذ البيعة على أهل مرو... وهرب نصر من المدينة يوم الجمعة
١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٠ هـ[١]، وبصحبته امرأته المرزبانـــة،
التى اضطر الى تركها فى الطريق ، واتجه الى مدينة سرخـــس ،
ومنها الى طوس ثم الى نيابور. . .

فتح طوس :

مقتل تميم بن نصر :

ومن مرو أخذ أبو مسلم يدير الحرب ضد نصر، وكان يدير
العمليات العسكرية فى جانب المسودة عدد من كبار القادة العرب
فأول من قام بمهاجمة القوات الأموية فى خراسان كان قحطبـــة
بن صالح وهومن قبيلة طيء العربية . فلقد بدأ قحطبة بهزيمة
تميم بن نصر بن سيار فى طوس ، وكان أتباع الضحاك الشيبانى
من الخوارج ، فقد لحقوا بابن نصر هناك . وانتهت المعركـــة

(١) انظر ، اخبار الدولة العباسية ص ٣١٦ – ٣١٨ .

بمقتل تميم بن نصر و استباحة عسكره (١).

ويذكر صاحب " أخبار الدولة العباسية " أن نصر بن سيار قال يرثى ابنه تميما لما بلغه نبأ مصرعه .

نفى عنى العزاء وكنت جلدا نكوب فجائع الحدث العظيم
وهم أورث الأحشاء وجدا لاجلاء الفوارس عن تميم
ومصرعه على قضب الأعادى يدبّ عن الجماعة والحريم
وفاء للخليفة وابتذالا لنفس من أخى ثقة كريم
فان يك دهرنا أودى مداه بفارسنا المقاتل فى الصميم
وان يشمت بنكبتنا عدو فما أنا بالضعيف ولاالسئوم (٢)

فتح نيابور :

أما عن تصرفاته هرب من نيسابور الى جرجان ، وتمكن بذلك أبو مسلم من دخول مدينة نيسابور فى شوال سنة ١٣٠ هـ / يونيو ٧٤٨ م. وبعد أن تحقق لأبى مسلم هذا النجاح الكبير تخلص من زعيمى اليمنية من العرب وهما : على بن الكرمانى وأخوه عثمان اذ قتلهما غدرا (٣).

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٣ – ٣٢٦
(٢) نفس المصدر ، ص ٣٢٦ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣١٢ .

فتح جرجان (وأخذ الــرى) :

وعندما استغاث نصر بن سيار بوالى العراق ، ابن هبيرة أرسل اليه هذا جيشا بجرجان ،ولكن قحطبة خرج اليه وهزمه فى ذى الحجة من نفس السنة ، بعد أن فتح جر جان وأوقع الهزيمة بأهلها الذين حاولوا الثورة حتى قيل أنه قتل منهم ما يزيد على ثلاثين ألفا. وبسبب تردد والى العراق ابن هبيرة ساء موقف نصر الذى مات وهو يفر أمام قحطبة بالقرب من الرى " وكان مريضا يحمل حملا " . وبعد وفاة نصر أخذت مدينة الرى ، وصادر أبو مسلم أملاكهم لأنهم كانوا سفيانية كما تقول النصوص .
وأحاط الحسن بن قحطبة ببقية جيوش أهل الشام فى نهاوند وعندما خرج جيش شامى كبير لفك حصارهم بقيادة عامر المرى والكرمان وداود بن يزيد بن هبيرة ،فى أواخر سنة ١٣١ هـ/٦٤٩م هزمه قحطبة وهو يتقدم قرب أصفهان - وتقول النصوص : " أمر قحطبة بمصحف فنصب على رمح ونادى يا أهل الشام انا ندعوكم الى ما فى هذا المصحف ، فشتموه وأفحشوه فى القول " وأنه هزم داود بن هبيرة " وأصابوا عسكره ، وأخذوا منه ما لايعلم قدره من السلاح والمتاع والرقيق والخيل ، وما رؤى عسكر قط كان فيه من أصناف الأشياء ما فى هذا العسكر كأنه مدينة ، وكان فيه من البرابط ،الطنابير ،والمزامير والخمر ما لايحصى "(١)

(١) انظر ،ابن الاثير ،الكامل ،ج ٤ ص ٣١٦ - ٣١٧، ٣١٨ ، ٣١٩.

حصار نهاوند:

واستراح قحطبة بعض الوقت بأصفهان ثم قدم على ابنه الحسن بنهاوند . وبعد عدة أشهر من القتال استسلم الشاميون بنهاوند ، دون أن يفكروا فى مصير اخوانهم بخراسان ، وهؤلاء قضى عليهم دون شفقة أو رحمة وبذلك انفتح طريق العراق أمام الخراسانية .

مسير قحطبة الى ابن هبيرة بالعراق :

وخرج قحطبة من نهاوند وتوجه الى العراق ، واضطر فى أول الأمر الى الانسحاب أمام يزيد بن هبيرة ،والى الاقليم، الذى خرج للقائه وراء دجلة ولكنه عاد واتجه نحو الكوفة وتبعه ابن هبيرة وتمكن من مفاجأته فى ذى الحجة سنة ١٣٦هـ/ أغسطس ٧٤٩ م، فى معسكره قرب الأنبار ، مما اضطر قحطبة الى الانسحاب الى واسط . وأثناء القتال الذى كان يدور ليلا سقط قحطبة فى النهر (الفرات) ومات غرقا[١]، فى ليلة الاربعاء ٨ من محرم سنة ١٣٢ هـ [٢]. ولكن القوم اجتمعوا وأجمعوا على الرضا بحميد (الحسن) بن قحطبة ، فى رواية ابن الأثير " فبايعوه وسلموا له الأمر " [٣].

(١) ابن الاثير ،ح ٤ ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) اخبار الدولة العباسية ،ص ٣٧١

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٧١ تاريخ خليفة ح ٢ ص ٥٨٢ أحداث سنة ١٢٩ .

فتح الكوفـــة :

تقدم الحسن بن قحطبة الى الكوفة فى الجنود ، واستولى جيشه عليها بعد أن هزم ابن هبيرة . ويفهم من النصوص أن الكوفة أخذت بسهولة ، اذا كان محمد ابن خالد القسرى قد خرج فيهـــا على الأمويين الذين انسحبوا منها و" سود " أى أعلن دخولـــه فى دعوة العباسيين وكتب بذلك الى قحطبة (١) .

ظهور أبى سلمة بالكوفـــة :

وأرسل أبو سلمة الى حميد بن قحطبة أن يدخل الكوفـــة بأحسن هيئة ، وأن يظهروا زينتهم ، ويشهروا سلاحهم وأعلامهم وتوشهم ، ففعل .... وظهر أبو سلمة وأعلن أمره . وكان ظهور أبى سلمة وتوليه للأمور يوم الجمعة ١٠ من المحرم سنة ١٣٢ هـ وتولى ادارة مقاليد الأمور (٢) .

موت ابراهيم الامـــام :

وتقول النصوص أن الخليفة مروان بن محمد كان قبل ذلك بقليل قد أمر بالقبض على الامام ابراهيم الذى أخذ وأنفقد الى حران وحبس . والظاهر انه قتل هناك. وتختلف الروايات فيما يتعلق بنهايته ، اذ يقال أن مروان وجه قوما فدخلـــوا السجن ليلا فغموا ابراهيم ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز،فلما

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢١ .
(٢) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .

أصبحوا وجدوهما ميتيــــن (١)

و فى رواية أخرى " هدم مروان على ابراهيم بيتا فقتلـــه (٢) و خرج ابو العباس الذى كان ابراهيم قد أوص له وعهد اليـــه بالامامة الى الكوفة هو و أخوه أبو جعفر فوصلوها فى ربيـــع الاول من سنة ١٣٢ هـ / أكتوبر ٧٤٩ م حيث اعلنت امامة ابـــى العباســى (٣)

(١) أخبار الدولة العباسية ،ص ٣٩٢ ــ ٣٩٣ ،ص ٣٩٦ حيث يقـــول النص " وذكروا ان ابراهيم قدم به على مروان ،فدفعه الى ابنه عبد الله بن مروان و هو عامله على الجزيرةفحبســـه فلما أراد مروان السير الى الزاب أمر بابراهيم فجعـــل راسه فى جراب نوره ،خنقه عبد الله بن عمر بمرفقة جعلـــت على وجهه فماتا ،تاريخ . خليفة ج٢ص٥٨٢ احداث سنة ١٢٩ ، وقارن المسعودى مروج الذهب ،ج ٤ ص ٨٤ ــ ٨٥.

(٢) انظر : نفس المصدر ص ٣٩٧.

(٣) انظر اخبار الدولة العباسية ص ٤٠٢ و نص الوصية يقول : " حفظك الله يا أخى بحفظ الايمان .. كتابى اليك من حران وأنا على شرف الامر الذى لابد منه فاذا كان ذلك فانت الامام الذى تقيم امرنا و ترعى حرمه اولياشنا و دعاتنا......."

وقعة الزاب ونهاية مروان بن محمد :

كان مروان بن محمد حتى ذلك الوقت يدافع عن خلافته كما أن يزيد بن هبيرة لم يكن قد استسلم بعد و كان لابد للمسودة من القضاء عليهما .

و كانت الجيوش العباسية التى تعمل فى أعالى دجلة تحت قيادة ابى عون عبد الملك بن يزيد الازدى الذى عينته قحطبة ولكنه بعد سقوط الكوفة أعفى القيادة التى أعطيت الى عم الخليفة ابى العباس ،عبد الله بن على بن عباس . وتقدم مروان بن محمد على رأس جيش قوى للقاء الخراسانية الذين وصلتهم الامدادات من أبى سلمة الخلال ،و من أبى العباس و التقى بهم على الضفة اليسرى لنهر الزاب ،ودام القتال بين الطرفين تسعة ايام أحرز مروان خلالها بعض الانتصارات ،ولكن الامر انتهى بوقوع الاضطراب فى جيشه اذ كانت كل عصبية تريد أن تتقدم العصبية الاخرى و أعقب ذلك هزيمة مروان نتيجة لخطأ استراتيجى ، اذ عقد جسرا على النهر و عبره رغم معارضة وزرائه فى ذلك وترتب على هذا الخطأ أن انقطع الجسر عند الانهزام" و كان من غرق يومئذ اكثر ممن قتل " وذلك فى ١١ جمادى الثانى من سنة ١٣٢ هـ ٢٦ يناير ٧٥٠ م " .

و فر مروان الى الموصل بعد هزيمة الزاب ،ولكنه استقبل استقبالا سيئا ،فسار الى حران ،و أقام بها اكثر من عشرين

يوما • وعندما تبعه عبد الله بن على الى هناك مضى الى حمص ولكن مدن الشام كانت قد بدأت تخلع طاعتها بالنسبة للامويين و تسقط بين أيدى العباسيين ،مدينة بعد أخرى ،مثل : قنسرين وحمص وبعلبك ،و لم تدافع الادمشق بعض الوقت ،فدخلت عنوة فى ٥ رمضان سنة ١٣٢ هـ / ١٧ نوفمبر سنة ٧٥٠ م ،بعد أن حوصرت وضيق عليها الخناق •

و تابع العباسيون مطاردة مروان ، اذ سار فى أثره صالح بن على من ابى فطرس الى العريش الى النيل ثم واصل سيره الى صعيد مصر • و فى بلدة بوصير من قرى الفيوم ،حاول مروان الاختفاء فى احدى الكنائس[1] ولكنهم " بايتوه وهجموا على عسكره و ضربوا بالطبول و كبروا ونادوا بالشارات ابراهيم فظن من بعسكر مروان أن قد احاطبهم سائر المسودة [2]،فقتل مروان فى ١٧ من ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ / ١٧ أغسطس سنة ٧٥٠ م واحتز رأس آخر خلفاء الامويين وأرسل الى صالح بن على الذى مثل به فقطع لسانه ،وسيره الى ابى العباس الذى كان بالكوفة [3].

(١) انظر ،ابن الاثير ،الكامل ،ح ٤ ص ٣٣٠ – ٣٣١ •

(٢) المسعودى ،مروج الذهب ،ح ٤ ص ٨٧ •

(٣) ابن الاثير ،ح٤ ص ٣٣١ •

استسلام ابن هبيرة فى واسط ومقتلـه :

بالقضاء على مروان بن محمد لم يبق للامويين من قوة ولاحول الا قوات ابن هبيرة التى لجأت بعد انهزامها امـام ابن قحطبة الى واسط ، المدينة الاستراتيجية التى بناهـا الحجاج فى مستنقعات دجلة ، ودافعت عن نفسها ما يقرب من العام بدا بمناوشات خارج المدينة بين أهل و جيوش الحسن بـن قحطبة وانتهت بانهزام اهل الشام والتجائهم الى المدينـة و تحصنهم بها و أصبح القتال رميا وتراشقا من بعيد .

ورغم الانقسامات بين اليمنية والقيسية فى صفوف ابـن هيبرة بعد أن كاتب ابو العباس السفاح اليمانية من أصحـاب ابن هيبرة فان هذا الاخير لم يدخل فى مفاوضات مع العباسيين الا عندما علم بموت مروان . و فى هذه الاثناء كانت قيـادة القوات العباسية المحاصرة بواسط قد انتقلت من يدى الحسن بن قحطبة الى أبى جعفر أخى الخليفة . وهذا يبين أن الخليفـة بدا ينهج سياسة جديدة تهدف الى وضع مقاليد الامور و خاصـة القيادات العسكرية بين يدى افراد اسرته و كتب السفاح الـى الحسن بن قحطبة " ان المعسكر عسكرك و القواد قوادك ولكـن احببت ان يكون اخى حاضرا فاسمع له و أطع و أحسن موازرته"(1)

---

(1) أنظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ح ٤ ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .

وبعد أن علم المحاصرون بمقتل مروان طلبوا الصلح و جرت السفراء بين أبى جعفر وابن هبيرة و طالت المفاوضات بين الطرفين و كتب ابو جعفر كتاب امان لابى هبيرة ،لبث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء اربعين يوما حتى ارتضاه وأرسله الى ابى جعفر الذى أنفذه الى اخيه السفاح فأمره بامضائه و أمضى السفاح المعاهدة ولكنه لم يحترمها بعد أن اعترض أبو مسلم على نصوصها و كتب الى السفاح ان الطريق السهل اذا القيت فيه الحجارة فسدلا والله لايصلح طريق فيه ابن هبيرة "(١)

و انتهى الامر بقتل افراد الحامية المستسلمة ,واغتيال ابن هبيرة وباستسلام واسطتم القضاء على القوات الاموية النظامية ،ونهج العباسيون سياسة ترمى الى استئصال شافة الامويين واستخدام العنف والقسوة ضد أفراد الاسرة التعسة ولم يتورعوا فى ذلك عن استعمال الغدر والخيانة (٢)

مذبحة ابى فطرس :

من أهم المذابح التى غدر فيها عبد الله بن على عم الخليفة وقائد القوات العباسية فى الشام بعدد كبير من افراد الاسرة الاموية والتى تسمى بمذبحة ابى فطرس ،وذلك بعد أن آمنهم

---

(١) نفس المصدر السابق ،ص ٣٢٨.

(٢) نفس المصدر ،ص ٣٣٣.

ودعاهم الى الطعام . ويقال أنه بعد قتلهم غيلة امر بالبسط ففرشت على جثتهم فأكل عليها ، وهو يسمع أنين بعضهم(١)

و طارد العباسيون الامويين فى الشام و فى فلسطين والعراق و بعد مطاردة الاحياء انتهكوا حرمه الاموات ،فتبشت قبور الخلفاء فى دمشق ،بأمر عبد الله بن على ،ونثر تراب جثتهم فى الهواء ،و لم يستثن الاقبر عمر بن عبد العزيزولم ينجح من الامويين الا حفيد الخليفة هشام ،وهو عبد الرحمن بن معاوية الذى هرب الى الاندلس ،حيث انشا دولة اموية جديدة(٢) كما سنرى فيما بعد ـ واستصفيت اموال الامويين و هدمت قصورهم و خربت مصانع المياه التى كانوا قد اقاموها حتى لايبقى لذكرهم اثر .

===================

(١) ابن الاثير ، الكامل ،ح ٤ ص ٣٣٣ .

(٢) انظر ، اخبار مجموعة فى فتح الاندلس .

الفصل الخامس عشر

الفرق السياسية

الخـوارج :

ظهرت فرقة الخوارج بعد موقعة صفين أى لأسـباب سياسية

وقد عرفت الجماعة الأولى التى خرجت على على رضى اللـه عنه اثر معركة صفين عند الكتاب باسم الحرورية (نسبـة الى حروراء من نواحى الكوفة وهو المكان الذى ظهروا فيه)[١] كما عرفوا أيضا باسم الشراة (أى الذين اشتروا من اللـه أنفسهم بأنّ لهم الجنة) ـ خرجت على على لقبوله التحكيـم ورفعت شعار " لا حكم الا لله ولهذا سموا أيضا " بالمحكمة "[٢]

وقد اجتمع الخوارج تحت قيادة عبد الله بن وهـب الراسبى وهو أول من بويع بالامامة[٣] ولحقوا بالمدائـن فقتلوا عامل على رضى الله عنه عليها ، واشتد على فـى قتالهم وقتل عبد الله بن وهب الراسبى[٤] ولكنهم بايعـوا اماما آخر وتجمعوا فى منطقة البصرة وفيها انتشروا فـى بلاد العرب .وقد وقفوا ضد كل من على ومعاوية الا أن ما أثاروه من اضطراب وقلاقل كان سببا فى ضعف الحزب العلوى مما ساعد

---

(١) انظر، الشهرستانى ، الملل والنحل ،ص ١٥٧ .

(٢) الشهرستانى ،ص ١٥٧ ، ص ١٦٠ .

(٣) الشهرستانى ،ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٤) المسعودى ، ج ٣ ، ص ١٥٥ — ١٥٧ .

على انتصار الأمويين . كما كانوا بعد ذلك سببا لانتصار العباسيين على الأمويين .وقد جلبوا على أنفسهم نقمة الدولة بسبب عنفهم ، فجدت فى حربهم ، والقضاء عليهم حتى يمكن القول أنهم اختفوا فعلا من مسرح الأحداث من آواخر القرن الثانى الهجرى ، الثامن الميلادى . هذا ، مع بقاء جماعات منهم من الاباضية فى عمان وزنزبار والمغرب (فى طرابلس وتونس والجزائر) .

ولقد قوى الخوارج بانضمام كثير من الموالى(أى من غير العرب) اليهم . وقد جوزوا أن تكون الامامة (الخلافة) فى غير قريش (عكس أهل السنة والشيعة) بمعنى أنهم أصحاب فكرة الحكومة الجمهورية التى يجوز أن يصل فيها الى مركز الرياسة أى مسلم دون تفرقة عنصرية ـ طالما توفرت فيه شروط الاهلية ـ " فيجوز ان يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قرشيا (١). وان غير السيرة وحاد أو عدل عن الحق وجب عزله أو قتله (٢). وهم يبجلون ويجلون كلا من أبى بكر وعمر ، بينما يقفون من عثمان موقفا وسطا فهم يعترفون

(١) الشهر ستانى ،ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٢) الشهر ستانى ، الملل والنحل ،ج ١ ، ص ١٥٨ .

بخلافته فى سنواتها الاولى وينكرونها فى سنواته الاخيرة ولكنهم ينكرون خلافة على ومعاوية .

وقد انقسم الخوارج الى فرق عديدة من أشهرها فرقة الازارقه ، أصحاب أبى راشد نافع بن الازرق ، وهم من غلاة الخوارج وأكثرهم تعصبا - وخرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز - فى أيام عبد الله بن الزبير - فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان . وهم يكفرون من ليس بفرقتهم من المسلمين . وهم لا يجيبونهم اذا دعوهم الى صلاة ، ولا يتزوجون منهم ، ولا يأكلون ذبائحهم . وقالوا عن بلادهم أنها " دار حرب " : فيجوز قتالهم وقتل أطفالهم ونساءهم . وقد أسقط نافع حد الرجم عن الزانى ، وأسقط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجود الحد على قاذف المحصنات من النساء . " ولكنهم قطعوا يد السارق من المنكب " . وهم يرون أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر ملة خرج به عن الاسلام جملة ويكون مخلدا فى النار[1].

---

(١) الشهر ستانى ، الملل والنحل ، ج١ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ . وعن قطع يد السارق ، انظر ، ابن حزم ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، ص ١٨٩ (ذكر شنع الخوارج)

ولقد قويت شوكتهم فى جنوب فارس ، ولكن قضى عليهم آواخر القرن الأول الهجرى (نهاية القرن السابع) بعد عدد من الحملات العنيفة .

أما الفرقة الثانية فهى الصفرية ،أتباع زياد بن الأصفر ، وهؤلاء اتخذوا موقفا وسطا بين الأزارقة والأباضية فقبلوا وقف الحرب مؤقتا ضد غيرهم من المسلمين وأجازوا التقية (ستر العقيدة) " فى القول دون العمل " ، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين (١).

وانتشروا فى آواخر أيام الدولة الأموية فى كل البلاد خاصة فى المغرب حيث عملوا مع الأباضية على اثارة المغاربة (البربر) ، وألحقوا بالدولة هزائم منكرة ، كما قتلتهم جيوش الخلافة قتلا ذريعا .

وسندمج الصفرية فى جماعة الأباضية ،والأباضية يمثلون الفريق المعتدل من الخوارج ،وهم أصحاب عبد الله بن أباض التميمى الذى خرج فى أيام مروان بن محمد ، فى جزيرة العرب ، وعملوا بذلك على انتصار العباسيين ، ولما طردوا

(١) انظر ،الشهر ستانى ،الملل والنحل ،ح ١ ،ص ١٨٤ .

من الحرمين ،ظلوا فى عمان وانتشروا فى بلاد زنزبار،والمغرب حيث عملوا مع الصفرية على نشر مذهبهم بين البربر.فأقاموا الامارة الرستمية فى تاهرت التى عاشت أكثر من ١٣٠ سنة الى ظهور الفاطميين ،فانسحب الخوارج الى الصحراء ومازالـــت جماعاتهم فى جربة ،وجبل نفوسة ،وخاصة فى بلاد الزاب وهـــم على اتصال بجماعات الخوارج فى عمان وزنزبار.

ويعتبر الأباضية آخر بقايا الجماعات الخارجية التـى اشتد الحجاج وقواده فى قتالها . ولا بأس من الاشارة الـــى أن الحركة الخارجية لم تكن ضد التطور والازدهار الفكـــرى فعلى عهد الدولة العباسية ظهر كثير من علمائهم وأدبائهم. كما كان لهم شعراء وخطباء .

أما عن تعاليم الخوارج فهى لم تدون ولم تقنـــــــن مما جعلها عرضه للتحوير والتغيير ،الا أنها كانت ذات أثر واضح فى تقدم الفكر الدينى عند المسلمين بعدأن وثقـــــت علاقاتها بالمعتزلة واستخدمت أسلوبهم فى الكلام.

وقد ظهر الخوارج بمظهر المحافظين على الشرع الذين يرغبون فى العودة بالمجتمع الاسلامى الى وحدته الأولى،وبالاسلام الى نقائه الاول : والقرآن بالنسبة لهم هو كلام الله الأزلى

غير المخلوق ، وهو يحتوى على كل علم ،وينبغى أن يفسر حرفيا . وقد وصفوا بأنهم أهل صيام وصلاة ، وهم لايقرون وجود العقيدة اذ لم تصحبها الأعمال التى تثبتها ،فالشخص الذى يرتكب معصية كبيرة ليس بمؤمن بل وينبغى فى رأى المتطرفين منهم عزله من الجماعة الاسلامية ، بل وقتله هو وعائلته .

الشـــيعة

الشيعة لغة هم الأصحاب والأشـباع ، ويطلق فى عـــرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علـــى وبنيه رضى الله عنهم (١).

وأصول الشيعة الرئيسية سياسية : والخلفاء الثلاثـة الأول غير شرعيين ، أما عن الاموبين والعباسيين فانهـــم مغتصبون . فالأسـاس الشيعى فى السياسة هو فكرة "الشرعية" فعلى رضى الله عنه امام مفترض الطاعة بعد رسول الله صلـــى الله عليه وآله واجب على الناس القبول منه والأخذ ،ولايجوز غيره ،الذى وضع عنده النبى صلى الله عليه وآله من العلـم ما يحتاج اليه الناس من الدين والحلال والحرام ، وجميــع منافع دينهم ودنياهم .. وجميع العلوم جليلها ودقيقهـــا واستودعه ذلك كلـه ولذا استحق الامامة . لعصمته وطهـــارة مولده وسابقته وعلمـه وزهده وعدالته فى رعيته وأن النبـى صلى الله عليه وسلم نص عليه ، وقلد الأمة امامتـة ، وعقـد له عليهم امرة المؤمنين وجعله أولى الناس منهم بأنفسهم فى مواطن كثيرة (٢). وقد أوصى النبى صراحة أمام جمع مـــن

(١) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٣٤٨.

(٢) النوبختى ،فرق الشيعة ،طبع النجف ، سنة ١٩٣٦، ص ١٨-١٩
الشهرستانى ، الملل والنحل ، ح ١ ، ص ١٩٥ .

صحابته بخلافته الى على ،وذلك فى غدير أثناء حجة الـوداع فيقولون ان النبى خطب الناس فقال : " ألست أولىبالمؤمنين من أنفسهم : قالوا بلى يارسول الله . قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ،وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ويحتفل الشيعة بذكرى هذا اليوم، ويسمونه عيد الغدير (١).

وفى نظر الشيعة يعتبر على وسلالته الاثنا عشر هم الخلفاء حقيقة أو الائمة بوجه أصح ، اذ الامام عندهم وريث النبى صلى الله عليه وسلم . ويتم تعيينه بطريق الهى بفضل وصية سرية تنتقل منذ آدم من امام الى آخر اذ انتقل النور الالهى الذى حل فى آدم والأنبياء من بعده واحدا بعد آخر حل كذلك فى آباء محمد وعلى وانتقل اليهما والى ذريتهما من بعد ، وبالتالى فقد تجلى هذا النور نفسه فى أبناء على من غير فاطمة أيضا ، وهم جميعا من " أهل البيت " (٢)

وكما يقول الشيعة فان الأئمة الاثنا عشر معصومون ، وأن لكل واحد منهم آياته وكل منهم عندما يحس بالموت يوصى

(١) انظر ،الشهر ستانى ،ح١ ،ص ٢٢٠ حيث نص الحديث : " من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاة وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه

(٢) ديمومبين ،النظم الاسلامية ،ص ٤٥ .

لآخر ليخلفه كامام ، وذلك الى آن نصل الى الحسن بن علـــى العسكرى فان هذا يعهد بالامامة الى ابنه محمد ويعلن انــه المهدى وأنه سيد الزمان ،وولد محمد بن الحسن بسامرا سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م. ، ويقال أنه اختفى هناك فى سرداب بدارهــم وتغيب حين اعتقل مع أمه وغاب هنالك ، وهو يخرج آخــــــر الزمان فيملأ الأرض عدلا ، ويشيرون بذلك الى الحديث الواقــع فى كتاب الترمذى فى المهدى ، وهم الى الآن ينتظرونـــــــه ويسمونه المنتظر لذلك (١)

ووجود الامام ضرورى لكل زمان . وظل التشيع على عهــد الأمـــويين حزب المعارضة ضد عدم شرعية الحكم . وأصبــــح للتشيع حياة مستترة عملت بين أتباعه على ظهور الميـــــل الى ستر أو عدم الكشف عن معتقداته ، والاخذ بمبدأ (التقية) ورغم أن التقية أو الكتمان معروف لدى أهل السنة والخوارج الا أنه سيصبح من أهم مميزات فرق الشيعة الغلاة .

والزيدية هم أكثر الشيعة اعتدالا وأقربهم الى أهــل السنة ،ولقد أسسوا فى اليمن امامة مستقلة .

---

(١) ابن خلدون ،المقدمة ، ص ٣٥٢ .

والزيدية نسبة الى زيد بن على زين العابدين حفيد الحسين الذى قتله الأمويون سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م ، وهم يعترفون بشرعية خلافة أبى بكر وعمر فيقولون بجواز امامة المفضول مع وجود الأفضل . وهم ينكرون زواج المتعة (الزواج المؤقت) كما ينكرون فكرة حلول روح الله فى الامام ولاينتظرون عودة الامام الغائب فمن رأيهم أنه منذ موت الامام زيد ينبغى أن تكون الخلافة انتخابية وليست وراثية [1].

وعلى عكس ذلك فان الامامية وهم أغلبية الشيعة يجعلون فى رجعة الامام المستتر أصلا من أصول العقيدة . فالامام الثانى عشر وهو محمد ينبغى ان يعود فى الوقت المناسب وأنه المهدى . وسيصبح التشيع فيما بعد المذهب الرسمى لايران . وانتصر التشيع بدخول البويهيين بغداد . وعلى أيامهم ألفت مجموعات الأحاديث الشيعية التى تعادل مجموعات أهل السنة .

والامام عند الزيدية يتمتع بالتوجيه الالهى بمعنى انه يتقلد سلطانه من الله ،ولكن الامامية يعتبرون أن الامام يحمل شيئا من نور الله أى انه متأثر بحلول جزئى تعطيه

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٥٠ (عن الزيدية) وكان ينص عليه (أى زيد) مذاهب المعتزلة وأخذه اياها عن واصل بن عطاء . وعن جواز امامة المفضول، انظر ابن حزم الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، حـ ٤ ، ص ١٦٣ ، والشهرستانى، حـ ١ ، ص ٢٠٩ ، وعن الزيدية ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

شيئا من القدسية ، أما الغلاة ففى نظرهم أن هذا الحلول تام فالله يتخذ بالامام اتحادا أساسيا حتى أن الصفة الالهيـــة تغلب على الصفة الانسانية لدى الامام (١).

وفكرة عودة الامام هى التى تمخضت عن الحركات المهدية التى عرفت فى تاريخ الاسلام . ففكرة المهدى الذى يملأ الأرض عدلا قبل آخر الزمان ظهرت فى وقت متأخر بعض الشىء .

ويمكن القول أن التشيع أحسن استغلال فكرة المهـدى، فعلى لدى الشيعة الغلاة يتحول الى اله يتحكم فى السحـاب فالرعد صوته والبرق سوطه . وهكذا يصبح المهدى شيئا فشيئا احد أفراد بيت على . أى يصبح الامام الغائب أو سليـل فاطمة (الفاطمى) المنتظر . استفاد عبيد الله المهـدى من هذه التقاليد الشيعية واستطاع أن يؤسس الدولة الفاطمية فى أواخر القرن الثالث الهجرى / العاشر الميلادى . وبعـد قرنين ظهر مهدى آخر هو محمد بن تومرت مؤسس دولـة الموحدين ، وهى الدولة السنية وان قبلت فكرة المهدى(٢).

---

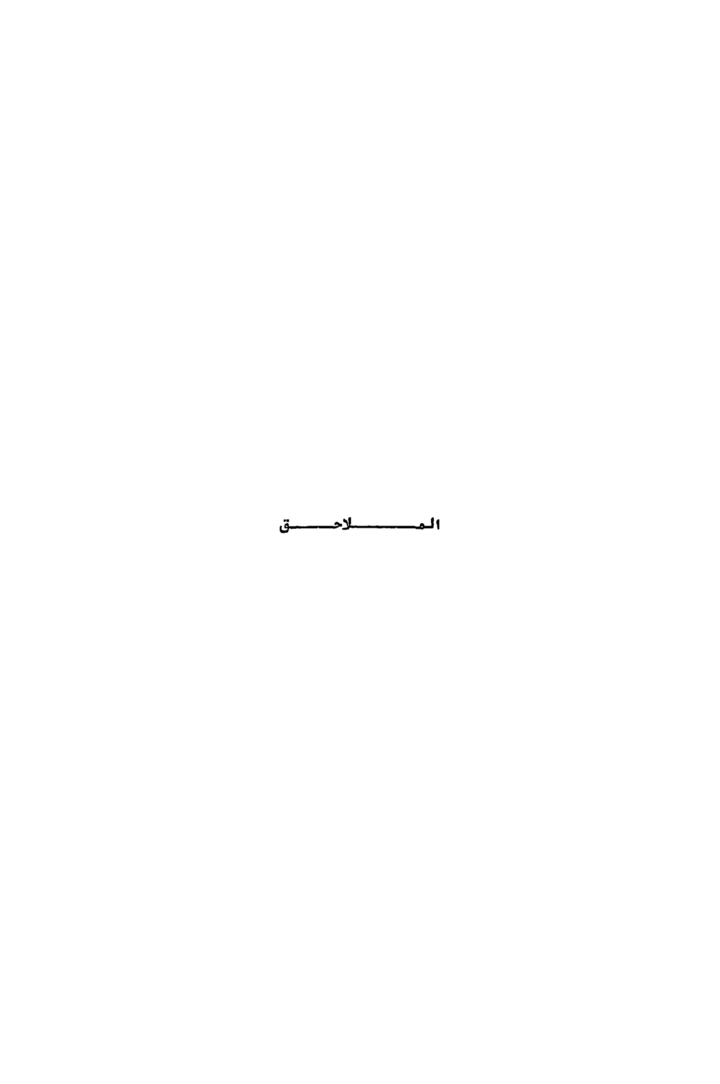
(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٥١ .

(٢) كلمة المهدى اسم مفعول من هدى ، يقال هداه الطريق أى عرفه ودله عليه وبينه له فهو مهدى . ووردت فى القرآن كلمة المهتدى : من يهد الله فهو المهتد .

ويذكر ابن خلدون أن أهل الحلة كانوا يقفون كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب السرداب ، الذى اختفى فيه محمد بن الحسن العسكرى الامام الثانى عشر الملقب بالمهدى ، وقد قدموا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ، ثم ينفضون ،ويرجئون الأمر الى الليلة التالية وهم على ذلك لهذا العهد [1]. (أى عندما كان يكتب ابن خلدون فى نهاية القرن الثامن الهجرى).

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٣٥٢ .



الملاحق

ذكر ماقيل لامنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويزعمون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث .

أنها أتيت ،حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها : انك قد حملت بسيد هذه الامة ،فاذا وقع الى الارض فقولى : أعيذة بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه(١) محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نوررأت به قصور بصرى من أرض الشام .

---

(١) لايعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وبقرب زمانه و أنه يبعث فى الحجاز ،ان يكون ولدا لهم ،وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع ،جد جد الفرزدق الشاعر والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجى بن كلفة بن عوف بن عمروبن عوف بن مالك بن الاول ، والاخر : محمد ابن حران بن ربيعه ،وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك و كان عنده علم من الكتاب الاول فأخبرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امراته حاملا ،فنذر كل واحد منهم ان ولد له ذكر ان يسميه محمدا ،ففعلوا ذلك (راجع الفصول لابن فورك ،والروض الانف) .

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب(١) ابو رسول اللـــــه صلى الله عليه وسلم ،

أن هلك و أم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به (٢)

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعتـــه

قـال ابن اسحـــــاق :ـ

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ،لاثنتـــى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول عام الفيـــل(٣)

---

(١) كذا فى أ. وفى سائر الاصول :" قال حدثنا ابو محمد عبـــد الملك بن هشام . قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحاق المطلبى قال ... الخ "

(٢) أكثر العلماء على أن عبد الله مات ورسول الله صلى اللــــه عليه وسلم فى المهد ، ابن شهرين او اكثر من ذلك وقيل بـل مات عبد الله عند أخواله بنى النجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان و عشرين شهرا . ويقال انه دفن فى دار النابغة فى الدار الصغرى اذا دخلت الدار على يسارك فـــى البيت (راجع الطبرى و الروض الانــف) .

(٣) اختلف فى مولده صلى الله عليه وسلم ،فذكر انه كان فى ربيع الاول وهو المعروف ،وقال الزبير : كان مولده فى رمضـــان و هذا القول موافق لقول من قال : ان امه حملته فى أيــام التشريق و يذكرون ان الفيل جاء مكة فى المحرم و أنـــه صلى الله عليه وسلم ولد بعد مجىء الفيل بخمسين يومـــا ، و كانت ولادته صلى الله عليه وسلم بالشعب و قيل بالدار التى عند الصفا وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها ==

قال ابن اسحاق : حدثنى المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمه عن أبية عن جدة قيس بن مخرمه قال :ـ

ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل فنحن لدان(١).

وقال ابن اسحاق / وحدثنى صالح بن ابراهيم(٢) بن عبد الرحمن بن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارى . قال حدثنى من شئت من رجال قومى عن حسان بن ثابت قال :ـ " والله انى لغلام(٣) يفعه . وابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ماسمعت ، اذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة(٤) بيثرب : يامعشر يهود حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له : ويلك ؟ مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد بـه .

=زبيدة مسجدا حين حجت راجع الروض الانف والطبقات الكبرى لابن سعد والطبرى .

(١) كذا فى أ. ولدان : مثنى لدة ،واللدة : الترب والهاء فيه عوض عن الواو الذاهبة من أوله ،لانه من الولادة و فى سائر الاصول : " لدتان " ولم تذكرة كتب اللغة .

(٢) وهو صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن عمران الزهرى المدنى روى عن ابيه و أنس ومحمود بن لبيد والاعرج وغيرهم وعنه ـ غير ابن اسحاق ، ابنه سالم والزهرى ويونس بن يعقوب الماجشون وجماعة . مات بالمدينة فى خلافة هشام بن عبد الملك (من تراجم رجال) .

(٣) غلام يفعه : قوى قد طال قده ،مأخوذ من اليفاع وهو العالى من الارض

(٤) الاطمة (بفتحتين) : الحصن .

قال محمد بن اسحـــاق :

فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت : ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟ فقال : ابن ستين (سنة)(١) وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وهو ابن ثلاث و خمسين سنة ،فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين .

قال ابن اسحـــاق :

فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم ارسلت الى جده عبد المطلب : أنه قد ولدلك غلام ،فأته فانظر اليه ،فأتاه فنظر اليه و حدثته بما رأت حين حملت به ،وما قيل لها فيه و ما أمرت به أن تسميه .

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقال يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها(٢) والتمس الرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء .

---

(١) زيادة عن أ .

(٢) و فى رواية أخرى أن عبد المطلب عوذه بشعر منه

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الاردان

قد ساد فى المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذى الاركان

(راجع الروض الانف) .

قال ابن هشام :

المراضع و فى كتاب الله تبارك و تعالى فى قصة موسى عليه السلام : (وحرمنا عليه المراضع)(١)

قال ابن اسحاق :-

فاسترضع له (٢) امرأة من بنى سعد بن بكر ،يقال لها حليمة ، ابنة ابى ذؤيب .

و أبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة ابن قصية(٣) بن نصر(٤) بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

---

(١) المعروف أن المراضع : جمع مرضع ،وعلى هذا تخرج رواية ابن اسحاق على أحد وجهين : أحدهما : حذف المضاف مكانه قال : ذوات الرضاع و الثانى ،أن يكون أراد بالرضاع الاطفال على حقيقة اللفظ ،لانهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه فلا يبعد أن يقال: التمسوا له رضيعا ،علما بأن الرضيع لابد له من مرضع .

(٢) كذا فى أ. واسترضعت المرأة ولدى : طلبت منها أن ترضعه و فى سائر الاصول : " واسترضع له من امرأة .

(٣) فى الاصول : " قصية " بالقاف . وهو تصحيف (راجع الروض الانف ،وشرح السيرة و الطبقات) .

(٤) فى الطبرى هنا وفيما سيأتى فى نسب الحارث : " قصية بن سعد " باسقاط " نصر .

واسم ابيه الذى أرضعه صلى الله عليه وسلم : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قضية (١) بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن (٢) .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

قال ابن اسحاق :

واخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت

---

(١) كذا فى م هنا . وفى سائر الاصول : " قضية " بالقاف .وهو تصحيف "

(٢) ويقال ان الحارث قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . بمكة حين أنزل عليه القرآن فقالت له قريش الا تسمع ياحار مايقول ابنك هذا ؟ فقال : وما يقول : قالوا :يزعم ان الله يبعث بعد الموت ،وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من أطاعه ،فقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فأتاه فقال : أى بنى مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انه تقول : ان الناس يبعثون بعد الموت ،ثم يصيرون الى جنة و نار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم ياأبت لقد اخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم ،فأسلم الحارث بعد ذلك و حسن اسلامه و كان يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابنى بيدى فعرفنى ماقال لم يرسلنى ان شاء الله حتى يدخلنى الجنة (راجع الروض الانف)شرح المواهب والاصابة .

الحارث و حذافة[1] بنت الحارس ،وهي الشيماء[2] غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها الا به ،وهم لحليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها[3] اذا كان عندهم[4].

قال ابن اسحاق : وحدثني جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحي عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . أو عمن حدثه عنه قال :

---

(1) في الاصابة : " خذامه " و هي بكسر الخاء المعجمة كمانبه على ذلك السهيلي وأبو ذر ،وقد ذكر السهيلي وابو ذروابن حجر ماأثبتناه رواية أخرى و انفرد ابو ذر بالتنبيه على أنه والصواب ،وفي أ. والطبري : والطبقات " جدامه " وبها جزم ابن سعد في الطبقات على أنها" جدامة" بالجيم والدال المهملة .

(2) ويقال انها : "الشيماء" بلا ياء (راجع شرح المواهب).

(3) كذا في الطبري . وفي الاصول : الامة ".

(4) ويقال أن أول من أرضعته صلى الله عليه وسلم : ثريبة أرضعته بلبن ابن لها يقال له : مسروح، أياما قبل ان تقدم حليمة . و كانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب المخزومي كما أرضعت عبد الله بن جحش ،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لثوبية و يصلها من المدينة فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح ،فأخبر انهما ماتا وسأل عن قرابتهما فلم يجد احدا منهم حيا و كانت ثوبية ===

كانت حليمة بنت أبى ذويب السعدية . أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته ،تحدث : أنها خرجت من بلدها مع زوجها ،وابن لها صغير(١) ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت : وذلك فى سنة (٢)شهباء . لم تبق لنا شيئا . قالت : فخرجت على اتان لى قمراء(٣)معنا شارف(٤)لنا وان ماتبض(٥)بقطرة و ماننام لينا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ،ما فى ثديى مايغنيه ،وما فى شارفنا منا يغذيه – قال – قال ابن هشام ويقال يغذيه (٦)ولكنا كنا نرجو الغيث و الفرج . فخرجت على أتانى تلك ،فقد أدمت(٧)

= جارية لابى لهب . كما يقال انه صلى الله عليه وسلم رضع أيضا من غير هاتين .
(راجع الطبرى والروض الانف والاستيعاب وشرح المواهب) .

(١) يقال ان اسمه عبد الله بن الحارث(راجع شرح المواهب و المعارف و الطبقات) .

(٢) كذا فى الطبرى ،و فى أ :" و فى سنة .. الخ ،وفى سائر الاصول : " وهى فى سنة ...الخ.

(٣) القمرة (بالضم) : لون الى الخضرة او بياض فيه كدرة يقال حمار أقمر واتان قمراء .

(٤) الشارف : الناقة المسنة .

(٥) ماتبض : ماترشح بشىء .

(٦) وماذكره ابن هشام اتم فى المعنى من الانتصار على ذكر الغداء دون العشاء ،ويروى " مايعذبه " أى مايقنعه حتى يرفع رأسه و ينقطع عن الرضاعة ".

(٧) كذا فى أ. ولقد شرحها ابو ذر فقال : فلقد ادمت بالركب أى أطلت عليهم المسافة لمهلهم عليها ،مأخوذ من الشى الدائم

بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا(١) حتى قدمنا مكة نلتمس(٢) الرضعاء فما منا امراة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه ، اذا قيل لها انه يتيم و ذلك أنا انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى ، فكنا نقول : يتيم ، وما عسى أن تصنع أمه وجده ، فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت مرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيرى ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى : والله انى لاكره ان أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا ، والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلاخذنه ، قال : لاعليك ان تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة .

ر فى سائر الاصول : " آدمت " و أدمت بالركاب : أعيت وتخلفت عن جماعة الابل ، ولم تلحق بها يريد أنها تأخرت بالركب أى تأخر الركب بسببها .

(١) العجف : الهزال .

(٢) يذكرون فى دفع قريش و غيرهم من أشراف العرب اولادهم الى المراضع أسبابا ، احدها : تفريغ النساء الى الازواج ، كما قال عمار بن ياسر لام سلمة رضى الله عنها و كان أخاها من الرضاعة حين انتزع من حجرها زينب بنت أبى سلمة فقال دعى هذه المقبوحة المشقوحة التى آذيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون ذلك منهم لينشأ الطفل فى الاعراب فيكون أفصح لسانا و أجلد لجسمه واجدر الا يفارق الهيئة المعدية ، كما قال عمر رضى الله عنه : تمعددوا تمعززوا واخشوشنوا . ولقد قال عليه السلام لابى بكر رضى الله عنه حين قال له : مارايت افصح منك يارسول الله فقال ومايمنعنى و أنا من قريش وأرضعت فى بنى سعد ".

قالت [١] : فذهبت اليه فأخذته ،، وماحملني على أخذه الا أنى لم أجد غيره . قالت : فلما أخذته رجعت به الى رحلى ،فلما وضعته فى حجرى [٢] أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ،فشرب حتى روى و شرب معه أخوه حتى روى [٣] ،ثم ناما و ماكنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجى الى شارفنا تلك ،فاذا انها لحافل فحلب منها ماشرب و شربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا ،فبتنا بخير ليلة ،قالت : يقول صاحبى حين أصبحنا : تعلمى [٤] والله ياحليمة لقد أخذت نسبة مباركة ،قالت : فقلت : والله انى لارجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت (أنا) [٥] اتانى و حملته عليها معى . فو الله لقطعت بالركب ،مايقدر عليها [٦] شىء من

= فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء الى المرضعات الاعرابيات ،وقد ذكر ان عبد الملك بن مروان كان يقول : أضربنا حب الوليد . لان الوليد كان لحانا وكان سليما فصيحا لان الوليد اقام مع امه وسليمان و غيره من اخوته سكنوا البادية فتعربوا ثم ادبوا فتأدبوا (ارجع الروض الانف وشرح المواهب .

(١) كذا فى : وفى سائر الاصول :"قال"ولعل تذكير الفعل على معنى الشخص

(٢) ويقال ان رسول الله صلى لله عليه وسلم كان لايقبل ، الاعلى ثدي واحد وكان يعرض عليه الثدى الاخر فيأباه كأنه قد اشعر عليه الصلاة و السلام أن معه شريكا فى لبانها (راجع الروض الانف)

(٣) كذا فى أكثر الاصول و الطبرى ،وفى الروض الانف : " رويا"

(٤) كذا فى اصول ،يريد : اعلمى ،وفى الطبرى : "أتعلمين.. الخ.

(٥) زيادة عن .

(٦) فى أ . : " على "

حمرهم حتى ان صواحبى ليقلن لى : يابنة ابى ذؤيب و يحك اربعى(١) علينا أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ،فاقول لهن بلى والله ، انها لهى هى ،فيقلن : والله ان لها لشأنا ،قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد ،و ما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ،فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا ،فنحلب و نشرب ،وما يحلب انسان قطرة لبن ،ولايجدها فى ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم و يلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت ابى ذويب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن ،وتروح غنمى شباعا لبنا . فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير(٢) حتى مضت سنتاه(٣) و فصلته وكان يشب شبابا لايشبه الغلمان ،فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا(٤) قالت : فقدمنا به على أمه و نحن أحرص شىء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها : لو تركت بنى عندى حتى يغلظ فانى أخشى عليه وبأ مكة(٥) قالت : فلم أبزل حتى ردته معنا .

---

(١) اربعى : اقيمى وانظرى : يقال : ربع فلان على فلان اذا اقام عليه وانتظره ومنه فيقول الشاعر :-
" عودى علينا واربعى يافاطما " .

(٢) كذا فى أكثر الاصول ،وفى أ : " الريادة والحيرة" و فى الطبرى : " زيادة الخير " .

(٣) فى الطبرى : " سنان "

(٤) الجفر : الغليظ الشديد .

(٥) الوبأ) يهمز ويقصر) والوباء (بالمد) : الطاعون

قالت : فرجعنا به : فوالله انه بعد مقدمنا (به)[١] . بأشهر مع أخيه لفي بهم[٢] لنا خلف بيوتنا ، اذ آتانا أخوه يشتد[٣] ، فقال لي ولابيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه[٤] . قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما منتقعا[٥] وجهه قالت : فالتزمته والتزمه ابوه ، فقلنا له : مالك يابني قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاني وشقا بطني ، فالتمسا (فيه) شيئا لاأدري ماهو ، قالت : فرجعنا (به)[٦] الى خبائنا .

قالت : وقال لي أبوه ياحليمة ، لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه بأهله قبل ان يظهر ذلك به ، قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما اقدمك به ياظئر[٧]

---

(١) البهم : الصغار من الغنم واحدتها : بهمة .
(٢) اشتد في عدوه : أسرع .
(٣)
(٤) يقال : سطت اللبن أو الدم او غيرهما اسوطة : اذا ضربت بعضه ببعض ولم اعود الذي يضرب به : السوط
(٥) منتقعا وجهة : أي متغيرا ، يقال : انتقع وجهه وامتقع (بالبناء للمجهول) : اذا تغير .
(٦) زيادة عن أو الطبري .
(٧) الظئر (بالكسر) : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له في الناس وغيرهم ، فهو أعم من المرضعه لانه يطلق على الذكر و الانثى .

وقد كنت حريصة عليه و على مكثه عندك ؟ قالت فقلت(١) : قد بلغ الله يابنى و قضيت الذى على و تخوفت الاحداث عليه فاديته اليك (٢)كما تحبين ،قالت : ماهذا شأنك ،فاصدقيني خبرك ،قالت : فلم تدعنى حتى اخبرتها ،قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ،قالت كلا ،والله ما للشيطان عليه من سبيل ،وان لبنى لشأنا ، أفلا أخبرك خبره قالت : "قلت" بلى ،قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور اضاء(٣) الى قصور بصرى(٤) من أرض الشام ثم حملت به فو الله مارايت من حمل قط كان أخف (على) ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه الواضع يديه بالارض رافع راسه الى السماء ،دعيه عنك وانطلقى راشدة .

قال ابن اسحاق و حدثنى ثور(٥)بن يزيد عن بعض اهل العلم

---

(١) كذا فى او الطبرى : وفى سائر الاصول : " فقلت : نعم قد بلغ .... الخ .

(٢) كذا فى الطبرى ،وفى الاصول : " عليك " .

(٣) كذا فى او الطرى وفى سائر الاصول : اضاء لى به قصور..الخ.

(٤) بصرى (بالضم والقصر) من أصال دمشق بالشام و هى قصبة كورة حوران ،مشهورة عند العرب ديما و حديثا ولهم فيها أشعر كثيرة (راجع معجم البلدان).

(٥) هو نور بن يزيد الكلاعى ،ويقال الوحى أبو خالد الحمصى أحد الحفاظ العلماء روى عن خالد هذا وحبيب بن عبيد و صالح بن يحيى و غيرهم وروى عنه ابن تبارك و يحيى القطان ،وخلق كثير و كان يرى القدر و مات سنة ثلاث وخمسين و مئة وهو =

ولا احبه الا عن خالد بن معدان[1] الكلاعــي .

أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالــوا له : يارسول الله : أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم . أنـا دعوة ابى ابراهيم [2] و بشرى (أخى)[3] عيسى ،ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام [4] واسترضعت في بنى سعد بن بكر ،فبينا أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعـى بهمالنا اذا أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا ثم اخذانى فشقا بطنى ،واستخرجا قلبى فشقاه ،فاستخرجا منه علقه سوداء فطرحاها ،ثم غسلا قلبى و بطنى بذلك الثلـج حتى أنقياه[5] ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمتـه .

(١) هو خالد بن معدان بن أبى كريب الكلاعى ابو عدب الله الشامى الحمصى ،روى عن ثوبان وابن عمرو وابن عمر وغريهم وروى عنه سعيد و محمد بن ابراهيم بن الحارث وغيرهما : توفى سنـة ١٠٣ ،وقيل سنة ١٠٤ ،وقيل سنة ١٠٨

(٢) كذا فى اكثر الاصول والطبرى . وفى أ : " دعوة ابراهيم " .

(٣) زيادة عن الطبرى .

(٤) و تأويل هذا النور مافتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية واستضاءت تلك البلاد وغيرهـا بنوره صلى الله عليه وسلم ،ويحكى ان خالد بن سعيد بـن العاصى رأى قبل البعث بسير نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر فى نخيل يثرب ،فقصها على أخيه عمرو ،فقال لـه : انها حفيرة عبد المطلب وان هذا النور منهم ،فكان ذلـك سبب مبادرته الى الاسلام (راجع الروض الانف) .

(٥) كذا فى أ. وفى سائر الاصول : " قال : ثم قال : .. الخ".

فوزننى بهم فوزنتهم، ثم قال ، زنة بمئة من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال : زنة بألف من أمته ، فوزنى بهم فوزنتهم فقال : دعه عنك ، فو الله لو وزنته بأمته لوزنها(١)

قال ابن اسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مامن نبى الا وقد رعى الغنم ، قيل : وأنت يارسول الله قال : و أنا

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه : أنا أعربكم ، أنا قرشي و استرضعت فى بنى سعد بن بكر .

قال ابن اسحاق :

وزعم الناس فيما يتحدثون ، والله اعلم : أن أمه السعدية لما قدمت به مكة اضلها فى الناس و هى مقبلة به نحو اهله فالتمسية فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : انى قد قدمت بمحمد هذه الليلة . فلما كنت بأعلى مكة أضلنى فوالله ما أدرى أين هو : فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد ورجل آخر

---

(١) وزاد الطبرى بعد هذا : " قال ثم ضمونى الى صدرهم وقبلوا رأسى و مابين ومابين عينى ، ثم قالوا : ياحبيب ، لم ترع انك لو تدرى مايراد بك من الخير لقرت عينك " .

من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك و جدناه بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب فجعله على عنقه و هو يطوف بالكعبة يعوذه و يدعو له ، ثم أرسل به الى أمه آمنة .

قال ابن اسحاق : و حدثني بعض أهل العلم :

أن مما هاج امه السعدية على ردة الى أمه ، مع ذكرت لامه مما أخبرتها عنه ، أن نفراً من الحبشة نصارى ، راوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا اليه وسألوها عنه وقلبوه ، ثم قالوا لها : لنأخذن هذا الغلام ، فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فزعم الذى حدثني انها لم تكد تنفلت به منهم (١)

(١) انظر ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري ، طبع دار احياء التراث العربي ، بيروت ج١ ص ١٦٦ - ١٧٧ .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانجيل

قال ابن اسحاق :

وقد كان ،فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الانجيل لاهل الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت يحنس الحواري لهم ،حين نسخ لهم الانجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام ،في رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم أنه قال : من أبغضني فقد ابغض الرب ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع أحد قبلي ماكانت لهم خطيئة ولكن من الان بطروا وظنوا انهم يعزونني[1] وايضا للرب ،ولكن لابد من أن تتم الكلمة التي في الناموس : انهم ابغضوني مجانا[2] أي باطلا . فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب وروح [3] القدس[4] ،هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي و أنتم ايضا ،لانكم قديما كنتم معي ،في هذا قلت لكم لكيما لاتشكوا.

والمنحمنا (بالسريانية) : محمد و هو بالرومية البرقليطس ،صلى الله عليه وسلم و على آله وسلم .

---

(١) يعزونني : يغلبونني ،يقال : عز الرجل الرجل ،اذا غلبه .

(٢) و كذلك جاء في الحكمة : يابن آدم ،علم مجانا ،أي بلا ثمن .

(٣) زيادة عن أ .

(٤) كذا في اكثر الاصول ،والقدس : التطهير ،وفي أ: " القسط" و القسط : العدل .

مبعث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

قال ابن اسحاق (١) :

فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه (٢) الله تعالى رحمة للعالمين ،وكافة للناس بشيرا وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالأيمان به ،والتصديق له : والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم ،فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنين به ، ولتنصرنه قال أ أقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى " أى ثقل ما حملتكم من عهدى " قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين " . فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر له من خالفه ، وأدوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

---

(١) كذا فى أ. وفى سائر الأصول :" قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحاق المطلبى قال ... الخ .

(٢) ويقال ان بعثه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين، ويستدلون على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لبلال:لايفتك صيام يوم الاثنين ،فانى قد ولدت فيه ، وبعثت فيه ، وأموت فيه وقيل غير ذلك .

(راجع شرح المواهب ، والروض) .

قال ابن اسحاق : فذكر الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته :

أن أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة :

حين أراد الله كرامته ورحمة العبادبة ، الرؤيا الصادقة لايرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه الا جاءت كفلق الصبح . قالت : وحبب الله تعالى اليه الخلوة ، فلم يكن شىء أحب اليه من أن يخلو وحده .

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الملك بن عبيد الله بن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ، وكان واعية [١] ،من أهل العلم .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر [٢] عنه البيوت ويفضى الى شعاب [٣] مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر الا قال : السلام عليك يارسول الله [٤]. قال : فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى الا الشجر

(١) واعية : حافظا ، والتاء فيه للمبالغة .

(٢) تحسر عنه البيوت : تبعد عنه ويتخلى عنها .

(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

(٤) قال السهيلى : " وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة وأن يكون الله أنطقه انطاقا ، كما خلق الحنين فى الجذع =

والحجارة . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يـــرى ويسمع ، ماشاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه الســـلام بما جاءه من كرامة الله ،وهو بحراء فى شهر رمضان .

قال ابن اسحاق : وحدثنى وهب (١)بن كيسان ، مولى آل الزبير قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بـن قتادة الليثى : حدثنا ياعبيد ،كيف كان بدء ما ابتدىء بـــه رسول اللهُ صلى اللع عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريـــل عليه السلام ،قال : فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله ابـن الزبير ومن عنده من الناس ـ كان رسول الله صلى الله عليـــه

= ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف ، الحياة والعلـم والارادة ،لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت عرض فى قـــول الأكثرين ، ولم يخالف فيه الا النظام ، فانه زعم أنه جسم وجعله الأشعرى اصطكاكا فى الجواهر بعضها لبعض . وقـــال أبو بكر : ليس الصوت نفى الاصطكاك ،ولكنه معنى زائد عليه .." الى أن قال : ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجـــر والشجر ،والصوت عبارة عنه ،لم يكن بدا من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ،والله أعلم أى ذلك كان : أكان كلامـــا مقرونا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنا ، أو كان صوتـــا مجردا غير مقترن بحياة ، وفى كلا الوجهين هو علم مـــــن أعلام النبوة . . . وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا فى الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ويعمرونها ،فيكون مجازا من باب قوله تعالى :" واسأل القرية".

(١) هو وهب بن كيان القرشى مولى : آل الزبير أبو نعيم المدنى المعلم المكـــى روى عن أسماء بنت أبى بكر وابن عبـــاس عمر وابن الزبير وغيرهم . وعنه هشام بن عروة وأيوب وعبيد الله بن عمر وغيرهم .وتوفى سنة سبع وعشرين ومئة ،وقيل سنة تسع (راجع تهذيب التهذيب) .

وسلم يجاور(١) في حراء من كل سنة شهرا ، وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية ، والتحنث التبرر .

قال ابن اسحاق : وقال أبو طالب :

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى في حراء ونازل

قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحنفية ، فيبدلون الفاء(٢) من الثاء ، كما قالوا جدث وجدف ، يريدون القبر . قال رؤبة ابن العجاج .

لو كان أحجاري مع الأجداف (٣)

يريد الأجداث . وهذا البيت في أرجوزة له . وبيت أبي طالب في قصيدة له سأذكرها ان شاء الله في موضعها .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول : فم ، في موضع ثم يبدلون الفاء من الثاء .

---

(١) وفي الرد على ابن هشام : قال أبو ذر : "..والجيد فيه أن يكون فيه التحنث هو الخروج من الحنث : أي الاثم ، كما يكون التأثم ، الخروج عن الاثم ، لأن تفعل قد تستعمل في الخروج من الشيء ، وفي الانسلاخ عنه ، ولايحتاج فيه الى الابدال الذي ذكره ابن هشام" .

(٢) في هذا الشعر شاهد ورد على ابن جني حيث زعم أن "جدف" بالفاء لايجمع على أجداف (راجع الروض) .

(٣) زيادة من أ .

قال ابن اسحاق : وحدثنى وهب بن كيسان قال قال عبيد:

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ،فاذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ،كان أول مايبدأ به ، اذا انصرف من جواره الكعبة ،قبل أن يدخل بيته ،فيطوف بها سبعا او ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع الى بيته ، حتى اذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التى بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر (شهر) [1]رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى اذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ،جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجاءنى جبريل ،وأنا نائم بنمط[2] من ديباج فيه كتاب [3]، فقال : اقرأ ،قال : قلت ما أقرأ[4] قال : فغتنى [5] به حتى ظننت أنه الموت ،ثم أرسلنى فقال

---

(١) زيادة عن أ .

(٢) النمط : وعاء كالسفط .

(٣) قال بعض المفسرين : فى قوله تعالى :" الم ذلك الكتاب لا ريب فيه " أنها اشارة الى الكتاب الذى جاء به جبريل حين قال له : اقرأ (راجع الروض).

(٤) كذا فى الأصول والطبرى . وفى شرح المواهب :" ما أنا بقارىء" يريد أن حكمى كسائر الناس من أن حصول القراءة انما هو بالتعلم ،وعدمها بعدمه .

(٥) كذا فى الاصول والطبرى ،والغت: حبس النفس وفى المواهب :" فغطنى" وهى بمعنى غته.

اقرأ، قال قلت : ما أقرأ : قال : فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ،قال : قلت : ماذا أقرأ؟ قال : فغتني به حتى ظننت أنه الموت،ثم أرسلني [1]،فقال : اقرأ، قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك الا اقتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ،فقال : " اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " قال : فقرأتها ثم أنتهى فانصرف عني وهببت من [2] نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا . قال فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء

---

(١) لعل الحكمة في تكرير :" أقرأ " الاشارة الى انحصار الايمان ينشأ عنه الوحي بسببه في ثلاث : القول ، والعمل والنية ،وأن الوحي يشتمل على ثلاث : التوحيد والأحكام والقصص (راجع شرح المواهب .

(٢) قال السهيلي :" قال في الحديث : فأتاني وأنا نائم،وقال في آخره : فهبت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا ، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولاغيرها ، بل في حديث عروة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريلحين نزل بسورة " اقرأ" كان فياليقظة ،لأنها قالت في أول الحديث : أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة ،كان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ... الى قولها حتى جاءه الحق ، وهو بغار حراء ،فجاءه جبريل ،فذكرت في هذا الحديث أنالرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي عليه السلام بالقرآن،وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل ان يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به ، لأن أمر النبوة عظيم وعبئها ثقيل والبشر ضعيف .

يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ،قال : فرفعت رأسى الى السماء أنظر ،فاذا جبريل فى صورة رجل صافقدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل قال : فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، قال : فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك ،فما زلت واقفا ما أتقدم أماما وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى .

وانصرفت راجعا الى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست الى فخذها مضيفا(1) اليها : فقالت : يا أبا القاسم ،أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ثم حدثتها بالذى رأيت ، فقالت : أبشر ابن عم وأثبت ،فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

ثم قالت فجمعت عليها ثيابها ،ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصى ، وهو ابن عمها ،وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتاب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم،أنه رأى وسمع ،فقال ، فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس (٢)،

(١) مضيفا : ملتصقا ،يقال : أضفت الى الرجل ، اذا ملت نحوه ولصقت به ، ومنه سمى الضيف ضيفا.

(٢) قدوس قدوس : أى طاهر طاهر ، وأصله من التقديس ، وهو التطهير.

والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتينى ياخديجة لقد جاءه الناموس (١) الأكبر الذى كا يأتى موسى ، وانه لنبى هذه الأمة ، فقولى له : فليثبت . فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ،فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ،صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقية ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يابن أخى ، أخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له ورقة : والذى نفسى بيده ،أنك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ولتكذينه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه (٢)ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منة قبل يافوخه (٣)، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله .

قال ابن أسحاق : وحدثنى اسماعيل بن أبى حكيم (٤) مولى آل الزبير ، انه حدث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت

---

(١) الناموس (فى الاصل) :صاحب سر الرجل فى حبره وشره فعبر عن تلك الذى جاءه بالوحى به .

(٢) الهاء فى هذه الأفعال للسكت .

(٣) اليافوخ : وسط الرأس .

(٤) هو اسماعيل بن أبى حكيم القرشى ، روى عن سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وعبيدة بن شعبان الحضرمى وغيرهم ،وعنده مالك وابن اسحاق واسماعيل بن جعفر وأبو الأسود وغيرهم ،وكان عاملا لعمر بن عبدالعزيز وتوفى سنة ١٣٠ . (راجع تهذيب التهذيب).

لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى ابن عم ، أتستطيع ان تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك ؟ قال : نعم قالت : فاذا جاءك فأخبرنى به . فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : ياخديجة ،هذا جبريل قد جاءنى ،قالت : قم يا بن عم فاجلس على فخذى اليسرى ،قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ،قالت : هل تراه ؛ قال : نعم ،قالت :فتحول فاجلس على فخذى اليمنى ، قالت : فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى ،فقالت : هل تراه ؟ قال: نعم . قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ،قالت : فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال نعم ، قال فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جلس فى حجرها ،ثم قالت له : هلتراه ؟ قال : لا ،قالت يا بن عم ، أثبت وأبشر ، فوالله انه لملك وما هذا بشيطان.

قال ابن اسحاق : وقد حدثت عبد الله (١)بن حسن هذا الحديث فقال :

---

(١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ،وأمه فاطمة بنت الحسن أخت سكينة ،واسمها آمنه وسكينة لقب لها ،التى كانت ذات دعابة ومزح ، وفى سكينة وأمزح، وفى سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن على :
(أى زارت قومها ،وهم بنو عليم بن جناب بن كلب)وعبد الله بن حسن هووالد الطالبين القائمين على بنى العباس وهم : محمد ويحيى وادريس ، مات ادريس فى افريقية فارا من الرشيد ،(راجع الروض).

قد سمعت أمى فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، الا أنى سمعتها تقول :

" أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ان هذا لملك وما هو بشيطان .

[illegible]

[illegible] :

[illegible] وبعث [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رمضان [illegible] يقول الله [illegible] : " شهر [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] الفرقان " ، وقال تعالى : " انا انزلناه في ليلة [illegible] [illegible] أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، [illegible] الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر [illegible] [illegible] مطلع الفجر " وقال تعالى " حم والكتاب [illegible] [illegible] انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين ، [illegible] كل أمر حكيم [illegible] من عندنا انا كنا مرسلين " ، [illegible] " ان كنتم [illegible] وما أنزلناه على عبدنا [illegible] [illegible] يوم التقى الجمعان " ، وذلك ملتقى رسول الله [illegible] عليه وسلم والمشركين ببدر ،

قال ابن اسحاق وحدثني أبو جعفر [illegible] حسين :

أن رسول الله صلى الله عليه [illegible] [illegible] هو المشركون ببدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من [illegible] ،

قال ابن اسحاق :

ثم تتام الوحي الى الرسول صلى [illegible] [illegible] وسلم وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه [illegible] [illegible] ، وتحمل

منه ما حمل على رضا العباد وسخطهم . والنبوة أثقال ومؤنة ، لايحملها ولا يستطيع بها الا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ،لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال فمضى رسول الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى (١) .

---

(١) انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج ١ ،ص ٢٤٩ — ٢٥٦ .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع :

(١) ابن الأثير ، ابو الحسن على بن محمد الجزرى ، توفى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م .

- الكامل فى التاريخ ، طبعة القاهرة ، ٤ اجزاء .

- اسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ٥ اجزاء ، طبعة المعارف ، القاهرة ٨٥ ، ٤هـ .

(٢) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، توفى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤ م .

- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ٤ أجزاء القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

(٣) ابن حزم ، أبو محمد على بن احمد بن حزم الظاهرى ، توفى سنة ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٤ م .

- جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، والدكتور ناصر الدين الاسد ، طبع دار المعارف ، مصر (مجموعة تراث الاسلام) .

- جمهرة انساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال طبع دار المعارف ، سنة ١٩٤٨ (مجموعة ذخائر العرب)

(٤) ابن حوقل ، أبو القاسم محمد ، توفى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م .

- كتاب صوره الارض ، نشر كريمر ليدن ١٩٣٨ ، فى جزئين

(٥) ابن خرداذبه ،أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله
توفي سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م .
— المسالك والممالك : نشر دجويه ليدن ١٨٨٩ .

(٦) ابن خلدون ،ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ولي الدين التونسي الحضرمي الاشبيلي المالكي
توفي في سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م .
— العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،٧ أجزاء ، بولاق ١٢٨٤ هـ .
— مقدمة ابن خلدون ،طبعة التجارية.
— التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، نشر محمد بن تاويت الطنجي ،القاهرة ١٣٧٠ هـ /١٩٥٠ م.

(٧) ابن خلكان ،وفيات الاعيان وأبناء أبناء الزمان، نشر محمد محيي الدين عبد الحميد ، في ٦ أجزاء ،القاهرة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ / ١٣٦٩ — ١٩٥٠ م .

(٨) ابن سعد ،أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري ،
توفي سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م .
— كتاب الطبقات الكبير ،تحقيق ادوارد سخو ، ٨ أجزاء ليدن ١٩٠٤ — ١٩١٧ .

(٩) ابن الشباط ، محمد بن على بن محمد المصرى التوزرى
توفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .
ـ صلة السمط وسمة المرط
نشر القسم الخاص بالأندلس ، أحمد مختار العبادى
معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٧١ م .

(١٠) ابن عبد البر القرطبى ، يوسف النمرى ، توفى سنة ٤٥٩
هجرية / ١٠٦٦ م .
ـ الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ، نشر على هامش
الاصابة لابن حجر ، ٤ اجزاء ، النسخة المصورة
بالأوفست ، المثنى .

(١١) ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
ابن اعين بن ليث أبو القاسم القرشى ، ولد حوالى
سنة ١٨٧ هـ ، توفى سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م .
ـ فتوح مصر والمغرب والأندلس ، نشر شارل تورى ،
طبعة ليدن ١٩٢٠ .
ـ نشرة جزئية جديدة بمعرفة عبد المنعم عامر ، القاهرة
١٩٦١ .

(١٢) ابن عذارى المراكشى ، ابو العباس احمد بن محمد ، كان
حيا سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م

- البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، (الجزء الاول ، تاريخ افريقية والمغرب من الفتح الى القرن الرابع الهجرى " ، نشر وتحقيق كولان وبروفنال لندن ١٩٤٨ .

(١٣) ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد ، توفى سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م .

- كتاب البلدان ، نشر دجوبة ، ليدن ١٨٨٥ م .

(١٤) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله من مسلم ، توفى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م .

- كتاب المعارف ، طبع القاهرة ١٩٣٤ م .

- الامامة والسياسة ، القاهرة ١٣٢٢ هـ .

(١٥) ابن قتيبه ، ابو محمد عبد الله بن مسلم ، توفى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م .

- عيون الأخبار .

- الشعر والشعراء .

(١٦) ابن القوطية ، محمد بن عمر ، توفى سنة ٣٦٧ هـ /٩٧٧م .

- تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق عبد الله انيس الطباع ، طبع بيروت ١٩٥٧ .

(١٧) ابن الكردبوس ، (أخر القرن السادس الهجرى / ١٢ م) .
- تاريخ الاندلس ،تحقيق احمد مختار العبادى ،
مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٧١ .

(١٨) ابن النديم ،محمد بن اسحاق ،توفى ٣٨٣ هـ / ٩٩٣م .
- الفهرست ، طبعة التجارية .

(١٩) ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايـــوب
الحميرى ،توفى سنة ٢١٨ هـ
- السيره النبوية ،تحقيق مصطفى السقا ،ابراهيم
الابيارى ،عبد الحفيظ شلبى ، ٤ اجزاء ، طبــع
دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنـــان

(٢٠) ابن منظور ،جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكــرم
الخزرجى الافريقى ،توفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١ م .
- لسان العرب ، طبع بولاق ١٢٩٩ - ١٣٠٨ هـ ،فى عشرين
مجلدا .

(٢١) الاصطخرى ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارس ،توفى
سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م .
- كتاب المسالك والممالك نشر جويه ليدن ١٩٢٧.

(٢٢) بروفنسال ،تاريخ اسبانيا الاسلامية ،بالفرنسية ، طبــع
الجمعية الفرنسية للآثار الشرقية ،القاهرة ١٩٤٨.

(٢٣) البغدادى ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ،توفى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م •

- الفرق بين الفرق ، طبع القاهرة ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م•

(٢٤) البكرى ،ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز توفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م •

- المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر رسلان ، باريز ١٩١١ •

(٢٥) البلاذرى ، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر،توفى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م •

- كتاب فتوح البلدان ، طبع ليدن ١٨٦٦م.

(٢٦) الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر ،توفى سنة ٢٢٥هـ / القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م •

- كتاب البيان والتبيين ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٨ •

(٢٧) الجهشيارى ،أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، توفى ٣٣١ هـ / ٩٤٢ - ٩٤٣ م •

- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ،ابراهيم الابيارى ،وعبد الحفيظ شلبى ، طبع القاهرة ١٩٣٨•

(٢٨) خليفة بن خياط ، توفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤م .

- تاريخ خليفه بن خياط (رواية بقي بن مخلد)تحقيق سهيل زكار ، في قسمين ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، دمشق ١٩٦٧ — ١٩٦٨.

(٢٩) ديموميين (جودفري) ، النظم الاسلامية ،ترجمة الدكتور فيصل السامر ، الدكتور صالح الشماع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٦١ .

(٣٠) الذهبي ،شمس الدين ابو عبد الله ، محمد بن أحمد توفي سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ — ١٣٤٨ .

- تذكرة الحفاظ ، جزءان ، الطبعة الثانية ،حيدر آباد الدكن، الهند ، ١٣٣٣ هـ

(٣١) الرقيق القيرواني ،ابو القاسم ابراهيم ،توفي بعد سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م .

- تاريخ افريقية والمغرب ،تحقيق المنجي الكعبي ، تونس ١٩٦٨.

(٣٢) الزبيري ،ابو عبد الله الزبير بن بكار بن أحمد بن مصعب ،توفي سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .

- كتاب نسب قريش ،تحقيق ليفي بروفنسال نشر دار المعارف مصر ١٩٥٣ (مجموعة ذخائر العرب) .

(٣٣) سعد زغلول عبد الحميد ،تاريخ الدولة العربية ،طبع بيروت ١٩٧٧.

- فى تاريخ العرب قبل الاسلام ،طبع بيروت ١٩٧٥ .

(٣٤) الشهرستانى ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ،توفى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م .

- الملل والنحل ، ٥ أجزاء ،القاهرة ١٣١٧ هـ .

(٣٥) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ،توفى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م .

- تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دار المعارف ،٧أجزاء (مجموعة ذخائر العرب).

(٣٦) القاضى عياض ، ابو الفضل بن موسى اليحصبى ،توفى سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة اعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، ٤ أجزاء ، طبع بيروت .

(٣٧) فاروق عمر ،طبيعة الدعوة العباسية ٩٨ هـ /٧١٦م- ١٣٢هـ/ ٧٤٩ م (دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها ،طبع دار الارشاد ،بيروت ،طبعة أولى سنة ١٩٧٠ .

(٣٨) القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي المصري، توفي سنة ٨٢١ هـ /١٤١٨ م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزءا طبع دار الكتب المصرية ١٩١٣ - [illegible] نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٦٣.

- [illegible]

(٣٩) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، توفي سنة ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م.

- [illegible] الولاة و[illegible] بيروت ١٩٠٨.

(٤٠) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري توفي سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م.

- الأحكام السلطانية، طبع القاهرة ١٢٩٧هـ.

(٤١) مجهول

- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، النسخة المصورة بالأوفست، المثنى، بغداد، عن طبعة بريل ١٨٦٩.

(٤٢) أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري، والدكتور عبد الجبار المطلبي، طبع بيروت، سنة ١٩٧١.

(٤٣) مجهول :

- أخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ،مدريد ١٨٦٧ م .

(٤٤) المسعودى ، ابو الحسن على بن الحسين ،توفى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر،تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ٤ اجزاء ، طبع التجارية ١٩٥٨ . وطبعة بربيه دى مينار وباڤيه دى كرتاى ،منشورات الجامعة اللبنانية ،قسم الدراسات التاريخية ،بيروت ١٩٧٣ .

(٤٥) مسلم ،أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى ،توفى سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م .

الجامع الصحيح ،٨ أجزاء ، طبع القاهرة ١٣٢٩ - ١٣٣٢ .

(٤٦) محمد حميد الله ،مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ،طبع القاهرة سنة ١٩٥٦

(٤٧) النوبختى ،أبو محمد الحسن بن موسى ، توفى سنة ٢٣٢ هـ / ٨١٧ م .

- كتاب فرق الشيعة ،طبع المطبعة الحيدرية ، النجف سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م.

(٤٨) النويرى ، ابو العباس احمد بن عبد الوهاب بن محمد شهاب الدين ، توفى سنة ٧٣٢ هـ /١٣٣٢م نهاية الأاب فى فنون الأدب .

(٤٩) الهدانى ،أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ، توفى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م.

- صفة جزيرة العرب ،جزءان ، طبعة دافيد ميلر، ليدن ١٨٩١ .

(٥٠) الواقدى ،ابو عبد الله محمد بن عمر ،توفى سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م كتاب المغازى، ٣ أجزاء ، تحقيق الدكتور مارسدن جونس منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت ، لبنان .

(٥١) ياقوت ، شهاب الدين ياقوت من عبد الله الرومى ،توفى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م.

- معجم البلدان ،فى ٦ اجزاء ، نشر وستنفلد ،ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣ .

- ونشر محمد الخانجى ،القاهرة ١٩٠٦ - ١٩٠٧ ، ١٠اجزاء

(٥٢) اليعقوبى ، احمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب ،توفى سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م .

- كتاب البلدان ، نشر دجويه ليدن ١٨٩٢

- تاريخ اليعقوبى ،فى جزئين ،طبع بيروت ١٩٦٠

الفهرســـت

تابع الفهرست

الصفحة